مركز الملك سلمان
لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
King Salman's Center
For Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula

جامعة الملك سعود
King Saud University

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

الفرضية في الكتابة التاريخية
"مقاربة في البناء المنهجي للمؤرخ المفكر"

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري

حالات مصادر المياه السطحية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية:
حكايات من كبار السن مروية - (دراسة أثنواثرية)

د. محمد ظفران عبدالله البكير

الطرز المعمارية لبيوت القرية الحجازية من خلال كتب الرحالة أساساً وتأثيثاً (٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧-١٩١٦م)

أ.د. آمال رمضان عبد الحميد صديق

إضاءات جديدة على نقش الذفيف (١٠)
AL-Dhafeef 10

أ. عبدالله بن سعيد بن علي القحطاني

المراجعات:

كتاب: خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث: الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أ.د. صالح حبيب الله تشي شيوه بي

دورية علمية محكمة نصف سنوية - المجلد الثالث - العدد(١) ربيع الآخر ١٤٤٧هـ - أكتوبر ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة

تصدر عن

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

جامعة الملك سعود

المجلد الثالث – العدد (١)

ربيع الآخر، ١٤٤٧هـ/ أكتوبر، ٢٠٢٥م

https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

shcajournal@ksu.edu.sa

المشرف العام

أ.د. علي بن محمد مسملي

رئيس جامعة الملك سعود المكلّف

نائب المشرف العام

أ.د. نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

المشرف العام على مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

الهيئة الاستشارية

أ.د.جون هيلي جامعة مانشستر	**أ.د. أحمد آل فائع** جامعة الملك خالد	**أ.د. محمد الكحلاوي** جامعة القاهرة	**أ.د. سعد عبود سمار** جامعة واسط
أ.د. ليلى نعمة جامعة السوربون	**أ.د. أحمد بوشرب** جامعة الحسن الثاني	**أ.د. موضي عبدالله السرحان** جامعة الملك سعود	

رئيس التحرير

أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب

هيئة التحرير

أ.د. خالد بن عبدالكريم البكر جامعة الملك سعود	**أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري** جامعة الملك سعود
أ.د. أحمد محمود أمين جامعة الفيوم	**أ.د. أحمد الجلاد** جامعة أوهايو

مدير التحرير

د. أحمد محمد عطوه عبدالحميد

السكرتارية والإخراج

محمد بن سمير عبدالله **عبدالرحمن بن موسى الجديد**

سعود بن محمد التميمي

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة نصف سنوية متخصصة في دراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها على مر العصور، تصدر في شهري (أكتوبر– مارس) عن مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها بجامعة الملك سعود تحت اسم "مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها". وتُعنى بنشر البحوث، والدراسات، ومراجعات الكتب، وملخصات الرسائل العلمية، باللغتين العربية والإنجليزية.

الـرؤيـــة

تتطلع المجلة أن تكون عالمية مفهرسة يمكن الوصول إليها إلكترونيًا، ورائدة في ميدان نشر البحوث في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. فضلًا عن سعيها إلى نشر دراسات نقدية لأحدث الإصدارات العربية والعالمية عن تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.

الـرسـالة

تسعى المجلة لتصبح مرجعًا علميًّا للباحثين وطلبة العلم في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، لتزويدهم بالمعارف والمهارات، انطلاقًا من الثقافة العربية والإسلامية والتراث الإنساني.

الأهـداف

- نشر البحوث والدراسات التاريخية والحضارية المحكّمة في ميدان تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- التطلع إلى مشاركة الباحثين وطلاب الدراسات العليا، وحثهم على مزيد من التجويد والتدقيق في أبحاثهم المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- استقطاب الباحثين في مجال الدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية.

للتواصل والمراسلة

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

ص.ب: ٢٤٥٦- الرياض: ١١٤٥١

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٩٨٥٣٩ -٠١١

فاكس: ٤٦٧٥٥١٦-٠١١

البريد الإلكتروني: shcajournal@ksu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

رقم الإيداع (ورقي): 1443/9173

رقم الرمد (ورقي): 1658-9270

رقم الإيداع (النشر الإلكتروني): 1445/2699

رقم الردمد (النشر الإلكتروني):1658-9831

© مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، ١٤٤٧هـ (٢٠٢٥م)

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود.

قواعد النشر

الضوابط العامة وإجراءات النشر:

١. تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
٢. أن تتسم البحوث بالموضوعية والتنظيم المترابط وعدم استخدام الضمائر الشخصية قدر المستطاع.
٣. الالتزام بالمنهج العلمي وتوخي الجدة والأصالة في الكتابة وسلامة الأسلوب وتنظيم الحقائق والأفكار.
٤. التقيد بأصول البحث العلمي بعرض الحقائق وتقدير وجهات نظر الآخرين.
٥. التقيد بالأمانة العلمية وألا يحتوي البحث على أي سرقة علمية أو انتهاك للملكية الفكرية.
٦. دعم الموضوع بالصور والخرائط والوثائق كلما أمكن ذلك.
٧. ضبط أسماء المواقع والأعلام بدقة والتعريف بها وتوثيقها في الهامش.
٨. منهج التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA)، ويشمل ذلك التوثيق داخل النص وفي قائمة المصادر والمراجع.
٩. لايتجاوز عدد كلمات البحث (١٠ آلاف كلمة) بما فيها الملخصين العربي والإنجليزي، والكلمات المفتاحية، وقائمة المصادر والمراجع، والملاحق.
١٠. يرفق مع العمل ملخص باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة.
١١. يتضمن ملخص البحث (٥ كلمات مفتاحية) تعبر عن موضوع البحث والقضايا الرئيسة التي تناولها.
١٢. تكتب بيانات الباحث/ الباحثين (الاسم، الرتبة العلمية، التخصص، المؤسسة التعليمية، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، ورقم الجوال) باللغتين العربية والإنجليزية.

١٣. لا يجوز أن يُصرَّح باسم الباحث/ الباحثين في متن البحث أو هوامشه.
١٤. يعد إرسال الباحث بحثه تعهدًا منه بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه لم يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
١٥. تقوم هيئة التحرير بفحص أولي للأبحاث لتقرير مدى صلاحيتها لاستكمال إجراءات التحكيم.
١٦. تخضع جميع الأبحاث بعد إجازتها الأولية من هيئة التحرير للتحكيم العلمي على نحو سري مزدوج.
١٧. يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المتخصصين في موضوعه فإن اختلف رأيهما، أُرسل إلى ثالث ويكون رأيه حاسمًا.
١٨. الأبحاث التي يشترط المحكمون قبولها بعد إجراء التعديلات عليها تعاد لأصحابها لإجراء التعديلات على ألا يتأخر الباحث في إرسال النسخة المعدلة عن أسبوعين من تاريخ الإرسال.
١٩. الأبحاث المقبولة للنشر في المجلة لا يجوز نشرها في أي منفذ نشر آخر، ورقي أو إلكتروني، دون أخذ موافقة خطية من رئيس هيئة التحرير.

اللغة والأسلوب:

١. التقيد بالأسلوب العلمي (عرضًا وتوثيقًا) بعيدًا عن العاطفة والإطناب الممل أو الإيجاز المخل.
٢. اعتماد الوضوح وتحري الدقة والصياغة الجيدة للأفكار والمفاهيم.
٣. معالجة الموضوعات وعناصرها بصورة تتسم بالتغطية الشاملة.
٤. العمل على التناسب والتوازن بين عناصر الموضوع.
٥. مراعاة أصول التحرير العلمي من سلامة اللغة وقواعد الإملاء وعلامات الترقيم والتنقيط.

تنسيق الصفحات:

١. حجم الصفحة A4.
٢. هوامش الصفحة: (٢,٥سم) لليمن واليسار و(٣,٥سم) من أعلى الصفحة وأسفلها.
٣. حجم الخط للمتن (١٤) بخط Lotus Linotype
٤. حجم الخط للعناوين (١٤) بخط ثقيل Lotus Linotype
٥. حجم الخط لعناوين الأشكال والجداول والصور (١٢) بخط ثقيل Lotus Linotype
٦. حجم الخط للتعليقات (١٢) بخط Lotus Linotype
٧. حجم الخط لمحتوى الجداول (١٢) بخط Lotus Linotype
٨. حجم الخط للمتن بلغة غير عربية (١٠) بخط Times New Roman
٩. حجم الخط للهامش بلغة غير عربية (٨) بخط Times New Roman

آلية إرسال الأبحاث:

- ترسل الأبحاث إلى البريد الإلكتروني للمجلة (shcajournal@ksu.edu.sa) بعد التأكد من التقيّد بشروط تسليم البحث وضوابط تحريره.
- أوقات العمل: تعمل المجلة على استقبال البحوث العلمية على مدار العام.
- لغة النشر: تستقبل المجلة الأبحاث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، مع وجوب الالتزام بسلامة اللغة والصياغة.

إرشادات التقديم:

- يتم إرسال نسختان من البحث العلمي، واحدة بصيغة (Word) وأخرى بصيغة (Pdf).

- تضمين الرسالة المرسلة على البريد الإلكتروني بالمرفقات الآتية:

١. خطاب موجه إلى رئيس هيئة تحرير المجلة ويتضمن أهمية البحث وفرضيته وارتباطه بأهداف المجلة ورؤيتها.

٢. ملخص للبحث العلمي بكل من اللغة العربية واللغة الإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مضمنًا (٥) كلمات مفتاحية.

٣. السيرة الذاتية للباحث الرئيس وللباحث المشارك (إن وجد).

٤. نموذج إقرار نشر بحث بعد تعبئته واعتماده، وفي حال وجود أكثر من باحث، يقوم كل باحث بتعبئة الإقرار واعتماده منفردًا.

المحتويات

أبحاث العدد:

- **الفرضية في الكتابة التاريخية "مقاربة في البناء المنهجي للمؤرخ المفكر"**

أ.د.عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري.....١

- **الطرز المعمارية لبيوت القرية الحجازية من خلال كتب الرحالة "أساسًا وتأثيثًا" (٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧ -١٩١٦م)**

أ.د. آمال رمضان عبدالحميد صديق.....٤٣

- **حالات مصادر المياه السطحية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية: "حكايات من كبار السن مروية" (دراسة أثنواثرية)**

د. محمد ظفران عبدالله البكير.....٨٥

- **إضاءات جديدة على نقش الذفيف ١٠/ AL-Dhafeef 10 .**

أ. عبدالله بن سعيد بن علي القحطاني.....١١٣

المراجعات:

- **كتاب: "خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث: الشيخ محمد بن عبدالوهاب".**

أ.د.صالح حبيب الله تشي شيوه بي.....١٤٣

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص١-٤١، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 1- 41, King Saud University, Riyadh (1447H / 2025)

الفرضية في الكتابة التاريخية

"مقاربة في البناء المنهجي للمؤرخ المفكر"

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري
جامعة الملك سعود، الرياض
aalahmri@ksu.edu.sa
(قُدِّم للنشر في ١٢/ ٠٩/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٢٧/ ١٠/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

شهدت الكتابة التاريخية العربية في العقود الأخيرة وفرة هائلة في نتاجها العلمي سواء في صورة رسائل علمية من أقسام التاريخ أو دراسات تاريخية من مراكز الدراسات المعنية بهذا المجال وما يخرج في المجلات العلمية من أعمال معنية بالتاريخ مما يحمد لهذه الأقسام والمراكز العلمية، إلا إنه عند التدقيق في مضمون كثير من هذه الأعمال العلمية؛ نجدها تعاني من: التكرار، والانتقائية، وسطحية التناول، وغياب النقد؛ وهذا بدوره غَيّب الغاية القصوى من المتخصص في هذا العلم، وهي اكتساب "الوعي التاريخي"، الذي يجعل منه مفكرًا مشاركًا في قضايا عصره، متفاعلًا معها، وهذا يعود لأسباب كثيرة، يأتي على رأسها المنهجية المتبعة في الكتابة التاريخية المنتجة لهذه المعرفة، وتطرحُ هذه الورقةُ البحثيةُ السؤالَ البحثيَّ التاليَ لتوضيحِ هذا المشهدِ: "إلى أيِّ درجةٍ تتجلى أهمية الفرضية في الكتابة التاريخية في التكوين المنهجي للمؤرخ المفكر؟"؛ والهدف الرئيسي لهذه المقالة هو بيان أثر غياب الأخذ بـ "الفرضية" في الدراسات التاريخية، أو عدم العناية بها، وأن ذلك يمثل جوهر الإشكال المنهجي في المدرسة الوضعية/ المنهجية الـمُتَبعة في أكثر الدراسات العربية، وأنه آن الأوان للاستفادة من مدرسة إجرائية أخرى تولي عناية خاصة بالفرضية وما يتفرع عنها من تساؤلات بحثية، وهي مدرسة الحوليات الفرنسية وما تطور عنها من منهجيات.

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية العربية، المدرسة الوضعية، مدرسة الحوليات، الفرضية، المؤرخ المفكر.

The Hypothesis in Historical Writing "An Approach to the Methodological Construction of the Thinking Historian"

Prof. Abdulrahman b. Abdullah Al-Ahmari
University of King Saud, Riyadh
aalahmri@ksu.edu.sa

(Received: 12/ 09/ 1446 H; Accepted for publication: 27/ 10/ 1446 H)

Abstract:

In recent decades, Arabic historical writing has witnessed a tremendous abundance in its scientific output, whether in the form of scientific dissertations from history departments or historical studies from research centers concerned with this field, and the works published in scientific journals concerned with history, which commends these departments and scientific centers. However, upon scrutinizing the content of many of these scientific works, we find that they suffer from: repetition, selectivity, superficiality of approach, and the absence of criticism. This, in turn, obscures the ultimate goal of the specialist in this science, which is to acquire "historical awareness", which makes him a thinker who participates in the issues of his time and interacts with them. This is due to many reasons, at the forefront of which is the methodology followed in historical writing that produces this knowledge. This research paper poses the following research question to clarify this scene: "To what degree is the importance of the hypothesis in historical writing evident in the methodological formation of the thinking historian?" The main objective of this article is to demonstrate the impact of the absence of consideration of the "hypothesis" in historical studies, or the lack of attention to it, and that it represents the core of the methodological problem in the positivist/methodological school followed in most of these studies, and that it is time to benefit from another procedural school that pays special attention to the hypothesis and the research questions that branch out from it, which is the French Annales School and the methodologies that have developed from it.

Keywords: Arabic historical writing, positivist school, Annales school, hypothesis, thinker historian.

المقدمة:

البحث العلمي وتقدّمه هو سمة العصر الذي نعيشه، والتنافس بين الباحثين في مجالات العلوم المختلفة والإتيان بالجديد والابتكار في حركة دائمة لا تهدأ، ومن ذلك العلوم الإنسانية التي قطعت شوطًا بعيدًا في دراسة النشاط الإنساني من جميع جوانبه، ومنها – بطبيعة الحال– الدراسات التاريخية في صورتها الحالية التي هي نتاج أصيل للحداثة الأوروبية، ومن أولى العلوم التي لقيت اهتمامًا بالغًا على كل المستويات خلال القرن التاسع عشر الميلادي؛ لما له من أهمية في إثراء المعرفة الإنسانية لاستيعاب الماضي، ولفهم الحاضر، واستشراف المستقبل. ولذلك؛ ظهرت المدارس الأوروبية التي عنيت بالفكر التاريخي، وفلسفته، وتفسير الأحداث ومحاولة استنباط القوانين المسيرة للمجتمعات. وبهذا الفهم للتاريخ البشري؛ سادت الحضارة الأوروبية، وهيمنت عالميًا وما زالت، ومن يحاول منافستها من دول العالم فهو يقتبس من أفكارها ويجدد في آليات السيطرة والتحكم إلى حين من الزمن.

هناك شبه إجماع بين الباحثين في العلوم الإنسانية والمهتمين بها على أن هناك أزمة حقيقية تواجه هذه العلوم في حاضرها ومستقبلها بصورة عامة في ظل العولمة وثورتها في الاتصال والتواصل، وتفجر المعلومات، وهي نابعة من أزمة الإنسان نفسه، واغترابه في عصر ما بعد الحداثة؛ إذ تهتم هذه العلوم به وباشتغالاته اليومية والحياتية، والتاريخ جزء من منظومة هذه العلوم الإنسانية التي تهتم بالإنسان في ماضيه. والواقع أن التاريخ في مقدمة العلوم الإنسانية في هذه الأزمة، سواء على المستوى المعرفي، أو المنهجي، أو على مستوى موثوقية مخرجات هذا "العلم"، ومصداقيتها عند الجمهور المتلقي[1].

(١) قدمت دراسات غزيرة حول أزمة العلوم الإنسانية، منذ عقدين تقريبًا، وكلما زاد التوسع في عالم تكنولوجيا الاتصالات وثورة المعلومات زادت هذه الأزمة، وصولًا إلى الذكاء الاصطناعي، الذي بدأ يهدد بالفعل علوم مثل: الفلسفة والتاريخ والأدب. للمزيد انظر: (مركز ابن خلدون، ٢٠١٩؛ Pan,1998؛ Parton, 2025؛ "Why Should Humanities," 2025؛ Arndt, n.d.).

وتهدف هذه الورقة التي تعنى بالمنهجية في هذا العلم إلى إثارة النقاش حول تكوين "المؤرخ المفكر"، وأن السائد في أغلب الدراسات التاريخية الحالية المتبنية لمنهج المدرسة الوضعية أو الوضعانية -تعرف أيضًا بالمدرسة المنهجية- لا تكسب الباحث في التاريخ "الوعي التاريخي"، الذي تكون ثمرة "المؤرخ المفكر" المتفاعل مع ظواهر واقعه المتعددة، والمتطلع إلى المستقبل ضمن العلوم الأخرى، وفيه بيان ضعف مخرجات هذه المدرسة، وعقم نتائجها، وأن الرقي بالدراسات التاريخية يتأتى من تبني نهج إجرائي مختلف في الكتابة التاريخية من خلال رؤية مدرسة الحوليات الفرنسية، وامتدادها في "التاريخ الجديد"؛ إذ تأخذ بمنهج طرح الفرضيات، واختلاف المفاهيم الإشكالية، وصراعها في تفسير الحدث التاريخي[1].

تحاول الورقة الإجابة عن تساؤل رئيس هو: ما مدى أهمية الفرضية في الكتابة التاريخية في التكوين المنهجي للمؤرخ المفكر؟؛ وتتفرع عنه عدة تساؤلات فرعية؛ منها: عن: ما واقع الدارسات التاريخية العربية السائرة على المدرسة الوضعية؟؛ وما مدى ارتباط الفرضية بمدرسة الحوليات. وآخر عن ماهية الفرضية؟، وما يتنج عن العناية بالفرضية في الكتابة التاريخية؟. وما يتوقع أن يخرج في النهاية للمجتمع "المؤرخ المفكر" المهتم بقضايا عصره والمتفاعل معها، ويكون للتاريخ من خلاله قيمة، وأثرٌ في الواقع.

تنطلق الدراسة من دراستين سابقتين عرفتا الفرضية في الكتابة التاريخية، وبينتا أهميتها، وهي:

- الفرضية في البحث التاريخي(عباس، ٢٠٠٩، ص١٦).
- Hypotheses in historical research (Ancic & Elezović, 2021, p. 5).

ومع أهمية وريادة هاتين الدراستين في التعريف بالفرضية، خاصة الدراسةالأخيرة التي تتبعت مفهوم الفرضية في البحث العلمي منذ بدايات في الحداثة الأوروبية على يد

(١) للمزيد عن توظيف المفاهيم في دراسة التاريخ، وتفسيره، انظر: (حبيدة، ٢٠٠٤؛ الحسناوي، ٢٠٢٠، ص ص ٥٦١-٥٧١).

فرانسيس بيكون[1]، وتطرقت لتصنيف الفرضيات العلمي، ثم بنية الفرضية، وهذه الدراسة تحاول بيان وظيفة الفرضية في البناء المنهجي للمؤرخ، وفي اكساب الباحث الدربة على إثارة الأسئلة، والبحث عن المعاني المضمرة، والأفكار في المصادر التاريخية لا البحث عن المعلومات فقط.

أولًا: صور من واقع الدراسات التاريخية العربية

تُشبه المعرفةُ التاريخيةُ بالعملةَ المعدنية ذات الوجهين المتلازمين: وجه يتعلق بمدى صحة ما كُتِب من أوصاف لتلك الأحداث التاريخية في المصادر المعاصرة لها والتالية لها، ومدى تطابقها مع الأحداث كما وقعت، ووجه يتعلق بـ"قدرة المؤرّخ على تحويل هذه الأوصاف إلى "حقائق" تاريخية يُعتمد عليها؛ ليربط فيما بينها في سلسلة سببية على شكل سردية"(فِرّو، ٢٠١٣، ص١٧٥). وهنا تكون المعرفة التاريخية أمام مقاربتين: الأولى مقاربة المدرسة الوضعية التي تقوم على الاعتقاد أن ما دوَّنه الكُتَّاب من أوصاف للأحداث في الماضي وما كتبه المؤرخون في الحاضر اعتمادًا على ذلك الإرث تدل على واقعية الماضي، وتعطي المعرفة التاريخية مصداقية في فهم الأحداث التاريخية ومسار التاريخ.

فيما المقاربة الثانية تنفي هذه الواقعية بين الوقائع التاريخية، وأحداثها، وما كتب عنها؛ معتبرة الأوصاف التي كتبت عنها في حينها أو تلتها مجرد أوصاف لا يمكن التأكد من مدى التطابق بينها وبين الأحداث التي وصفتها أنها كما حدثت؛ ذلك أن المؤرخ لذلك التاريخ "لم يبحث بطريقة منهجية عن قرائنه، بل يصف الأحداث دون أن يربطها بمسار تاريخي". ومن هنا تنتفي الواقعية التاريخية وأنها كتبت كما وقعت؛ فالمؤرخ المهني – وفق هذه الرؤية –

(١) فرانسيس بيكون (٢٢ يناير ١٥٦١– ٩ أبريل ١٦٢٦) ولد في يورك هاوس، لندن، إنجلترا. محامٍ ورجل دولة وفيلسوف. معروفًا بدفاعه عن التجريبية وتطويره المنهج البيقوني، الذي ركّز على الملاحظة المنهجية والاستدلال الاستقرائي كأساس للبحث العلمي. كان بيكون أيضًا رجل دولة، شغل منصب اللورد المستشار لإنجلترا، وساهم في الفكر السياسي والقانوني، لا سيما في التاريخ الدستوري والفقه القانوني. بالإضافة إلى ذلك، كان كاتبًا، اشتهر بمقالاته التي عكست حكمته ثاقبة، ومهدت أعماله الطريق للمنهجية العلمية الحديثة. (الموسوعة البريطانية، ١٥ فبراير ٢٠٢٥م).

يستخدم تقنيات عديدة في البحث عن الأدلة والقرائن، ويضعها في سياقات، يفسر بها وقوع الأحداث، ومن ثم تكون عناصر مفسرة لمسارات التاريخ(فِرّو، ٢٠١٣، ص١٧٥).

فعلى الرغم من الكم الهائل من الدراسات التاريخية التي تصدر في العالم العربي في صور كتب، ورسائل علمية، وأبحاث علمية "محكمة"، والرعاية الرسمية التي يلقاها بعض من يطلق عليهم (مؤرخين) في البلاد العربية، إلا أن قيمة هذه الدراسات الحقيقية، ومصداقيتها متدنية، بل في بعض الأحيان مزيفة(١)، وما تضيفه للمعرفة الإنسانية في هذا المجال ضئيل ولا يؤبه له، ولا يدخل في مجالات التقييم العالمي للبحث العلمي. ويصف خلدون النقيب – ما كتب عن الخليج والجزيرة العربية – أن هذا النوع من الدراسات التاريخية استبدل أصحابها الوثائق بالتاريخ "...؛ لأنهم يفتقرون – في الأغلب الأعم – إلى النظرية والأدوات المفاهيمية، وهي المفاتيح التي تحل ألغاز الأحداث والوقائع التي تزخر بها الوثائق التي بين أيديهم ... [وأن هذه الدراسات] لا تجدي كثيرًا في فهم مجتمع الخليج والجزيرة، وفي بعض الحالات تزيدنا جهلًا بالموضوع"(النقيب، ١٩٨٩، ص٢٠)(٢).

فمع أن الطالب يتزود خلال سنوات منتظمة بمعارف في التاريخ الإنساني، وتُبذل جهود كبيرة في ترسيخ عدد من المفاهيم، والتأكيد عليها خلال رحلة الطالب العلمية في هذا التخصص من: بذل الجهد للوصول للحقيقة التاريخية، ونقد المصادر، والأمانة العلمية، والموضوعية، ... إلا أن المنتج النهائي للبحث التاريخي يفتقد في معظمه لجل هذه المفاهيم،

(١) أوضح صور تزييف الوعي الجمعي من خلال التاريخ يظهر فيما كتب خلال حقبة القومية العربية، خاصة في نسختها البعثية، عن تاريخ الخليج العربي، والدولة القطرية، وعلاقاتها؛ إذ يصنع تاريخًا لقضايا لا وجود لها إلا في أذهان كاتبيها وموظفيها لظروف سياسية آنية. أبلغ صورة على ذلك ذكرها خالد القشطيني في مقاله، والتفاعل معه "يا له من مخلص"، (القشطيني، ٢٠٠٤).

(٢) وعن الطبيعة العلمية فيما ينتج من دارسات باللغة الإنجليزية، التي تتناول تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية ومجتمعه في الجامعات ومراكز البحوث الأجنبية في الخليج، وبأموال خليجية، وأثرها على الهوية والوحدة المجتمعية لهذه البلدان، انظر: (الشهابي، ٢٠٢٢، ص ص ٢٢-٣٦)؛ وعن واقع الدراسات التاريخية في المغرب انظر: (حبيدة، ٢٠١٦، ص ص ٧-١٤).

وكان الواجب عليه أن يتقدم – معرفيًا – خطوات للأمام؛ ذلك أن "على المؤرخ أن يفسر الحقائق التي توصل إليها بطريقة منهجية وعقلانية، كما ينبغي له أيضًا أن يحاول استكشاف النماذج والاتجاهات، وأن يصوغ التعميمات التي تشرح سلوك الناس والأمم عبر الزمن. فإذا لم يقم المؤرخ بهاتين المهمتين فإنه لن يكون مؤرخًا، وإنما سيكون مجرد كاتب حولية أو يوميات أو جامع للأخبار والروايات التاريخية؛ وبذلك تخلو صفحات التاريخ الإنساني من أي مغزى أو دلالة" (قاسم، ٢٠٠٠، ص٣٥).

هذه الحالة أدت إلى أن التاريخ العربي منذ القدم هو تاريخ لا يقوم على فكرة التطور الذي يتطلب النقد والمراجعة والاستدراك من اللاحق على السابق، وتغيب هنا فكرة الزمن، وفكرة السببية؛ وبهذا لم يتشكل الوعي التاريخي في التاريخ العربي الذي يُعنى بقانون التقدم. وبما أن التاريخ في عمومه يقوم على فكرة التبجيل؛ لأن غرض هذا التاريخ هو الاقتداء، والاهتداء به، ويُزاح ما ليس محلًا للاقتداء؛ وبذلك يصبح الغرض من التاريخ مثاليًا، إيمانيًا، أو أخلاقيًا ...، يركز على الجوانب الإيجابية في التراجم والتاريخ، وهنا يغيب التاريخ الحقيقي لصالح النمطي والنموذج المعياري، ويصبح هدف التاريخ وفق قانون التراكم هو بناء المرجعيات (دينية، سياسية، ...) التي تتضخم عبر الزمن، وهذا هدف لا تاريخي؛ لأن تاريخ هذه المرجعيات يصبح مع مرور الزمن مستعصيًا على النقد(المنصوري، ٣١ مارس ٢٠١٨).

لذا؛ يرى البعض أن الكثير من هذه الدراسات "التاريخية" مسؤولة عن تزييف وعي المجتمعات العربية عن تاريخها، ومن ثم عن واقعها، ويلخص محمد المنصوري هذا الواقع لهذا المجال من العلوم الإنسانية في أقسام التاريخ في الجامعات العربية، وغيرها من المؤسسات قائلًا: "أعتقد أن الكتابة التاريخية التي انتشرت في العالم الإسلامي لعبت أسوأ الأدوار في خلق تورّم في الذات العربية الإسلامية، وهذا التورّم هو المسؤول اليوم عن التمزق النفسي قبل أن يكون تمزقًا طائفيًا وعرقيًا وعقديًا، فقد دأبت فئة من المؤرخين تكتب تاريخًا جميلًا، وهو بالأساس ليس تاريخًا؛ لأن التاريخ لم يكن أبدًا وفي أية حضارة تاريخًا جميلًا، إنه تاريخ الناس جميعًا، فيه الجيد وفيه السيئ، وفيه الأبيض وفيه الأسود، إلا أن ثمة

بعض من احترفوا مهنة يقال لها مهنة مؤرخ، يكتبون ما تريد الشعوب سماعه من إيجابيات ... لقد خلق هذا الوضع المتناقض شعورًا بالغبن لدى كثيرين، وهو ما أدى بكثيرين إلى تصور أنه يمكن إعادة تركيب التاريخ"(درغوت، ٤ ديسمبر ٢٠١٤).

إن الدعوات التي تثار بين فينة وأخرى إلى إعادة كتابة التاريخ العربي لها ما يبررها من وجهة نظر البعض؛ لما تمر به المجتمعات من أوضاع متغيرة تتطلب مثل هذه الإعادة إلى كتابة التاريخ بصورة علمية، ومستمرة، إلا أن هذه المحاولات – من جانب آخر – تعيد إنتاج الأحداث نفسها ووضعها في قالب أيديولوجي جديد وتوظف لأهداف جديدة؛ مما أفقد هذا العلم مصداقيته، وتراكمه المعرفي الذي يبنى عليه لإنتاج نظرية محددة عن تاريخ هذه المنطقة.

ويعود السبب في ضعف الدراسات التاريخية العربية – من وجهة نظر رؤوف عباس – إلى ثلاثة عوامل أساسية، هي: غياب الوعي بوظيفة التاريخ، ونقص ثقافة المؤرخ، واختلاط المفاهيم عند المشتغلين بالكتابة التاريخية (عباس، ١٩٨٥، ص١٦). وهذا تشخيص صحيح إلى حد بعيد لهذه المعضلة في الكتابة التاريخية العربية، وعند التعمق في السبب الثاني لهذا الضعف في تكوين المؤرخ منهجيًا تظهر المشكلة في المنهجية العلمية المتبعة في دراسة التاريخ في معظم الجامعات العربية، التي تتبع غالبًا المدرسة الوضعية/ المنهجية، التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر، وتقوم هذه المدرسة على جمع الوثائق، ونقدها، والتأكد من درجة صحة المصادر، ثم تجميع الأحداث وتنظيمها في تسلسل تاريخي وسياق وصفي، سردي(التيمومي، ٢٠١٣، ص٨٩) ، مع تركيزها على ثلاثة مواضيع، وما يكتب في هذه المدرسة يدور حولها وهي: الأحداث السياسية وتفاصيل وقائعها، والمناورات الدبلوماسية، والصراعات العسكرية، مع التركيز على الأفراد والدور الذي يؤدونه في مجرى التاريخ، واتباعها المنهج الكرونولوجي (السردي) في نضم الأحداث والوقائع زمنيًا، وأسلوبًا وصفيًا محدود الفائدة لواقع المؤرخ، ولا علاقة له بزمانه (حبيدة، ٧ نوفمبر ٢٠٢٣).

لا تهتم هذه المدرسة غالبًا بتفسير الحدث فلسفيًا، بقدر اهتمامها بالجديد من المعلومات عن الحدث التاريخي محل الدراسة؛ لأن غاية المؤرخ في هذه المدرسة "لا تكمن في البحث عن القوانين العامة التي تحرك التاريخ، أو عن معنى هذا التاريخ، بل في التنقيب في حالة بعينها، في مجال جغرافي محدد وسياق زمني مخصص؛ انطلاقًا مما تتيحه الوثائق"(حبيدة، ٢٠١٨، ص٤٩). وعادة ما يُدرس التاريخ في صورة وحدات (أبحاث) صغرى مقتطعة من التاريخ، وتوضع في إطار زمني وجغرافي وموضوعي منزوعة من سياقها التاريخي، وغالبًا ما تكون في سياق منفصل عن الدراسات السابقة في هذا المجال؛ إذ من المفترض أن تنطلق منه، كما أنها منفصلة عن السياق العام للنظريات والمقاربات العلمية العالمية التي تناولت حركة التاريخ في الحقبة الزمنية لهذه الدراسات، وبذلك فُقد التراكم العلمي في هذا المجال. لذلك؛ فالدراسات التي تخرجها هذه المدرسة الخالية من النقد، وتكون " ... مجرد نسخ مكررة، معادة الصياغة، ضعيفة الحجة وغير منضبطة التوجه"(الوزان، ٢٠١٦، ص٣٨)، وهذا ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي ميشال دو سارتو (١٩٢٥-١٩٨٦م) من أن مقولة **"التاريخ يُكتب"** قد توحي أن كل المؤرخين يكتبون : "... وهذا غير صحيح، في معظم الأحيان لا يبلور [الباحثون] كتابةً، بل مجرد تقنية، أي تجميع للمصادر، وتوضيب للاستشهادات، ووضع الإحالات في أسفل الصفحة، مع ترتيب كل هذه الأمور في تصميم تنظيم في مقدمة وفصول وخاتمة، ولذلك لا ينتج المؤرخ نصًا، بل اللّانص: موضوع في الاختصاص، شكلٌ بحثٌ صرف، لا روح له ولا لغة..." (حبيدة، ٢٠١٨، ص١٣٦). وكذا ماري رامبلا موجهة كلامها للباحث في التاريخ قائلًة: "... إن كان ما تقوم به جمع نتف من المعلومات عن موضوعك، فلن تكون قد كتبت بحثًا فعالًا..." (رامبولا، ١٤٣٤، ص. ص ٨٨-٨٩).

كما أن من مشكلات هذه المدرسة الحقيقية والعميقة سهولة توظيفها الأيديولوجي القومي؛ فهي تدرس التاريخ بطريقة انتقائية، وموجهة، ولذلك حُملت هذه المدرسة بصورة أساسية توفير البيئة الأيدولوجية لظهور القومية/ الوطنية الشوفيانية التي اجتاحت أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، وأدت إلى كوارث وحروب في النصف الأول من القرن العشرين

(التيمومي، المدراس التاريخية، ص٩١)، فبدلًا من أن يدرس التاريخ لفهم تطور المجتمع والتغيرات التي مرت به في هياكله (بناه) المتعددة إلى وقته الحاضر، أصبح التاريخ يدرس أيديولوجيا "للموافقة عليه، وللافتخار به" لتخريج المواطن الصالح، وهذا ما عده إريك هوبزبوم بمثابة "عصابة على العينين"، تعمي عن الحقيقة؛ لأن لدى التاريخ خاصية مهمة فريدة، فهو يعطي "إلهامًا أيدولوجيًا، ميلًا متأصلًا؛ لأن يصبح أسطورة تبرر نفسها بنفسها". وهذا واضح في تاريخ الأمم والصراعات القومية المعاصرة (هوبزبوم، ٢٠١٠، ج١، ص٦٣).

ويجادل البعض في أهمية المدرسة الوضعية، والكتابة بها؛ لأهميتها في صنع السرديات الصلبة للأيدولوجيات الوطنية والقومية في بدايات نشأة الدول القطرية، وتشكل القوميات، والتي على ضوئها تصنع الهوية الجامعة للمجتمعات الناشئة، وهذا ما حدث في أوروبا بالفعل؛ لكن على الباحثين في التاريخ أن يميزوا بين مستويين معرفيين في هذا المجال – كما يشير لوغوف – وهما: مستوى التاريخ السردي الذي يجب حصره "في المناهج المدرسيّة، وفي عمليات تبسيط التاريخ لعموم الناس"(لوغوف، ٢٠٠٧، ص٤٤)، ومستوى التاريخ النقدي، الذي يعطى معنًا حقيقيًا ومفيدًا للمجتمع من دراسة التاريخ.

ثانيًا: مدرسة الحوليات، والتاريخ الجديد:

مرت الكتاب التاريخية الإجرائية منذ القرن التاسع عشر بمدرستين: المدرسة الأولى: المدرسة الوضعانية المشار إليها سابقًا، والتي تهتم بالتاريخ السياسي، والعسكري، والدبلوماسي، وسير الشخصيات، ...، ولا تعنى بتاريخ المجتمعات بصورة عامة، وفي نهاية الثلاثينيات الميلادية من القرن العشرين خرج من رحم هذه المدرسة -وتحديدًا عام ١٩٢٩م- مدرسة الحوليات الفرنسية في دراسة التاريخ - تسير عليها الدراسات التاريخية في الوقت الحاضر- بعد أن واجهت المدرسة الوضعانية نقدًا لاذعًا وحملت تبعات الحرب العالمية الأولى، وظهور القوميات الشوفيانية – كما أشير سابقًا. وظهر مبكرًا فوائد مدرسة الحوليات في دراسة التاريخ، التي تجاوزت فوائد المدرسة الوضعية المتجمدة؛ إذ إن من ميزة

هذه المدرسة أنها استوعبت إيجابيات المدرسة الوضعية في التوثيق والتثبت من المصادر، من جانب، مع ما لديها من جانب آخر من القدرة على التطور ومسايرة العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، والتفاعل معها. فهي ترى أن الماضي مؤثر في قضايا الحاضر ومشكلاته، يقول أحد أبرز رواد مدرسة الحوليات فرنان برودل : " ... أود من المنطلق نفسه أن يرى المتخصصين في العلوم الاجتماعية أن التاريخ وسيلة فائقة للمعرفة والبحث وأن يفيدوا منها. فما الحاضر – في أغلب أمره – إلا فريسة في قبضة ماضٍ عنيد مصمم على البقاء والاستمرار، وما الماضي، بما ينضوي عليه من قواعد واختلافات وتشابهات، إلا المفتاح الذي لا محيص عنه لكل فهم جاد للزمن الحاضر" (برودل، ٢٠١٣، ج٣، ص١٣).

تقوم دراسة التاريخ في مدرسة الحوليات على ثلاث ركائز، هي: الزمان (متى؟)، والمكان/ المجال (أين؟)، والمجتمع / المفاهيم (كيف/ لماذا؟)، ومنها يتشكل الحدث التاريخي من خلال أبعاد أساسية، وهي: القوى الفاعلة، وطبيعة رهاناتها، وأطماعها ومكاسبها، ثم الإستراتيجيات والوسائل الموظفة للوصول إلى تلك الغايات والرهانات (إدريسي، ٢٠٢١، ص٣٠؛ رازقي، ٢٠٢٣، ص٤). وتقوم إجرائيا على عدة أسس، هي: **موضوعات، وفرضيات، ومفاهيم إشكالية، ونظرة تطورية، ومنهج تكاملي، ومدونة المصدرية**. وفق التفصيل الآتي:

* **الموضوعات**: ترى هذه المدرسة ضرورة الانتقال من تاريخ الحقل السياسي التقليدي القائم على القراءات المؤسسية لمكونات الدولة إلى تاريخ السلطة، وتأثيراتها، ووظيفتها، مع النظر في القضايا الذهنية، والأنثروبولوجيا التاريخية، وتاريخ المهمشين في المجتمع، كما يسميه جان كلود شميت؛ وبذلك تصبح النظرة الكلية لحركة التاريخ أكثر شمولًا؛ لكون تاريخ السلطة لا يعني تاريخ الدولة؛ لان السلطة تتجسد من جانب في شكل علاقات أفقية بين القطاعات الفاعلة فيها، وعلاقات رأسية بين الحاكم والمحكوم من جانب آخر(أبو شوك، ٢٠١٧، ص٢٣؛ أبو شوك، ٢٠٢١).

* **المفاهيم الإشكالية**: تقوم على مفاهيم متضادة، أو متصارعة، مفهوم القوة والاستلاب، وقضية الراعي والتابع، والتأييد والمقاومة، واستخدام الأيديولوجيات المرتبطة بطرفي السلطة وصراعاتها؛ وبذلك يكون البحث التاريخي إشكاليًا "يمكن من خلاله الانتقال من التاريخ السردي التقليدي الذي يكتفي باستعراض الأحداث والظواهر ووصفها، إلى تاريخ يسعى إلى تفسير هذه الأحداث والظواهر، والربط في فهم التاريخ بين الماضي والحاضر بدلًا من أن يكون التاريخ آليًا أو وصفيًا فقط (لوغوف، التاريخ الجديد، ص٩٢؛ أبو شوك، ٢٠٢١؛ هموش ، ١٢ يوليو ٢٠١٢).

* **الفرضيات**: ذلك أن نتائج الأبحاث التاريخية أثبتت أن علم التاريخ لا يرتبط فقط بالماضي؛ ذلك أن بعض السلوكيات الإنسانية وأنماط الحياة الاجتماعية لها القدرة على الاستمرار في فضاء الحاضر والتأثير في المستقبل؛ حيث يرى لوغوف – أحد اعلام هذه المدرسة – أن علم التاريخ ليس علم الماضي ولكنه علم الحاضر؛ لأنه يعيننا على فهم الماضي، واستيعاب الحاضر، واستشراف المستقبل، لذلك فهو علم يدرس الحاضر، وهذا يؤدي إلى المقوم التالي لهذ المدرسة، وهو:

* **النظرة التطورية**: التي ترى أن الأحداث التاريخية عبارة عن انعكاسات للسلوك الإنساني في إطار حركة الزمن المتجددة دومًا، لذلك تُنتج هذه الحركة أنساق قديمة متعددة تظهر في صورة آخر، وهنا تبرز فكرة الاستمرارية، والانقطاع، لأن الأنساق تتجدد؛ فهي أفعال مرتبطة بالعادات والتقاليد لا تتغير بنفس السرعة التي يتغير بها نمط الحدث السياسي، ومن هنا جاء تقسيم الزمن إلى ثلاثة أزمان : زمن حركي أو زمن حدثي يتعلق بالأحداث السياسية والعسكري، وزمن شبه ثابت أو البطيء يتعلق بالتغيرات الاقتصادية، والأنماط أو العادات والتقاليد الاجتماعية، والزمن الثابت وهو المتعلق بالجغرافيا، والمناخ، والجيولوجيا (أبو شوك، ٢٠١٧، ص٢٢). وبناء على هذا؛ ظهر المقوم الثالث لهذه المدرسة وهو:

* **التوظيف التكاملي بين العلوم الاجتماعية**: يؤكد هذا البعد التطوري لحركة التاريخ على ضرورة تبني منهج تكاملي مع العلوم الاجتماعية لتفسير أحداث الماضي الإنساني بجوانبها المختلفة والمتعددة، وحركتها الزمنية ومجالها المكاني ذات المستويات الزمنية الثلاثة؛ لذلك تهتم بوحدة الموضوع، وطول المدة الزمنية، التي تساعد على قراءة الحدث التاريخي قراءة متعمقة، على خلاف الدراسات السطحية التي تتناول الموضوع في فترة زمنية قصيرة.

* **المدونة المصدرية**: تقوم مدرسة الحوليات على الابتعاد عن تقديس الوثيقة التاريخية، والنظر لها بموضوعية فهذه الوثائق ليست منزهة عن الكذب، الأخطاء، الأهداف، والأجندة (بلوخ، ٢٠١٣، ص١٣٢) ، وهذا بعكس المدرسة الوضعية؛ التي تقدس الوثيقة، فيقولون: "دع الوثائق تتحدث ونحن نستنتج من هذه الوثائق"(أبو شوك، ١٢ يوليو ٢٠١٢م)، و"التاريخ يُصنع من الوثائق ... وكل فكرة أو فعل لا يخلف أثرا مباشرا أو غير مباشر أو طمست معالمه هو أمر ضائع على التاريخ ... فحيث لا وثائق لا تاريخ" (لانجلوا وسينوبوس، ١٩٨١م، ص٥)، ولم تكتفي مدرسة الحوليات بفحص الوثيقة التاريخية نقدًا داخليًا بتحليل النص في إطار المفردات، والعبارات، والمصطلحات الواردة في الوثائق، والنقد الخارجي المعروف في التحقق من صحة الوثيقة، وفي أي فترة كتبت، ونوع الورق، والحبر، ...الخ بل قالوا: يجب على المؤرخ استخدام العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى استخدامًا تكامليًا يتجاوز مبدأ المساعدة، والاستفادة المحدودة منها، إلى التحليل الموضوعي لمحتوى المصادر وثائق وغيرها، في إطار الظروف النفسية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أسهمت في صياغتها وتكوينها، أي الواقع الذي كتبت فيه هذه المصادر، وطرح التساؤلات عن الظروف، وعن الضغوط السياسية، الاجتماعية أو اقتصادية مورست عند توقيع تلك الوثائق (أبو شوك، ٢٠١٧، ص٢٢).

ويرى مارك بلوخ أن الوثيقة يجب ألا تكون المصدر التاريخي الوحيد، وأن مفهومها يجب أن يتجاوز النص المكتوب ليشمل "... دراسة الحركات السكانية والهجرات، من خلال المقابر الأثرية في منطقة من المناطق أو حضارة من الحضارات. ثم عن المعتقدات

والمشاعر والعواطف يمكن أن تنبئ عنها الصور والرسوم والتماثيل أكثر ممّا تنبئ عنها النصوص" (الحسناوي، ٢٠٢٢) ، وأكد لوسيان فيفر "أن التاريخ الجديد يجب أن يحرر نفسه من الوثائق وما تفرضه من تحديدات، وأن عليه أن يستخدم كافة ما يستعمله الإنسان: اللغة، والعلامات، وأدلة الريف، ونُظم الحقول، والأساور، والقلائد. - وكل مصدر آخر يمكن الحصول عليه، وبالاختصار: فإن عليه أن يكون منفتحًا لكل مكتشفات، وطرق العلوم الأخرى، كالجغرافية، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعليه في نفس الوقت ألا ينجرف في النزاعات التي برزت في العشرينيات والثلاثينيات في تقسيم نفسه إلى عدد من التخصصات (التاريخ الاقتصادي، تاريخ الأفكار ...، إلخ) التي يسير كل منها في طريقه الخاص، ففصل التاريخ عن مضماره الاجتماعي هو أسوأ من عبث ومن المؤكد إنه كان مضللا" (باراكلو، ١٩٨٤، ص٦٤؛ أبو شوك، ٢٠١٧؛ أبو شوك، ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١).

ويرى علماء هذه المدرسة ضرورة ترتيب العلوم الإنسانية والاجتماعية في وضع حلزوني يقر تداخلها مع بعضها، أي العلوم ذات الصلة بعلم التاريخ التي تمكن الباحث في التاريخ من وضع الحدث التاريخي في إطار شمولي، يستوعب كل أنواعه المرتبطة بالفعل الإنساني والظروف المحيطة به، وفق مناهج تخصصية متعددة ومتكاملة في استقرائها لمفردات الحدث التاريخي وإعادة تركيبه بصورة أقرب إلى الواقع(مارّو، ١٩٧١م، ص ص ١٩٤-١٩٥).

ووفقًا لهذه الخطوات الإجرائية يمكن القول أن هذه المدرسة تضع الباحث في التاريخ على طريق يؤدي إلى اكسبه كل من: المعرفة التاريخية، ومهارة تفسيرها، ومع الانفجار المعرفي الهائل في هذا العصر أصبحت المهمة الأولى سهلة وميسورة[1]، ولكن الذي يصنع الفارق هي القدرة على وضع هذه المادة التاريخية في سياقاتها التاريخية، وربطها في انساق متعددة مما يجعل

(١) بل لم تعد ذات قيمة، حيث أصبحت المعرفة في متناول الجميع، ولم يعد المؤرخ صانع المعرفة التاريخية الوحيد، بل أصبح هناك ظاهرة عالمية، وهي: "المؤرخون الهواة" أو الموازن، هؤلاء لم يدرسوا التاريخ، ولا منهاج البحث فيه، ومع ذلك لهم انتاج في هذا المجال. للمزيد عن هذه الظاهرة. انظر: (Cebalo,2020)

المؤرخ "مُفكر": عارف بالماضي، فاهم له، وواعٍ بالحاضر وقضاياه متواصل معه، ومحاور له، وبهذا "يُثري فهمنا لأنفسنا وزماننا ... إن التاريخ لا يقتصر على حفظ التواريخ والحقائق، بل يتجاوز ذلك ليصبح أدبًا وفلسفةً، وفنًّا، وسياسةً؛ إن جمع هذه العناصر في إطار واحد هو ما يجعل من التاريخ مصدرًا غنيًا لفهم أعمق للحياة الإنسانية بأبعادها المتعددة"(الغويدي، ٢٠٢٤م)، واذا كانت هذه صفة المؤرخ المفكر، وهي التفاعل مع الظواهر المعاصرة له بوعي المؤرخ، ومعرفته، فإن هذه الورقة تُعنى هنا بتكوين هذا النوع من المؤرخين، من منظور أحد الدعائم التي تقوم عليها مدرسة الحوليات وهي العناية بطرح الفرضية.

ثالثًا: الفرضية في البحث التاريخي:

تعد الفرضية جزءًا أساسيًا من منهجية مدرسة الحوليات ورؤيتها في أبحاث التاريخ، وترى أنه يتطلب من الباحث – عند كتابة دراسة في التاريخ – أن يولي الفرضية عناية خاصة قبل البدء في تصور تلك الإشكالية البحثية، وبما أن التاريخ فيه أحداث مضت وأصبحت حقائق ثابتة لا جدال فيها، وكتب عنها الكثير من الدراسات، وصدرت فيها الكثير من الكتب، فيتبادر إلى الباحث تساؤل مفاده: ما الذي يمكن أن أضيفه إلى هذا الموضوع؟ وهو هنا أمام أمرين: إما أن يلخص عشرات الكتب والدراسات حول الموضوع (عن: دولة، أو معركة، أو ملك، أو صراع ...) دون إضافة أي شيء جديد، وإما أن يطرح أسئلة جديدة على الموضوع، ويرى مشكلات/ قضايا في التاريخ من زوايا أخرى، ويعطي فرضيات لها تجيب عن تلك التساؤلات؟.

وتشكل الفرضية المخرج المناسب للرقي بالدراسات التاريخية؛ فهي من جانب تتسق مع العلوم الأخرى ومنها العلوم الإنسانية والاجتماعية التي ينتمي إليها التاريخ، والتي تنطلق الدراسات فيها من فرضيات يطرحها الباحثون، ثم يسعون – عبر منظومة منهجية محددة – إلى التأكد من تلك الفرضيات إثباتًا أو نفيًا، ويخرج بنتائج تعبر عن ذاتية، وتضيف لبنة للمعرفة في مجاله.

وكان لوسيان فيفر (١٨٧٨-١٩٥٦م) يردد مقولة: "لا هندسة معمارية دون مشروع معماري، ولا تاريخ دون فرضية عمل"(غي تويلييه – جان تولار، ٢٠٠١م، ص٣٣)؛ لأنه عند طرح الإشكالية البحثية تتشكل أجوبة ممكنة ومحتملة مؤقتة تنتهي إلى صياغة فرضية (الحسناوي، ٢٠١١، ص٥٠)، فالباحث يحتاج إلى فرضية تاريخية عندما تكون أدلته محدودة، وهذا يعني أنه يستنتج من الأدلة والحجج لتفسير محتمل لأحداث مفتوحة على التساؤل أو التأويل، فعندما تكون أدلته كاملة ولا لبس فيها يكون وصل إلى حقيقة؛ لكن في حالة الفرضية يعتمد الباحث على التخمين والتكهنات، والحدس، "ووفقا لمعظم المؤرخين، فإن الفرضية الجيدة يجب أن تعطينا أبسط توضيح مع أقوى قوة تفسيرية، ولا ينبغي للفرضية التاريخية أن تخلق مشاكل أكثر مما تحل".

أ. أهمية الفرضية:

وتوصف الفرضية أنها أداة أساسية من أدوات البحث التاريخي يستخدمها الباحث في سعيه للإجابة عن التساؤلات التي يطرحها على مادة بحثه، وهذه التساؤلات عادة ما تكون على ثلاثة مستويات معرفية أساسية؛ هي:

١. أسئلة تستهدف التحري عن حقيقة ما حدث.

٢. أسئلة تتعلق بالكيفية التي وقع بها الحدث.

٣. أسئلة تتعلق بالقوانين العلمية المستمدة من النظريات، والمقاربات المبنية على دراسة الماضي لتفسير ما حدث.

ومن هنا تبرز أهمية الفرضية بصفتها أداة لا غنى للباحث عنها في الحصول على إجابات لتلك الأسئلة التي تعبر عن جوهر البحث التاريخي، وتشكل رؤية المؤرخ، ويبني عليها تفسيره للحدث الذي يتصدى لدارسته(عباس، ٢٠٠٩، ص٦٥).

وقد طرح مارك بلوخ، الذي كان عمله على أساس الفرضيات، القضية بوضوح بافتراضه أن الخطوة الأولى لكل بحث تاريخي ومنذ البداية، لا بد أن تكون هناك **"الروح**

المرشدة"، وأن مجرد **"الملاحظة السلبية"** للقضايا والأحداث، مع افتراض إمكانية ذلك، لا تسهم أبدًا بأي شيء ذي قيمة، أي علم (بلوخ، ٢٠١٣، ص ١٣٤).

وإذا كان الباحث مدركًا أنه "يجب أن يصل البحث التاريخي إلى نتائج جديدة عن موضوع محدد، وهذا في حد ذاته نوعًا من التحدي ... يجب عليك أن تكوّن فرضية، وهي تعتبر واحدة من أهم خطوات كتابة البحث"(ستوري، ٢٠١٤م، ص٢٣). لذلك؛ ينظر للفرضية إلى أنها شرط لازم لتقدم المعرفة التاريخية، كما أنها شرط أساس في إعطاء المصادر بأنواعها معنىً حقيقيًا؛ "فالنصوص لا تقدم إجابات جاهزة لمن لم يستطع استنطاقها بسبب افتقاره إلى الفرضية، فبدون الفرضية والسؤال يكون الفهم مستحيلًا، فالمؤرخ لا يذهب ليتسكع في الماضي على غير هدى، مثل جامع الخرق الذي يبحث عن لقيات، وإنما ينطلق وفي ذهنه هدف محدد ومُشكِل يتطلب حلًا، وفرضية عمل تستوجب التمحيص" (إدريسي، ٢٠٢١م، ص٨١)، ذلك أن التنوع غير المحدود للقضايا التاريخية واتساع الظواهر، والأحداث المتنوعة وعدم القدرة على الإحاطة بها تبعث في النفس الشك واليأس من مواصلة البحث في تاريخ هذه القضايا والأحداث، ولكن عند وجود فرضية يصبح تركيز البحث على جوانب محددة بناء على مبدأ "الإقصاء والاختيار"، الذي لا مفر منه أمام التعدد الهائل في الظواهر؛ فهو يحصر دائرة الرؤية، ويوجه الانتباه إلى مسار خاص بالباحث ويصرفه عن غيره، مستمدًا من الفرضية المعدة مسبقًا المساعدة في البحث للتدليل على صحتها من خلال المصادر (إدريسي، ٢٠٢١م، ص٨١).

ويعرض الباحث الوزان لأهمية الفرضية، وأنه من دون وجود فرضيات في البحث التاريخي تفسر قضايا التاريخ ومسائله: "فإنه لا يمكن لأقسام التاريخ ... أن تستمر في العمل، ولن يكون هناك مبرر لفتح برامج الدراسات العليا ومنح درجات الماجستير والدكتوراه؛ لأن البحث من دون توصل لجدليات وفرضيات لن يثري تصوراتنا عن التاريخ، ولن يعطينا إجابات بديلة لمشاكل وظواهر تاريخية مهمة، ولن يقودنا نحو التقدم

والتطور في فهمنا للماضي"(الوزان، ٢٠١٦، ص٣٨) ؛ ذلك أن الفرضية هي الفكرة المركزية التي تقود البحث التاريخي(رمبولا، ١٤٣٤، ص٨٩).

ومع أن النظرية الوضعية أو الواقعية ما تزال تهيمن على رؤية الشخص العادي للعلوم ومنها التاريخ، إلا أنها لم تعد تحمل قدرًا كبيرًا من الإقناع للمتلقي، ولم يعد الفكر الاستقرائي و"الملاحظة السلبية" من السمات المميزة من المنهج العلمي، وبما أن كل ملاحظة سواء للعالم الطبيعي أو البشري هي انتقائية، ومن ثم "فهي تفترض فرضية أو نظرية، مهما كانت غير متماسكة، ومن وجهة نظر كارل بوبر؛ فإن المعرفة العلمية لا تتكون من قوانين، بل من أفضل الفرضيات المتاحة (مصطفى، ٢٠١٧م، ص١٦٠)؛ إنها معرفة مؤقتة وليست مؤكدة. ويتقدم فهمنا للتاريخ من خلال صياغة فرضيات جديدة تتجاوز الأدلة المتاحة حاليًا، ويجب اختبارها مقابل المزيد من الملاحظة التي إما أن تدحض الفرضية أو تدعمها، وبما أن الفرضيات تتجاوز الأدلة، فإنها تنطوي بالضرورة على ومضة من البصيرة أو قفزة خيالية، وغالبًا ما تكون أكثر جرأة كلما كان ذلك أفضل؛ مما يجعل المنهج العلمي في حقيقته حوارًا بين الفرضية ومحاولة التفنيد، أو بين الفكر الإبداعي والنقدي. بالنسبة للمؤرخين، يعد هذا تعريفًا أكثر ملاءمة للعلم من التعريف الذي حل محله"(Tosh, 2002, Pp174-5).

ويشير توش إلى محورية السؤال وتوجيهه في البحث التاريخي، وأن الفكرة السائدة بأن مهمة المؤرخين هي بكل بساطة الكشف عن الماضي وعرضه كما هو فكرة غير صحيحة، لأن جوهر البحث التاريخي من وجهة نظره هو الاختيار من المصادر الملائمة، والحقائق التاريخية، والتفسيرات المهمة في كل مرحلة يُحدد فيها الباحث اتجاه السؤال(Tosh, 2002, Pp178).

كما يرى أن الفصل الحاد بين الحقيقة التاريخية، وقيمتها المعرفية الذي يطالب به اتباع المدرسة الوضعية غير قابل للتطبيق في التاريخ. وبهذا المعنى فإن "المعرفة التاريخية ليست، ولا يمكن أن تكون، "موضوعية" (أي مستمدة تجريبياً في مجملها من موضوع التحقيق). وهذا لا يعني، كما قد يفترض المتشككون، أن الأمر تعسفي أو وهمي. ولكن من الضروري

أن نقيّم بعناية افتراضات ومواقف المؤرخين أنفسهم قبل أن نتمكن من التوصل إلى أي استنتاج بشأن الوضع الحقيقي للمعرفة التاريخية(Tosh, 2002, Pp178).

ب. تعريف الفرضية:

تعددت تعريفات مفهوم الفرضية في الدراسات التاريخية بحسب وجهات نظر علماء المنهجيات ومنطلقاتهم الفكرية والمعرفية؛ ومما عرفت به الفرضية **أنها**:

- ما نتوقعه من نتيجة في البحث.
- سؤال صِيغَ بطريقة علمية يمكن من خلالها إعطاء إجابة محددة.
- موقف يمكن إخضاعه لاختبار مدى صحته.
- إضافة فكرية نظرية لسد فجوات معينة في المعرفية لظاهرة معينة، أو جملة من الظواهر التي نعرف بعضًا من أحداثها أو أجزاء أو جوانب معينة منها.
- رابطًا ضروريًا بين النظرية والبحث الذي يؤدي إلى اكتشاف معرفة جديدة في المجال الذي يطرقه الباحث.

وشبه بوبر الفرضيات بأنها عبارة عن شباك صيد، ومن يرميها يصطاد شيئًا ما، وهذا يعني أن من يضع الفرضيات فقط هو الذي يملك فرصة لتفسير حدث ما، وشرحه؛ فهي في نظره محاولة لاستخراج القانون العام الذي يفسر الحدث موضوع الدراسة، ومحاولة لاكتشاف العلاقة السببية التي تحكم الظاهرة في كل زمان ومكان(Dragan, 2021, p170).

وعرف رؤوف عباس الفرضية أنها مقولة تتم صياغتها كإجابة "محتملة "عن سؤال معين في مجال علمي محدد دون استناد إلى أدلة كافية، ولا يمكن الاطمئنان إليها كنقطة انطلاق على طريق البحث إلا بعد اختبارها بدقة والتحقق من صحتها، وبذلك تصبح التساؤلات التي يصوغها المؤرخ بحثًا عن إجابات لها"؛ ويرى أن للفرضية في العلوم الإنسانية عامة وخاصة التاريخ سمة مميزة لها عن الفرضية في العلوم الطبيعية التي تكون الفرضية فيها "قاصرة على تفسير الظاهرة، ولكنها في البحث التاريخي مواكبة لجميع خطوات البحث"(عباس، ٢٠٠٩، ص٦٦)؛ فهي إجابة عن سؤال، ومحددة بعيدة عن

التعميم الموسع، وأنها قابلة للنقاش، وليست قطعية؛ مما يفتح المجال لطرح أسئلة أخرى من الباحثين(رامبولا، ١٤٣٤هـ، ص٩١).

يعرف كل من كريستيان لافيل وجون ديون الفرضية: أنها تفسيرٌ محتملٌ، ولو أنه مؤقت، فهي تشير إلى أن هناك خطوات استنباطية اتخذت في أساسها من المشكلة، وأنها قد بلغت نهايتها وأصبحت الفرضية، بعد ذلك ينطلق الباحث إلى خطوات جديدة يغلب عليها الطابع الاستنتاجي، يُرجع فيه إلى الواقع لإخضاع ذلك التفسير للاختبار على محك الأحداث. وبهذا المعنى فإن "الفرضية تؤدي حقًا دور المحور الذي يتمفصل [يتنظم] حوله مظهرا البحث (التفسير والاستنباط) الذي تتجلى هنا سمته الفرضية – الاستنتاج بوضوح تام. فلن نبالغ – إذن – إن ألححنا بقوة على أهمية الفرضية، متى بنيت بعناية؛ إذ هي القلب النابض والمحرك للخطوات المنهجية المتبعة في بناء المعارف"(إدريسي، ٢٠٢١، ص٨١).

فهي جواب متقدم يستدعي البحث والتحقق، وهي إجابة افتراضية عن تساؤلات البحث، أو جواب مؤقت في انتظار التحقق من نتائج الدراسة، فالفرضية تتضمن متغيرين يكشف الباحث من خلالهما الصواب والخطأ (الصديقي، ٢٠١٣م، ص٦٠)، فهي في المحصلة النهائية تعكس ما توصل إليه الباحث في موضوع بحثه مبنيًا على تحليل نقدي، وتفسيرًا للمادة العلمية في المصادر التي اطلع عليها (رامبولا، ١٤٣٤هـ، ص٩٠).

لذا؛ فإن أهم الطرق التي يمكن للمؤرخين من خلالها الحذر من تحيزهم عند تفسيراتهم للماضي بوعي هي صياغة فرضيات، واختبارها بالأدلة المتاحة، وقد لا تكون مثل الفرضية أكثر من مجرد تفسير مؤقت يقترحه المؤرخ من خلال قراءة المراجع الثانوية ذات الصلة للمشكلة التاريخية المطروحة، والفرضية ليست مجرد تقييم أولي لظرف تاريخي معين في مصطلحاته الخاصة، بل تعكس طبيعة المجتمع وطبيعة الثقافة السائدة. "وبذلك فإن الفرضيات التاريخية ترقى إلى مستوى تطبيق للنظرية، وتمثل النظرية في العديد من التخصصات تجريد التعميمات (أحيانًا القوانين) ناتجة عن تراكم نتائج البحث. ونادرًا ما

يستخدم المؤرخون هذا المصطلح بهذا المعنى، فالنظرية بالنسبة لهم عادة ما تعني إطار التفسير الذي يعطي قوة دافعة للتحقيق ويؤثر على نتائجه"(Tosh, 2002, p204).

ويصل الباحث إلى طرح الفرضية بعد سلسلة منتظمة من الإجراءات البحثية تبدأ **بالآتي:**

الإشكالية البحثية في التاريخ: الإشكالية البحثية في التاريخ هي محاولة لإعادة ترتيب الماضي انطلاقا من "علاقة الحاضر بالماضي ... فهي مرحلة أولية في كل نهج تاريخي، وتتضمن في طياتها كل القضايا التي تؤطر البحث من بواعث وأهداف وانشغالات وتساؤلات ومشاكل، بالإضافة إلى كونها تعبر عن شخصية المؤرخ..."(الصديقي، ٢٠١٣، ص٥٩)، ولا بد أن تكون الإشكالية مثيرة لاهتمام الباحث، ويتوفر لها القدر الكافي من المصادر والأدبيات التاريخية، ويمكن البدء بموضوع واسع، مثل فترة أو منطقة أو حركة سياسية أو اجتماعية، ثم تضييق نطاقها إلى جانب أو مشكلة معينة، من خلال تحديد الأطر التاريخية (الزمنية)، والجغرافية، والموضوعية (سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ...)، ثم تحديد عنوان البحث، وهذا يأتي بعد قراءات متعددة المستويات، تبدأ بالدراسات السابقة، التي تفضي بالباحث إلى المصادر والمراجع حول الموضوع، فهو يدرج داخل الإشكالية تصور الحدود التي يضعها لموضوعه.

وكل بحث تاريخي له مبرراته المقنعة والقوية بالقدر الذي يبذله الباحث من جهد في قضية محددة، من خلال وضع فرضية، والبحث عن الأدلة الوثائقية، ثم إعادة تركيب الأجوبة على الفرضية، بإثبات أو نفي استنتاجات سابقة في الموضوع، وبذلك تعد الإشكالية البحثية قطيعة معرفية فاصلة بين المعرفة التاريخية في المدرسة الوضعية، ومدرسة التاريخ الجديد.

إذًا، فالإشكالية البحثية هي خيط ناظم، أو إطار تصاغ فيه مشكلة البحث والفرضية، والدراسات السابقة، والنواقص التي يراها الباحث، ومقاصد الباحث ودوافعه، وهي

كاشفة لوعي الباحث بحدود مشروعه ودواعيه، ونابع من حاجة ملحة في وقته، فهي بمثابة التعاقد بين الباحث والقارئ (إدريسي، ٢٠٢١، ص٦٧، ٨٢).

سؤال البحث: السؤال البحثي هو سؤال رئيس يوجه دراسة الباحث، وهو في الواقع يندرج ضمن أسئلة أخرى موازية، أو أسئلة مكملة له، وتساعد الباحث على تحديد فرضيته، والسؤال / الأسئلة تكون ضمن نطاقين: الأول مجتمعي؛ بمعنى يكون معبرًا عن زمن الباحث ومجتمعه، ومعبرًا عن الذات الحاضرة للباحث، ومجتمعه وعن مشكلات زمانه، واشتغاله بالكشف عن ثغرات معرفية تاريخية تهم مجتمعه الحاضر، ومبنيًا على معرفة بزمن الدراسة ومجتمعها، وبالدراسات السابقة عنها، ومعرفة بطريقة استخدام المصادر، والمفاهيم والنظريات المتصلة بموضوع البحث.

وهناك نطاق علمي، بمعنى لا يكون السؤال سؤالًا نظريًا، بعيدًا عن الواقع، فلا بد أن يسير بالبحث التاريخي إلى الأمام بسد ثغرة علمية، من خلال الإجابة عن أسئلة ما زالت دون إجابات، أو كانت إجاباتها ناقصة، ولذلك لا بد أن يكون السؤال ضمن عدد من الأسئلة الأخرى الموازية للسؤال الرئيس أو المكمل له (إدريسي، ٢٠٢١، ص٧٨)، ومرفق به الأجوبة الممكنة، ويتيح العمل على المصادر بأنواعها اختبار الإجابة منها، ولذلك؛ فالسؤال من الضروري أن يندرج ضمن ما يعرف بالنظرية، لذا لا بد للباحث في التاريخ أن يهتدي بنظرية؛ لأنها تمد الباحث بالأسئلة، وبالمفاهيم في موضوعه البحثي.

صياغة السؤال: تخضع صياغة السؤال لمبدئين، هما: الدقة، والانفتاح، بمعنى أن يكون السؤال "دقيقًا ومحصورًا وناتجًا عن جهل دقيق"، وعندما يكون السؤال في هذه الحالة فهو يضع المطلوب في نطاق محدد ومطابق للنقطة الذي يدور حولها البحث، وتتوفر لها المصادر. ومن جانب الآخر يبرز ضرورة كون السؤال مفتوحًا بمعنى "يتوازن فيه التأييد والاعتراض"، بحيث يقبل الحكم بـ "نعم" أو "لا"، ويحصل الحسم في هذا النوع من الأسئلة بحذف إحدى الإمكانيتين، أو على الأقل يمكن تغليب إحداهما(إدريسي، ٢٠٢١، ص٨٠)، ويتجنب أن يكون السؤال واسعًا في إطاره المتعدد (الزمانية أو المكانية أو

الموضوعية)، ويتجنب الغموض المغرق، ثم ينظم الباحث ويرتب نتائج الدراسات السابقة ويقيمها؛ إذ منها ينطلق إلى وضع فرضيته، وبذلك يتضح أن الفرضية ليست سؤالًا عاديًا في البحث، بل سؤال مهم يوجه الباحث خلال مراحل البحث بأكمله، فخلال البحث وقراءة المصادر يتطلب الأمر تعديل الفرضية وفقًا لما يحصل عليه الباحث من إجابات، وبهذه الطريقة طوال مدة البحث فإن الباحث "سيقترب أكثر وأكثر من تكوين الحجة الثابتة"(ستوري، ٢٠٢١، ص٢٣).

مراجعة الأدبيات السابقة: يحتاج البحث -قبل أن يطور الباحث فرضيته الخاصة- إلى مراجعة الدراسات السابقة (الكتب والأبحاث، والمراجعات، ...) عن موضوعه، وتحديد الأدلة، والمناقشات، والثغرات الرئيسة في تلك الدراسات؛ مما سوف يساعد على فهم السياق التاريخي للأحداث، والتعرف على وجهات النظر المختلفة، أو المتعددة حول الموضوع.

تحديد الأدلة الخاصة: الخطوة الرابعة هي تحديد الأدلة الخاصة بالباحث، أو المصادر الأولية والثانوية التي سيستخدمها لدعم فرضيته أو تضادها. والمقصود بالمصادر الأولية هي التي لم تكتب للتاريخ مثل: الوثائق الأصلية، أو المصنوعات اليدوية، أو الشهادات التي أُنتجت أو شوهدت في الماضي، مثل: الرسائل، أو المذكرات، أو الخطب، أو الصحف، أو اللوحات. والمصادر الثانوية هي تفسيرات أو تحليلات المؤرخين أو غيرهم من العلماء للمصادر الأولية، مثل: الكتب، أو المقالات، أو الأفلام الوثائقية.

ج. صياغة الفرضية، وتطويرها:

بما أن مشكلة البحث بالنسبة للباحث – بما تشتمل عليه من الأسئلة – تعبر عن أن هناك نقصًا معرفيًا، وينتظر جوابًا مرتقبًا، وهذا الجواب يمكن فحصه والتحقق من صحته، فتكون هنا الفرضية، وهي مرحلة متقدمة من مراحل البحث، وعندما ينجز الباحث وضع فرضية متماسكة وقابلة للتطوير، ويتنظر منه تدعيم هذه الفرضية بالأدلة التاريخية على صوابها. وعادة ما تكون الفرضية التاريخية نوعين: إما أن تكون لقضية تاريخية لم تدرس من قبل، وإما أن تكون لقضية درست من قبل ولكن يراد التأكد، أو التفنيد ونقد المنجز سابقًا

بصورة منهجية جديدة، واستنادًا إلى مصادر ومعطيات استجدت، أو طريقة تحليلية جديدة (الوزان، ٢٠١٦، ص٣٩)، هذا من الناحية الشكلية. أما من ناحية المضمون فهناك "الفرضيات التفسيرية التي يفسر بها الباحث الحقائق ويصوغ العلاقات العلية (السببية) التي يستند إليها التفسير؛ والفرضيات البنْيَويَّة التي تعنى بتركيب المادة المتصلة بالماضي في الإطار الزمنى والنوعي" (عباس، ٢٠٠٩، ص٦٧).

وبما أن الفرضية تعد جوابًا متقدمًا يستدعي التحقق والبحث، فهي إجابة افتراضية عن تساؤلات الإشكالية التي تقدم بها الباحث، لذا؛ يجب أن تقدم الفرضية ادعاءً يمكن اختباره ومناقشته، فهي بحاجة إلى التطوير والتقييم المستمر من الباحث وفق المتغيرات الجديد من معلومات المصادر. فالفرضية في الواقع تعكس وجهة نظر الباحث الخاصة، وقدر مساهمته في النقاش التاريخي حول الموضوع، وبهذا يتعين عليه أن يراجع تلك الفرضية باستمرار، ويقيمها من حين لآخر وفق المستجدات من المعلومات، ووجهات النظر التحليلية؛ لمعرفة نقاط القوة والضعف فيها، ويمكنه تقييم فرضيته من خلال طرح بعض الأسئلة، مثل:

- هل تجيب الفرضية على أسئلة البحث؟.
- هل تتناسب الفرضية مع أدلة الباحث؟.
- هل تتناول الفرضية الأدبيات المتوفرة؟.
- هل للفرضية المقدمة معنى منطقي وتاريخي؟
- هل على الفرضية أي قيود أو انتحالات؟.
- هل تثير الفرضية أي أسئلة أو مضامين جديدة؟.

ومن خلال تقييم الفرضية، يمكن للباحث تجويدها وبيان صلاحيتها وأصالتها.

ويشار إلى أن صياغة الفرضية تمثل إبداعًا فكريًا للباحث لها صلة وثيقة بإعادة تركيب الحدث في إطار تفسيري، ويقدم من خلالها إجابة عن سؤال سبق أن طرحه الباحث أو ربما طرحه باحث آخر سبق إلى دارسة الموضوع واكتفى بطرح التساؤل ولم يجب عليه، وبهذا

تكون "الفرضية – من حيث بناؤها– اجتهاد فردي فكرًا وصياغة، فإذا ظهرت مادة جديدة أو مصادر جديدة أثبتت صحة الفرضية كان ذلك دليلًا على تمتع المؤرخ صاحب الفرضية بنظرة ثاقبة، وإذا كشفت مصادر جديدة عَوَارًا فيها تُدحض، ويُفكر في فرضية جديدة في ضوء المعطيات التي وقع عليها الباحث" (عباس، ٢٠٠٩، ص٦٧).

ويرى توش أنه من المرجح أن يتحقق تقدم كبير في الفهم التاريخي عندما يقدم الباحث فرضية مصاغة بصورة واضحة، ويمكن البرهنة عليها، وأنه قد لا تتوافق – بالضرورة– الإجابات مع الفرضية، وهنا لا بد من استبدال الفرضية أو تعديلها، إلا أن مجرد طرح أسئلة جديدة له تأثير مهم في تنبيه السائرين على نهج المدرسة التقليدية إلى جوانب غير مألوفة من قضايا تاريخية مألوفة، وإلى معلومات غير متوقعة في مصادر قيمة وجديدة (Tosh, 2002, p174.).

وضرب مثالًا بأسباب الحرب الأهلية الإنجليزية؛ فقد فسرها مؤرخو القرن التاسع عشر باعتبارها مشكلة تتعلق بإيديولوجيات سياسية ودينية متنافسة، وقد اختاروا بناءً على ذلك من الكم الهائل من معلومات عن إنجلترا في أوائل القرن السابع عشر، فيما سعى – منذ ثلاثينيات القرن العشرين فصاعدًا – عدد من الباحثين إلى تطبيق النهج الماركسي في الصراع. ونتيجة لذلك؛ أصبحت المواد الجديدة المتعلقة بالثروات الاقتصادية لطبقة النبلاء والأرستقراطية والبرجوازية الحضرية مصادر لها أهمية بالغة. وفي السنوات اللاحقة استخدم العديد من المؤرخين منهج المؤرخ لويس نامير (٢٧ يونيو ١٨٨٨ – ١٩ أغسطس ١٩٦٠م) الذي اتخذ منظور الصراعات الدستورية والعسكرية والتنافس بين الفصائل، والنخب السياسية، وأن شبكات المحسوبية والمؤامرات في المحكمة أدت دورًا أكبر في تلك الحرب؛ ويرى توش أن العبرة ليست في تبني أيٍ من المناهج الماركسية أو النميرية[1]، أو غيرها، وأن

(١) النميرية: نسبة إلى لويس بيرنشتاين نامير (٢٧ يونيو ١٨٨٨/١٩ أغسطس ١٩٦٠م) مؤرخ بريطاني من أصل يهودي بولندي، اشتهر بكتابته عن تاريخ برلمان بريطانيا العظمى، وخاصة السياسة الإنجليزية في ستينيات القرن الثامن عشر، فسر السياسة البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر أنها كانت تقوم على التنافس على المناصب

أيًا منها يقدم تفسيرًا شاملًا لتلك الأحداث، "بل إن كل فرضية سلطت الضوء على بعض العوامل المهملة سابقًا، والتي سيكون لها تأثير على أي تفسير مستقبلي"(Tosh, 2002, p174.).

لذلك؛ ينبغي للباحث أن يكتب الفرضية لمنظور محدد، بصورة واضحة، ومفهومة؛ فالفرضية ملازمة له طوال خطوات البحث، وعليه الابتعاد عن عدد من صور أو صيغ الفرضيات الضعيفة، منها:

- الفرضيات التي يعتمد إثباتها على أدلة أو قرائن غيبية أو غير منطقية، وغير عقلانية.
- الفرضيات التي يعتمد إثباتها على أدلة بعيدة زمانًا أو مكانًا عن زمان ومكان القضية التاريخية محل البحث.
- الفرضيات التي تعتمد على مسلمات معرفية معروفة سلفًا ومثبتة حسًا وتواترًا، ومتفق عليها.
- الفرضيات التي تهدم تصورات وتفسيرات سابقة، ولا تقدم بديلًا لها.
- الفرضيات التي تنفي وجود شيء محتمل أو مرجح الوجود لمجرد عدم ورود دليل واضح يثبته، أو ما يعرف بـ"حجة الصمت"(الوزان، ٢٠١٦، ص٣٩)[1].

وبناء الفرضيات وصياغتها لها علاقة وثيقة بالنظريات التي يستخدمها بعض الباحثين لتفسير الظواهر التاريخية؛ فما يسمى بالنظرية في البحث التاريخي "تستند إلى عدد من الفرضيات التي لم تدحضها مصادر جديدة أو أدلة مادية، وتظل لها مصداقيتها النسبية، وقد تكون" النظرية " في حد ذاتها "فرضية "الطابع"، خاصة ما تعلق منها بأصول الشعوب، وبعض الحضارات القديمة، وبعض الجماعات الإثنية (عباس، ٢٠٠٩، ص٦٧).

والنفوذ بين أفراد النخبة السياسية، لا على أفكار مثل: الحرية أو الديمقراطية، أو التنافس مع الملوك الأجانب، أو الآثار الاجتماعية للتغير الصناعي الذي حدث في تلك الفترة. للمزيد انظر: (الموسوعة البريطانية، الزيارة في ١٠ أبريل ٢٠٢٥م).

(١) عن "حجة الصمت" انظر بحث مك جرو عن هذا المفهوم (McGrew, 2014,215-228).

والفرضية هي إحدى الطرق التي يمكن للباحث من خلالها البعد عن تفسير الماضي بغير وعي، وتبعده عن التحيز بصياغة فرضيات واختبارها في ضوء الأدلة المتاحة، وقد تكون مثل هذه الفرضيات تفسير مؤقت يقترحه الباحث بعد قراءة المراجع الثانوية ذات الصلة المباشرة بمشكلة البحث المطروحة، ولا تعد الفرضية تقييمًا أوليًا لحدث تاريخي معين في ضوء مصطلحاته الخاصة؛ فالحدث يعكس عادة عدة افتراضات معينة حول طبيعة المجتمع، وثقافته، وهنا يرى توش أن "الفرضيات التاريخية ترقى إلى مستوى تطبيق للنظرية، وتمثل النظرية في العديد من التخصصات تجريدًا للتعميمات (أحيانًا القوانين) من تراكم نتائج البحث في هذه القضايا، إلا أنه نادرًا ما يستخدم المؤرخون هذا المصطلح بهذا المعنى؛ فالنظرية بالنسبة لهم عادة ما تعني الإطار التفسيري الذي يعطي قوة دافعة للتحقق ويؤثر في نتائجه" (Tosh, 2002, p204).

ويختلف الباحثون في التاريخ بصورة حادة حول الأخذ بالنظريات وجعلها منطلق البحث التاريخي، فهناك من هو ملتزم بقوة بالتوجه النظري المحدد للبحث، ويعترف بالدافع الذي يمكن أن تقدمه نقطة البدء من النظرية، في حين نفسه يقاومون أي فرض للنظرية على الأدلة التاريخية؛ ويعتبر آخرون أن أي استخدام للنظرية يعد تعديًا على استقلالية التاريخ بصفته نظامًا معرفيًا له طبيعة خاصة(Tosh, 2002, p204). من جانب آخر هناك من يؤكد على أن استئناس المؤرخ بالنظرية واستفادته منها في البحث مطلب مهم؛ فهي تخرج الباحث عن التقليدية القائمة على الوصف والتحليل لتقرير الواقع كما وقعت، إلى رحاب التفكير فيما خلف هذه الوقائع من التعميمات المفيدة للمعرفة أكثر بالحاضر، واستشراف المستقبل، ولهذا يؤكد المؤرخ البريطاني إدوارد كار (١٨٩٢ – ١٩٨٢م) أنه من غير المعقول القول إن التعميم دخيل على التاريخ؛ "فالتاريخ يعيش على التعميمات". وينقل عن المؤرخ جيفري إلتون (١٩٢١ – ١٩٩٤م) أن: "ما يميز المؤرخ عن جامع الوقائع التاريخية هو التعميمات" (كار، ٢٠١٨م، ص٦٢)، ويؤيده في ذلك المؤرخ الأمريكي المعاصر جون غاديس (٢ أبريل ١٩٤١م - ...) من أنه من الخطأ الادعاء أن المؤرخين يرفضون استخدام النظرية؛ "لأن

النظرية هي في النهاية تعميم، وبدون التعميم لن يجد المؤرخون ما يقولونه"(غاديس، ٢٠١٦م، ص٨٠).

والتعميمات التي يصل إليها الباحث في التاريخ هي بمثابة الدروس المستفادة من خلال استقراء الباحث واستنباطه للمفاهيم من مجموعة معينة من الأحداث المتشابهة التي تنتج ظواهر متشابهة إلى مجموعة أخرى، والتي تشترك معها في العلة؛ لصياغة قضية عامة اعتمادًا على الملاحظات والجزئيات النوعية في الأحداث؛ مما يعطي الباحث القدرة على التنبؤ. ويشبه إدوارد كار المؤرخ بعالم الطبيعة، الذي يختلف عن الباحث في التاريخ الطبيعي، أو جامع العينات، على أن ما يميز المؤرخ أن التعميم في التاريخ لا يسمح له بإنشاء مخطط كبير، أو نموذج واسع المدى تُسَكن فيه الأحداث (كار، ٢٠١٨، ص٦٢، ٦٤؛ محاسيس، ٢٠١٠م، ص ٦٧).

ذلك أن الباحث في التاريخ لقضية محددة لا يمكنه – لانقطاع الزمن – ادعاء الإحاطة بجميع تفاصيل الحدث؛ لتعذر الإحاطة بشهادة كل المعاصرين والفاعلين في الأحداث والعوامل والأسباب المباشرة وغير المباشرة، لذلك يستخدم التعميمات (النظريات) في تفسير السرديات التي يوردها، والتفسير هنا أولوية بالنسبة للمؤرخ، فهو يخضع التعميمات للحدث، وليس العكس كما في العلوم الاجتماعية الأخرى، التي تخضع الظاهرة للنظرية أو للتعميم من أجل تأكيد الفرض أو التعميم أو تفنيده، وتعرف بـ"العلاقة بين المفرد [الحدث]، والعام [النظرية/ التعميم]، أو "التعميم الخاص" (كار، ٢٠١٨، ص٦٣؛ غاديس، ٢٠١٦، ص ٨١).

وهذا الفرق بين النظرية المدمجة في الحدث أو السرد التاريخي، وبين النظرية المهيمنة كما في العلوم الاجتماعية الأخرى، وبين التعميم المحاط بالزمن في التاريخ، والتعميم المتجاوز للزمن في العلوم الأخرى: "يجعل من المؤرخين يعملون بشكل مختلف عن زملائهم في العلوم الاجتماعية"، ويؤكد غاديس هذا القول عند تناوله لتاريخ الحرب الباردة من أن المؤرخين يستخدمون "تعميمات محدودة وليست واسعة، فنحن نادرًا ما ندعي قابلية نتائجنا

للتطبيق فيما وراء أزمنة وأماكن محددة ... فالمؤرخون مهيؤون لإقرار وجود اتجاهات أو أنساق، وهي بالتأكيد ليست قوانين تنطبق على كل الحالات، ولكن المؤكد أنها لا تعدم فائدة"؛ لأن المؤرخين يؤمنون بالسببية العارضة لا السببية المطلقة، بمعنى ربما يكون هناك تبادل ادورا وأولويات بين الأسباب الرئيسة والأسباب الثانوية بحسب الحدث التاريخي، لأنه كما قيل المؤرخ لديه "حس شبكي بالواقع. إننا نرى كل شيء موصولًا بكل شيء على نحو ما"(غاديس، ٢٠١٦، ص٨١، ٨٢)؛ ولذلك يفضل الباحث في التاريخ المحاكاة، وإعادة التمثيل على النمذجة.

ويجب أن يتعامل الباحث في التاريخ مع النظريات/ التعاميم، والمفاهيم وفق نظرة خاصة تخدم الموضوع، فهو يستخدم "شتى المنهجيات والأطر – أيًّا كانت – للمساعدة على فهم المعطيات وتفسيرها، وفي المقابل تركها وتخطيها عندما لا تتماشى مع الدلائل والقرائن المطروحة. هذا بدلًا من محاولة حشر واقع المنطقة وتاريخها وتصويرهما واختزالهما في أُطر ومفاهيم معلبة وجاهزة فقط؛ لأنها موجودة ورائجة، أو لسهولة التعامل معها، أو لأنها أعجبت الباحث أو تأتي متماشية مع أجندة أو منطلق أيديولوجي معين، بحيث يصبح الإطار والمفهوم هما الأساس، فيما يتوارى إلى الخلفية فهم العلاقات الاجتماعية للمكان والزمان بكل تشعباتها وتضاريسها"(الشهابي، ٢٠٢٢، ص ٣٨).

وهناك عدد من النظريات/ التعميمات التفسيرية تناولت حقبًا من التاريخ، وعددًا من الأقاليم في العالم يمكن للمؤرخ الاستفادة منها والاستئناس بها، ومنها:

نشأة المدن ووظيفتها، وقيام الدول وسقوطها، ونظرية التابع، وما بعد الاستعمار، وتفسير هجرات الشعوب عبر العصور التاريخية، وتفسير أسباب تطور الرأسمالية وإخفاقها في مناطق من العالم ومنها العالم الإسلامي، وثنائية الوفرة والندرة، واقتصاد المعيشة والاقتصاد السياسي، وعلاقة الموارد الطبيعية بقوة سلطة الدولة، وتفاعل المركز مع الهوامش، أو دينامية الحالة الطبيعية، والعنف والكولونيالية في التاريخ الاقتصادي، والوحدة والتمزق في الشعوب، وحضور التراث في جدلية الوحدة والتنوع في المجتمعات المعاصرة،

وصراع نخب المدنية والريف مع الشرائح الاجتماعية الأخرى في التاريخ الاجتماعي، وغيرها من النظريات والمقاربات التي يستفيد منها الباحث في دعم فرضياته(النقيب، ١٩٨٩، ص٢٧؛ عباس، ٢٠٠٩، ص٦٧؛ حوراني، ١٩٩٧؛ Veracini, 2023).

د. بنية الفرضية بين العلوم الاجتماعية والتاريخ:

تشترك العلوم الاجتماعية مع التاريخ في أنها تدرس نشاط الإنسان في الماضي والحاضر التاريخ يدرس الماضي قضاياه ومشكلاته، وتجاربه؛ فيما العلوم الاجتماعية المتعددة تدرس الظواهر المعاصرة (اقتصادية، اجتماعية، سياسية...)وكلاهما أيضا تشتركان في دراسة أسباب هذه الظواهر والمشكلات والقضايا ونتائجها، وكما تعرف في التاريخ بالأسباب الرئيسة والأسباب الثانوية للأحداث ؛ فهي تعرف في العلوم الاجتماعية بالمتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة؛ وتشتركان في وسائل دراسة هذه القضايا، والظواهر من خلال طرح الفرضيات التي تعد أساسية في موضوع البحث، وينبغي أن يكون للفرضية في العلوم الاجتماعية دائمًا بنية محددة، وتتكون من متغير مستقل واحد على الأقل ومتغيرات تابعة، وإيجاد العلاقة بينها، وهذه العلاقة يعبر عنها بأنها موضع الفرضية

يظهر الاختلاف بين التاريخ والعلوم الاجتماعية في ناحيتين هما :طبيعة مجال الدراسة فالقضايا التاريخية والمشكلات، والتجارب الإنسانية التي هي مجال دراسته نتائجها الكبرى معروفة سلفا، مثل قيام دولة، أو سقوطها، أو ازمة اقتصادية، أو اجتماعية لمجتمع ما، وقد حلت وانتهت، فهنا دور المؤرخ فهم للقضايا التاريخية، وتفسيرها؛ "لهذه يلجأ إلى "المحاكاة أو إعادة تمثيل بعملية ذهنية للوقائع من خلال القراءة والبحث الاسترجاعي للقضايا محل الدراسة، لذا لا يوجد ذلك الفصل الحاد بين المتغيرات/ الأسباب إلا في حجم التأثير؛ فهي متداخلة وتعمل في منظومة سببية واحدة، وهذه نقطة الافتراق بين البحث التاريخي والبحث في العلوم الاجتماعية فهذه الأخيرة ظواهر اجتماعية أو اقتصادية لم تنتهي بعد، ولازالت تتفاعل قدمًا، ولا يعرف كيف تنتهي الظاهرة (غاديس، ٢٠١٦، ص٨٩) ويصبح دور الباحث هنا موقف أصعب ،فمطلوب منه فهم الظاهرة، واستشراف المستقبل؛ وهنا يلجأ

إلى مفهوم "الاختزال"، الذي عُرف أنه" ..الاعتقاد بأن خير وسيلة لفهم الواقع تفتيته إلى أجزاء كثيرة، وبلغة رياضية فإنك تبحث داخل المعادلة عن **المتغير** الذي يحدد قيمة كل **المتغيرات** الأخرى أو بصورة أوسع تبحث عن العنصر الذي إذا استبعدناه من سلسلة أسباب تغير الناتج"(غاديس، ٢٠١٦، ص٧٢). ومن أصول الاختزال أن توضع الأسباب في تراتبية ابتداءً، أي غير متساوية في الأهمية، ومن ثم تدرس الظاهرة من منظر محدد، من خلال متغير واحد رئيسي يعرف بالمتغير السببي المستقل، وهناك متغيرات تابعة، أو المفسرة، وقد تدرس الظاهرة نفسها من أكثر من منظور وبتنبؤات متعددة؛ ذلك أن هذه العلوم نتائجها قد تصبح مشاريع وبرامج عمل للجهات المتعددة المعنية بمعالجة هذا الظواهر، وصاحب القرار يصبح لدية أكثر من تصور/ سيناريو للمعالجة.

ويضرب جري كنق مثال على ذلك: " ..لنفترض أننا مهتمون بدراسة التأثير السببي للزيادة العالية في أسعار النفط على الرأي العام، وذلك لنقص من المعروض من الطاقة، ويمكننا الحصول على مقادير أسعار النفط)المتغير السببي/ الرئيسي لدينا (من الصحف، ومن خلال استطلاعات الرأي) متغير تابع لقياس تصور الجمهور عن نقص في الطاقة ولكن قد نتساءل عما إذا كان علينا التحكم في تأثيرات التغطية التلفزيونية لمشاكل الطاقة، فمن المؤكد أن التغطية التلفزيونية لمشاكل الطاقة ترتبط بكل من المتغير التفسيري المتضمن(أسعار النفط الخام (والمتغير التابع) الرأي العام بشأن نقص الطاقة. ولكن بما أن التغطية التلفزيونية هي في جزء منها نتيجة لأسعار النفط في العالم الحقيقي، فلا ينبغي لنا أن نتحكم في تلك التغطية في تقييم التأثير السببي لأسعار النفط على الرأي العام لنقص من المعروض من الطاقة (Keohane, King, 1994, P173).

يحاول الباحثون في العلوم الاجتماعية بذلك "إثبات طريقة عمل نظام ما في الماضي لتكوين صور مستقبلية متنوعة محتملة للظاهرة محل الدراسة؛ بهدف تكوين وعي معين حول تحديات المستقبل، ولذلك يقلل هنا الباحث عدد المتغيرات؛ لـ "يسهل الحساب ويبسّط مهمة الاستشراف" (غاديس، ٢٠١٦م، ص٨٣)؛ ولذلك يأخذون برأي علماء المنهجية في هذه العلوم التي "تتلخص في تعظيم الاستفادة من خلال الحد من عدد المتغيرات التفسيرية

التي نريد أن نستنتج منها استنتاجات سببية. وفي الحد من المتغيرات التفسيرية، يتعين علينا أن نحرص على تجنب تحيز المتغيرات المحذوفة ...فالمشروع الناجح هو المشروع الذي يفسر الكثير بالقليل. وفي أفضل الأحوال، يكون الهدف هو استخدام متغير تفسيري واحد لشرح العديد من الملحوظات على المتغيرات التابعة"(Gary, Keohane, p.123) فهم يرون أن تصميم البحث على قاعدة أن يفسر الكثير بالكثير غير مفيدة.

وبما أن الباحث في التاريخ لا يعمل على استشراف المستقبل -الذي هو ليس من شروط المحاكاة- وبما أن ينظر إلى بنية القضية التاريخية أنها تتصف بـ"الفوضى" وعلى الباحث أن يفكك ذلك التعقيد ويعيد ترتيب أحداث المشهد التاريخي[1]"و"التعقيد وتركيبها من خلال "العرض الاسترجاعي، وتفسيرها، ولذلك فإن تعدد المتغيرات/ العوامل والأسباب عند باحث التاريخ مهم؛ "لأن الأمر هنا قضية أعمق وتردنا إلى القول، "إنه على الرغم من استحالة معرفة الماضي معرفة كاملة فإن معرفته أكبر من معرفة المستقبل (غاديس، المشهد التاريخي،ص٨٣) ولذلك في البحث التاريخي يسير البحث بصورة معاكسة للبحث في العلوم الاجتماعية حيث يفسر القليل من الأحداث باستخدام الكثير من المتغيرات وبصورة تبادلية بين تلك المتغيرات إلى أن يصل إلى أقرب نقطة من حقيقة الواقع في القضية التاريخية.

ويوضح تانتشي تش صورة تصنيف المتغيرات السببية والتفسيرية في الفرضية التاريخية إلى: **متغيرات نوعية**، تعبر عن الخصائص المتغيرة للقضية التاريخية، أو صور الأحداث أو علاقاتها أو عواملها، فيما تعبر **المتغيرات الكمية** عن التفاصيل المؤثرة، والمتأثرة بالمتغيرات النوعية من: الأبعاد، والكميات، والتكرارات، والأحكام الكمية الأخرى؛ إذ يمكن لهذه المتغيرات أداء أدوار مختلفة في الفرضية، وتعتمد المتغيرات على التعيين العملي والنظري

(١) "الفوضى، والتعقيد"، نظرية توصف بها القضايا التاريخية، وفي ضوء هذا التصور لا يمكن دراستها بطريقة اختزالية كما هو الحال في العلوم الاجتماعية. للمزيد انظر: (غاديس، ٢٠١٦، ص ٨٩، ٩٤).

للموضوع. ويعبر عن المتغير الكمي حصريًا، ورقميًا، مثل القليل – الكثير، أكثر/ أقل، انخفاض النمو، قبل / بعد(Dragan, 2021, P171).

على سبيل المثال:

- **السؤال الرئيس (الفرضية/ الأطروحة): إلى أي حد استخدم التجنيد الإجباري في بلاد الشام خلال المدة ١٩٠٨-١٩١٨م؟.**

ويتفرع التساؤل إلى الأسئلة الآتية:

- ما المناطق الشامية التي فرض عليها التجنيد؟
- كم عدد الأشخاص الذين فرض عليهم التجنيد؟
- كيف كان يجري التجنيد الإجباري في بلاد الشام؟
- ما مدى نظامية (شرعية) التجنيد الإجباري في بلاد الشام؟[1]
  - **المتغير المستقل / الرئيس**: التجنيد الإجباري.
  - **المتغيرات التابعة**: الإصلاحات النظامية. الاتحاد والترقي. بلاد الشام. الحرب العالمية الأولى، عدد السكان، ... .

وأشار تانتشي أيضًا إلى أنه عند الحديث عن الفرضيات، يتعين دائمًا وضع المؤشرات في الاعتبار؛ فهي في الواقع مظاهر للحدث، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن تسجيلها والتعرف عليها بالإدراك الذي يمكن من خلاله اكتساب معرفة حقيقية أعمق عن الموضوع، فهي تشير إلى بنية الفرضية، وفي المعنى الذي يتوافق مع النظام المفاهيمي المصطلحي والدلالي لها، والسبب في ذلك هو أن هذا المظهر نفسه لحدث واحد في أوضاع مختلفة، وفي مواقف مختلفة، وفي أوقات مختلفة، وفي مواضع مختلفة يمكن أن يكون له معانٍ مختلفة(Dragan, 2021, p171).

ففيما يتعلق بمثالنا المذكور أعلاه يمكن أن يرد في الوثائق العثمانية الخاصة بالتجنيد

(١) السؤال محاكاة للمثال الذي ضربه د. محمد الصديقي، ولكن في ظروف أخرى. انظر: (الصديقي، ٢٠١٣، ص٦٠).

الإجباري في بلاد الشام بصورة متكررة: كلمات، أو جمل أو عبارات لعدة مرات وعلى طول مدة الدراسة؛ مما يكون فيه مؤشرات كمية تتكرر في مواضع معينة من الوثائق، وهل هي مؤشر على: الحياد، التحيز، التمييز في تناول موضوع التجنيد، وهل التجنيد متسق مع المبادئ والقوانين المعلنة، المطبقة على الجميع وملتزم بها.

وقد يثار تساؤل عن الفرق بين الفرضية في البحث التاريخ والعلوم الطبيعية، وهل بينهما تقارب في نقاط منهجية معينة؟ أشار توش إلى أنهما يلتقيان في بعض افتراضاتهما المنهجية الأساسية، إلا أن هناك اختلافات مهمة تظل قائمة؛ ففي التاريخ يُسمح للخيال بدور؛ بصورة أكبر بكثير من العلوم الطبيعية، ليس فقط في صياغة الفرضيات، بل إن الخيال يتخلل تفكير المؤرخ؛ لأن المؤرخين لا يهتمون فقط بتفسير الماضي؛ بل يقومون أيضًا بإعادة بناء أو إعادة إنشاء الماضي لإظهار كيف كانت تجربة الحياة، وكيف يمكن فهمها، وهذا بطبيعة الحال يتطلب تفاعلًا خياليًا مع عقلية وأجواء الماضي؛ لأن تقييم المصادر أولًا هي أولوية تعتمد على إعادة بناء الفكر الكامن وراءها، فالتاريخ في النهاية لون خاص من ألوان الفكر، ويجب على المؤرخ محاولة الدخول إلى العالم العقلي لأولئك الذين أنشأوا المصادر، وتنوع السلوك الفردي وعدم القدرة على التنبؤ بتقلبات النفس الإنسانية، وهذا على خلاف انتظام السلوك الجماعي الذي يمكن رصده، فإن صفات التعاطف وقدرات الحدس لدى الباحث التاريخي إضافة إلى المهارات المنطقية والنقدية تساعده في ذلك (كولنجوود، ١٩٦١، ص٣٩؛ Tosh,2002,p176).

وفيما يستطيع الباحثون في العلوم الطبيعية إنشاء بياناتهم الخاصة المتصلة عن طريق التجربة المخبرية، فإن المؤرخ يواجه دائمًا ثغرات في الأدلة لا يمكنهم تجسيرها إلا من خلال تطوير حاسة خاصة مستمدة من صورة متخيلة تشكلت عبر تجربة معايشة الوثائق بأنواعها مخلفات ذلك الماضي، ولذلك؛ يعد الخيال أمرًا حيويًا للمؤرخ. فهو لا يولد فرضيات قيمة فقط، بل يستخدم في إعادة بناء الأحداث والمواقف الماضية التي تختبر تلك الفرضيات من خلالها(كولنجوود، ١٩٦١، ص٤٢٩؛ Tosh,2002,P177).

والفارق الثاني والأكثر أهمية بين التاريخ والعلوم الطبيعية هو أن مكانة التفسيرات التي يقدمها المؤرخون أقل صلابة بكثير من مكانة التفسير في العلوم الطبيعية، فمع أن التفسيرات العلمية قد لا تكون أكثر من فرضيات مؤقتة، ولكنها في معظمها فرضيات متفق عليها من جميع من هو مؤهل للحكم عليها، وقد تستبدل يومًا ما، لكنها تمثل في حينها أقرب ما يمكن للحقيقة، ويُعترف بها عمومًا على هذا النحو. أما قضايا التفسير التاريخي فنادرًا ما يُجمع عليها المؤرخون، مع أنه قد لا تكون الحقائق المعروفة موضع شك، ولكن منهج تفسيرها أو نتائج تفسيرها هي مسائل للنقاش المفتوح، ويعود سبب هذا التنوع في الآراء في مناهج البحث التاريخي ونتائجه إلى تأثر السلوكيات الفردية والجماعية بمجموعة هائلة من العوامل المتناقضة، فكل موقف تاريخي فريد من نوعه؛ لأن التكوين الدقيق للعوامل السببية غير قابل للتكرار(كولنجوود، 1961، ص429؛ Tosh,2002,P177).

وضرب توش مثالًا على ذلك بأسباب انسحاب القوى الاستعمارية الأوروبية من معظم مستعمراتها الأفريقية خلال الخمسينيات والستينيات، وكانت مشتركة بين قرابة ثلاثين منطقة مختلفة، واختلفت الأسباب. وبناء عليها؛ تختلف النتائج، من تلك الأسباب: تباين قوة السلطة الاستعمارية، وقوة الحركة القومية من بلد إلى آخر، وتجربة البلاد في التغيير الاجتماعي، وحجم المجتمع الأوروبي المقيم في البلد الـمُستَعمر، وغير ذلك من الأسباب. ولهذا فلا بد من دراسة كل موقف بصفة مستقلة، مع احتمال ظهور نتائج مختلفة.

وبناء على ذلك، فإن الأساس لنظرية شاملة للسببية التاريخية في هذه الحالة غير ممكنة؛ لأن الأدلة لا تستطيع لوحدها إخبارنا بالأهمية النسبية لكل عامل من العوامل أو سبب من الأسباب المتنوعة، أو القدرة على تقديم صورة شاملة لكيفية تفاعلها بعضها ببعض، ولا تتناول المصادر بشكل مباشر – في كثير من الحالات – بعض القضايا الأساسية في التفسير التاريخي، مثل: المؤثرات على السلوك البشري من: البيئة الطبيعية، أو الحالة النفسية، والأوضاع غير العقلانية التي تُدرك لا شعوريًا؛ وغيرها من الأمثلة، التي تؤكد أنه لا يمكن الوصول إلى تفسير تاريخي منطقي بالرجوع فقط إلى الأدلة، ويسترشد المؤرخون

أيضًا بإحساسهم البديهي بما كان ممكنًا في سياق تاريخي معين، ومن خلال قراءتهم للطبيعة البشرية، وغيرها من المؤشرات التي تظهر لهم، إلا أنهم غالبًا لا يتفقون على كل من هذه القراءات. ونتيجة لذلك؛ يمكن لعدة فرضيات مختلفة أن تستخدم في وقت واحد، وهذا ما أشار إليه كار من أن التعميم حاسة عند الباحث في التاريخ بطبعه، ويضرب مثالًا: أنه وهو المتخصص في الثورة الروسية يقول: "... عندما أقرأ كتاب الثورة الفرنسية لكاريل، أجد نفسي مرارًا وتكرارًا أعمم ملاحظاته من خلال تطبيقها على مجال اهتمامي الخاص في الثورة الروسية" (كار، ٢٠١٨، ص٦١؛ Tosh,2002, p177).

ولذلك فإن البحوث التاريخية، بحاجة دائمة للمراجعة وطرح أسئلة جديدة حول المواضيع المبحوثة وفق تصور البحث التاريخي المبين أعلاه الآخذة بالفرضية، وقد أشار روبن جورج كولينجوود)1889-1943م (إلى أن البحوث التاريخية مثلها مثل كل البحوث العلمية لا تنتهي بناء إلى قاطعة لا مراجع ليها؛ ذلك أن المادة التاريخية التي نستعين بها في دراسة قضية تاريخية معينة تتغير تبعا لما يحدث من تغير في مناهج البحث التاريخي وتبعا لتعدد نواحي اختصاص المؤرخين، وتغير الأسس التي تفسر هذه المادة التاريخية استنادا إليها، وبما أنه يفترض من الباحث عند تفسير هذه المادة التاريخية أن يحشد له كل ما لديه من ألوان المعرفة الأخرى من :المعرفة التاريخية، ومعرفته بالطبيعة والإنسان، وغيرها من المعارف، والأساليب العقلية، والتجريبية في التحليل، فإن كل هذه العناصر تتغير ولا تقف عند حد مع الزمن، ولذلك :**"يتعين على كل جيل جديد أن يعيد كتابة التاريخ بطريقته الخاصة كما يتعين على كل مؤرخ جديد ألا يقتنع بمجرد إجابات جديدة يسوقها على أسئلة قديمة بل لا بد من مراجعة هذه الأسئلة نفسها وسنجد ما دام التفكير التاريخي نهرا يفيض بالتغيير المتواصل الذي لا قرار له ولا استقرار أنه حتى المؤرخ الواحد الذي يعرض للبحث موضوعا واحدا في فترة معينة لا بد حين العودة من جديد لسؤال "قديم أن يجد أن هذا السؤال نفسه قد تغير**"(كولنجوود ١٩٦١، ص١٢٩).

الخاتمة:

يتضح من العرض السابق من تعريف الفرضية، وأهميتها في البحث التاريخي، وفي تكوين المؤرخ المفكر، وما يرتبط بها من أدوات منهجية، ويمكن ابراز ذلك من خلال أهم النتائج التي وصلت إليها الدراسة فيما يلي:

- أن الفرضية ركن أساس في مدرسة الحوليات ضمن الهيكل الاجرائي لهذه المدرسة في انجاز الدراسات التاريخية، في اطار من التكامل مع العلوم الإنسانية الأخرى.
- أن الفرضية تفتح المجال لإعادة دراسة مواضيع سبق أن درست من منظور مختلف، وبها تنتهي مقولة: "الموضوع قتل بحثًا".
- أن الفرضية تفتح المجال لطرح أسئلة جديدة على كل مواضيع، في مقاربة الباحث مع العلوم الإنسانية الأخرى، والاستفادة من منهجيتها، وتعمياتها، ونظرياتها أيضًا.
- أن الفرضية وما يتبعها من تساؤلات تنفذ إلى الأفكار؛ فتجعل مهمة المؤرخ تتعدى اختيار المصادر ذات الصلة بالموضوع، وجمع الحقائق التاريخية، وتلخيص الماضي للكشف عنه، والتثبت منه، إلى وضع التفسيرات المهمة، من خلال استخدام الفرضيات، إن طرح الأسئلة على النصوص، وتحديد اتجاه التساؤلات بقدر ما تقدمه المعلومات؛ يكتسب الباحث مع مرور الوقت "الوعي التاريخي"، الذي هو في أساسه معني بمنطق الأحداث التاريخية، ومنطق صانعيها، ولا يعنى بالأحداث نفسها، بل بالقدرة على توصيف واقعه، وتحديد الاتجاهات والأنساق العديدة الذي تسيره للمستقبل، وهنا تكمن قيمة التاريخ وأهميته، في أن يصبح المؤرخ مفكرًا حقيقيًا في حاضره، مشتغلًا به، منخرطًا في قضاياه، مفيدًا لوطنه ومجتمعه، عن وعي حقيقي بدوره؛ لديه القدرة على استبصار مسار الأمور إلى الأمام، خاصة ما كان في التاريخ القريب من واقع المؤرخ. ولعل مثل هذه الخطوات تغير في الانطباع الذي قال به **يوسف فان إس**: "ما أكثر المفكرين عندكم أنتم العرب، وما أقلّ المؤرخين!" (السيد، ٢٠٢١).

المصادر والمراجع:

إدريسي، مصطفى حسني. (٢٠٢١). *الفكر التاريخي وتعلم التاريخ*، دار أبي رقراق، الرباط.

برودل، فرنان. (٢٠١٣). *الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية*، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

بلوخ، مارك. (٢٠١٣). *دفاعًا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ*، ترجمة أحمد الشيخ، المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، القاهرة.

تويلييه، غي، وجان تولار. (٢٠٠١). *مهنة المؤرخ*، ترجمة عادل العوّا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت.

التيمومي، الهادي. (٢٠١٣). *المدارس التاريخية الحديثة*، دار التنوير، بيروت.

جاك لوغوف. (٢٠٠٧). *التاريخ الجديد*، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

جفري باراكلو. (د.ت). *الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية*. ترجمة: صالح أحمد العلي، الرسالة، بيروت.

حبيدة، محمد. (٢٠٢٣). *بؤس التاريخ*، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، https://2u.pw/GIolaAS الزيارة في ٧ نوفمبر.

------. (٢٠١٨). *المدارس التاريخية*، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط.

------. (٢٠١٦). *بؤس التاريخ*، دار الأمان، الرباط، ط٢.

------.(٢٠٠٤). *من أجل تاريخ إشكالي – ترجمات مختارة*، الدار البيضاء، (د. ن) مطبعة النجاح الجديدة.

الحسناوي، عبدالرحيم. (٢٠٢٠). التاريخ المفاهيمي: مقاربة إبيستيمولوجية، *مجلة دراسات*، العددان الثالث عشر والرابع عشر– كانون الأول/ ديسمبر.

------. (٢٠١١). *النص التاريخي*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

------. (٢٠٠٢). حفريات في مفهوم الوثيقة التاريخية: مقاربات وتصوُّرات، *مجلة الكلمة*، https://kalema.net/home/article/view/1524

درغوت، نبيل. (٢٠١٤). *حوار مع الدكتور محمد الطاهر المنصوري الحوليات ودراسة قضايا التاريخ العربي*، مؤسسة مؤمنون بلا حدود في ٤ ديسمبر ٢٠١٤م على الرابط https://2u.pw/TdFFv9r

رازقي، محمد البشير. (٢٠٢٣) *التاريخ كرهان أخلاقي*، مركز نهوض للدراسات والأبحاث، (دراسات) .https://nohoudh-center.com.

رامبولا، ماري لين. (١٤٣٤هـ)، دليل الكتابة التاريخية، ترجمة تركي بن فهد آل سعود، ومحمد بن عبدالله الفريح، دارة الملك عبد العزيز.

ستوري، ويليام كلهر. (٢٠١٤). *كتابة التاريخ*، ترجمة حسين أحمد الشيخ، جامعة الملك سعود.

الشهابي، عمر هشام. (٢٠٢٢). *نزاعات الحداثة والوطنية والاستعمار في البحرين والخليج*، ترجمة حمد أحمد الريس، مركز نهوض للدراسات والبحوث، الكويت.

أبو شوك، أحمد. (٢٠٢١). *دورة مدخل إلى علم التاريخ*، مركز ابن خلدون، جامعة قطر، ٢٧ أكتوبر، قناة يوتيوب دقيقة ١٧ , ١

------. (٢٠١٧). المنهج التكاملي في دراسة التاريخ، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت، مج ٣٨، ع ١٣٨.

------، وآخرين. (٢٠١٩)، *أزمة العلوم الاجتماعية: المظاهر والآفاق*، ندوة علمية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر، أكتوبر.

الصديقي، محمد العربي. (٢٠١٣) *التعريف التاريخي في منهج المؤرخ*، مطابع الرباط نت، الرباط.

عباس، رءوف. (٢٠٠٩). *ملاحظات منهجية حول كتابة تاريخ مصر*، ضمن كتاب تاريخ مصر إلى أين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

غاديس، جون لويس. (٢٠١٦). *المشهد التاريخي كيف يرسم المؤرخون خارطة الماضي؟* ترجمة شكري مجاهد، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة.

فِرّو، قيس ماض. (٢٠١٣). *المعرفة التاريخية في الغرب*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.

قاسم، عبده قاسم. (٢٠٠٠). *تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية*، دار عين، القاهرة.

القشطيني، خالد.(١٤٢٥هـ). في مقاله والتفاعل معه "يا له من مخلص"، *صحيفة الشرق الأوسط*، الأربعـاء ٠٩ ذي القعـدة ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٤ العدد ٩٥٢١.

كار، إدوارد . (٢٠١٨). *ما هو التاريخ*؟ ترجمة: ريهام عبدالمعبود، عالم الأدب للنشر، القاهرة.

كولنجوود، ر.ج، (١٩٦١). *فكرة التاريخ*، ترجمة محمد بكير خليل، القاهرة :لجنة التأليف والترجمة والنشر.

لانجلوا، شارل فيكتور وشارل سينوبوس. (١٩٨١م). المدخل إلى الدراسات التاريخية في النقد التاريخي، ترجمة، عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات.

محاسيس، نجاة سليم ، (٢٠١٠). *مفاتيح علم التاريخ*، دار زهران للنشر، عمان.

مصطفى، عادل (٢٠١٧). *المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري*، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

المنصوري، عبدالسلام. (د.ت). ندون قراءة في كتابي "البيوغرافيا والتاريخ "والكتابة التاريخية". *صالون وعي الثقافي*. https://www.facebook.com/salon.waay/

الموسوعة ------، الزيارة في ١٠ ابريل ٢٠٢٥م https://2u.pw/gi9Bb

الموسوعة البريطانية. الزيارة في ١٥ فبراير ٢٠٢٥م https://2u.pw/n5RlF

النقيب، خلدون. (١٩٨٩م). *المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية*، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط٢.

هموش، محمد أبر، (٢٠١٢) *من التاريخ السردي إلى التاريخ الإشكالي*، صحيفة صوت العروبة، ١٢ يوليو. https://2u.pw/kQGTCiYn

هوبزبوم، (٢٠١٠). *دراسات في التاريخ*، ترجمة عبدالإله النعيمي، كتاب الأسبوع، جريدة القاهرة، القاهرة، ٢٠١٠م.

الوزان، فيصل عادل. (٢٠١٦). *دليل البحث التاريخي*، دار المرقاب للنشر، الكويت.

Arndt, David, The Two Cultures and the Crisis in the Humanities, https://eric.ed.gov/?id=EJ1098521

Barton, Aden.(n.d). *Five Theses on the Humanities Crisis*. https://2u.pw/UgZNZ;

Cebalo, Anton Stjepan.(n.d) Historians in the Age of the Internet: A Look at YouTube, https://zt.ms/Vj8.

Dragan Lj. Tancic and Dalibor M. Elezović Hypotheses in historical research, Bastina 31(53), April 2021, https://zt.ms/tOuv

How can you create a historical hypothesis? https://zt.ms/msJ

How to create a hypothesis for a historical research?, https://zt.ms/HMFL.

King, Gary, (1994), Robert O. Keohane, Sidney Verba, *Designing Social Inquiry*: Scientific Inference in Qualitative Research; Princeton University.

Pan, David (1998) *The Crisis of the Humanities and the End of the University*. UC Irvine.*https://escholarship.org/uc/item/55d6v7vb#author*;

Timothy McGrew. (2014). The Argument from Silence, *Acta Analytica* 29 (2), https://zt.ms/N19i

Veracini, Lorenzo. (2023). *Colonialism: A Global History.* London: Routledge.

What Do We Mean by "Historical Hypothesis"? https://zt.ms/elq2.

Why should humanities education persist in an AI age? Self-development, to start, ; Published: February 3, 2025 6.53pm GMT, https://2u.pw/F32KB.

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠-١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١-١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص٤٣-٨٤، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 43-84, King Saud University, Riyadh (1447H / 2025)

الطرز المعمارية لبيوت القرية الحجازية من خلال كتب الرحالة "أساسًا وتأثيثًا"

(٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧ – ١٩١٦م)

أ.د. آمال رمضان عبدالحميد صديق
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، الولايات المتحدة الأمريكية
amaloj1123@gmail.com
(قُدِّم للنشر في ٦/ ٠٤/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٣٠/ ١٠/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة والتحليل الطرز المعمارية لبيوت القرية الحجازية من خلال كتب الرحلات الحجازية والاستكشافية في الفترة الزمنية (٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧– ١٩١٦م). وتهدف الدراسة إلى التعرف على الطرز المعمارية المختلفة لبيوت القرية الحجازية، وكيف استطاع الأهالي الاستفادة من معطيات البيئة المحلية في إنشاء بيوتهم وفق إمكاناتهم المادية وطبيعة أراضيهم الجغرافية، فاستفادوا في تشييد البناء وتأسيسه وفرشه وتأثيثه من الرمل والطين والحجر والجير، وجذوع الأشجار وسعف النخيل، فبنوا عناصر معمارية تفي بمتطلبات المعيشة، من غرف ومخازن، وأفنية ومطابخ وحظائر المواشي، أو أماكن الدواجن، واختاروا في فرشه الأثاث البسيط والمتناغم مع طبيعة البناء وتقاليدهم وعاداتهم.

الكلمات الافتتاحية: بيوت القرية الحجازية، خصائص الموقع، مواد البناء وعناصره، الأثاث.

Architectural styles of Hejaz village houses through traveler books "Basically and furnishing"

Prof. Amaal Ramadan Abdel Hamid Siddiq
Islamic University of Minnesota, United States
amalojl123@gmail.com

(Received: 6/ 04/ 1446 H; Accepted for publication: 30/ 10/ 1446 H)

Abstract:

The research studies and analyzes the architectural styles of Hejaz village houses through Hejaz travel and exploratory books in the time period "923 - 1334 AH/ 1517 – 1916 AD "

The study aims to identify the different architectural styles of the houses of the Hejaz village, and how the people were able to benefit from the data of the local environment in establishing their homes according to their financial capabilities and the nature of their geographical lands, so they benefited in constructing, establishing, furnishing and building from sand, clay, stone, lime, tree trunks, palm fronds, camel and goat hair. And sheep's wool, they built architectural elements that meet the requirements of living, such as rooms, a storeroom, a courtyard, a kitchen, a barn for livestock, or a coop for poultry They chose simple furniture that was in harmony with the nature of the building and their traditions and customs.

Keywords: Gazia village houses, site characteristics, building materials and elements, furniture.

المقدمة:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، فمن نعمه العظيمة على عباده أن هداهم لبناء البيوت وجعلها لهم مقرا ومستقرأ للراحة والأمان، قال تعالى:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}[النحل: ٨٠].

وقد تناغمت البيوت عبر امتداد الزمن في طريقة بناءها والمواد المستخدمة في تشييدها مع الخصائص الجغرافية للمكان، ومناخ المنطقة، وعادات وتقاليد المجتمع؛ فعكست المستوى الحضاري للحقبة التاريخية التي وجدت بها.

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أكتب عن بيوت القرية الحجازية، وتنوعها من منطقة لأخرى حيث الاستفادة من معطيات بيئة المكان في تشييدها، فجاء الدراسة تحت عنوان: "الطرز المعمارية لبيوت القرية الحجازية من خلال كتب الرحالة: أساسًا وتأثيثًا"، خلال الفترة (٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧ – ١٩١٦م)".

فرغم بساطة بيوت القرية الحجازية، والتي تتجلى في المواد المستخدمة في بنائها والعناصر المكونة لها؛ إلا أنها كانت مرآة عاكسة لملامح قاطنيها وطبيعتهم الفطرية، وسجيتهم العفوية الخاليّة من التعقيدات.

وشملت الدراسة فترة الحكم العثماني لولاية الحجاز ابتداء من سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) فقد ازدانت بتراث حضاري غني بتقاليده وعاداته[١]. وانحصرت الدراسة على بيوت قرى ولاية الحجاز[٢]، بدراسة خصائصها المعمارية، وأنماطها، وفرش أثاثها.

---

(١) شهد إقليم الحجاز بعد هذه الفترة ثورة حضارية في كافة الميادين إثر توحيد البلاد تحت راية الملك عبد العزيز آل سعود. وتأسيس المملكة العربية السعودية عام "١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م" وقيادتها نحو التقدم والتطور وفق أطر الشريعة الإسلامية.

(٢) وتشمل حدودها الإدارية يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق البادية الكبرى، ومن الجنوب بلاد قبيلة بني مالك الكائنة بجبل السراة المتاخمين لبلاد زهران هذا من جهة الجبل، وأما من جهة تهامة فيحدها جنوبا وادي دوقة، وشمالا بادية الشام إلى تبوك من الداخل ومن جهة البحر الأحمر العقبة، ومن الجنوب الشرقي من الولاية وادي رانية.. (البركاتي، ٢٠٠٧، ص ١٢٨).

ومع ندرة المصادر التاريخية وقلة الموروث الحضاري المادي الدال على آثار تلك البيوت في هذه الفترة، واندثار معظمه بين الثرى نتيجة لعوادي الأيام؛ إلا أن هذه الدراسة – والتي اعتمدت على مصادر أصيلة؛ تمثلت في كتب الرحلات الحجازية والاستكشافية لإقليم الحجاز– استطعنا من خلالها جمع ما دون بين السطور وإخضاعه للطرق والمناهج البحثية المناسبة لعرض الموضوع بطريقة تلامس الحقيقة وبصورة أقرب للواقع تبين الطرز المعمارية للبيوت القروية في منطقة الحجاز، لتكون شاهداً على عراقة الماضي وتميز الأجداد في الابتكار المعماري البسيط، استناداً إلى «الفراسة» والذكاء الفطري في تشييد تلك المباني التي تفوح منها رائحة الطين وسعف النخيل.

ويهدف البحث إلى تقديم دراسة تاريخية وصفية تحليلية لطرز البيوت القروية في الحجاز، وتنوعها من منطقة لأخرى بما يتناسب وطبوغرافية المكان، وطبيعة الموقع، وأحوال الطقس، ونشاط السكان.

كما يهدف البحث أيضًا إلى إبراز الموروث الحضاري لأجدادنا والقائم على المعرفة والخبرة والاستفادة من معطيات البيئة المحلية وتطويعها لضرورياتهم وحاجاتهم وكمالياتهم.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة [سبق عرضها]، وثلاثة محاور:

تناول **المحور الأول**: اختيار موقع البيت وعلاقته بجغرافية المكان ونشاط السكان.

وناقش **المحور الثاني**: مواد بناء البيت القروي وتخطيطه المعماري.

واستعرض **المحور الأخير** أثاث البيت ومقتنياته، ومستلزمات المطبخ وأدواته.

ثم أنهينا الدراسة بخاتمة شملت أهم نتائج البحث وتوصياته. وبعض صور بيوت القرية الحجازية التي تحاكي الماضي الجميل، ثم وضعنا ثبتاً للمصادر والمراجع التي استعنا بها لإتمام هذه الدراسة.

المحور الأول: اختيار موقع البيت وعلاقته بجغرافية المكان ونشاط السكان

يرتكز اختيار موقع البيت القروي على عدة أسس لعل أهمها توزيع مواقع البيوت بما يتوافق مع قواعد الشريعة الإسلامية من مراعاة لحقوق الجار واحترام خصوصياته وعدم التعدي على ملكيته، وأيضاً فقد حرصوا على توزيع المنازل بطريقة تسمح الوصول إليها بيسر وسهولة، بتجنب السير إليها عبر طرق وأزقة ضيقة جدا أو غير مسلوكة (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٣٨٤؛ عزب، ١٩٩٧، ص ٧١).

كما راعوا في اختيار الموقع تباعد البيوت بعضها عن بعض بقدر يحفظ خصوصيتها ولا يكشف سترها، مع الاستفادة المثلى بجميع مكوناتها، فعلى سبيل المثال لما كانت قرية العلا[1] مبانيها متقاربة لا يفصل بين المنزل والأخر سوى شوارع وأزقة ضيقة يتراوح عرضها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار؛ وجدنا بيوتها لا تحتوى على فتحات في الطوابق السفلية التي تطل على الشوارع وأيضاً جعلت تلك الفتحات الخاصة بالدور العلوي في الأسقف، واقتصر فتح النوافذ على الدور العلوي من المباني، للمحافظة على خصوصية أهل البيت، وخاصة أن في الأزقة ما يسمى "بالدكة" التي عادة يجلس الناس عليها فيتبادلون الحديث أو يبيعون ويشترون (داوتي، ٢٠٠٩، مج٢، ج١، ص٤٠).

ومما يسترعى الانتباه حرصهم في احتيار موقع البيت وتخطيطه وتوزيع مكوناته المعمارية أن تكون وفقاً لعاداتهم وتقاليدهم العربية والاسلامية، وتؤكد كذلك على فكرة احترام خصوصية أفراد الأسرة ومراعاة سكان البيت، ولعل هذا الطابع في تخطيط البيت القروي كان له أثر كبير على الكثير من الرحالة الغربيين؛ خاصة من قدر له أن يكون ضيفا على بعض سكان القرية، مثل الرحالة داوتي والذي استضافه أحد مشايخ قرية العلا في بيته، وأدخله غرفة الجلوس عبر مدخل البيت مباشرة دون أن يكشف باقي المكونات المعمارية، ويجرح خصوصية أهل البيت. (داوتي، ٢٠٠٩، مج١، ج١، ص ٣٠٠).

(١) كانت قرية زراعية، واليوم صارت مدينة فيها كل مرافق الدولة مثل الإمارة والمحكمة والمستشفى الحديث وعدة مدارس وغيرها، وهي تقع تقريبا بين المدينة وتبوك، وهي مشهورة بكثرة نخيلها وجودة ثمارها. (البلادي، ١٩٨٣، ص ١٩٩١).

كذلك راعوا في اختيار الموقع توفر مقومات الحياة فيه من ماء وغذاء، فهناك منازل انتهى بها الأمر إلى أن هجرها أصحابها بسبب ندرة المياه وانعدامها، مثل بيوت قرية البزواء[١] التي وصفت بأنها كانت (قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (الخصيكي٢٠١١، ص٩٧).

كما أثر انعدام الماء على بيوت قرى وادي السيالة[٢]؛ فخرب الوادي، واندثرت البيوت الواقعة فيه، ولم يبق منها سوى قبور أصحابها شاهدة عليها (بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص ٢٢٣).

لذا كانت مسألة توفر الماء والغذاء من أهم مقومات اختيار موقع البيت، وفي المصادر التي بين أيدينا شواهد كثيرة على ذلك فعلى سبيل المثال امتاز موقع قرية المويلح[٣] بأن: (فيه آبار كثيرة ومياه عظيمة متفرقة، وفيه نخل كثير وبساتين متعددة وكذا زروع لا تحصى) (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ١٤٢).

كما امتازت بيوت قرية رابغ[٤] بأنها (في مكان به آبار كثيرة قريبة الماء) (القيسي، ١٩٦٨، ص ٧٣).

---

(١) وصفت البزواء من ندرة مياهها وحرارة جوها بـأنها بيضاء – أي جرداء–، وهي تقع في الطريق المؤدي إلى مكة من المدينة،، بين مستورة وبدر مرتفعة عن الساحل. انظر: (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج١، ص٤١١). وهي اليوم أرض مرتفعة جرداء تعرف باسم الوسقة، لأنها تتوسق الخبت، أي الصحراء التي لا نبات فيها. وتقع جنوب مدينة الليث على عشرين كيلا بشقها درب اليمن فيها مياه ونزل للأشراف ذوي حسن. (البلادي، ١٩٨٣، ص٢٠٢).

(٢) كان الوادي قبل ذلك عامراً فقد حوى قرية السيالة، العامرة، وتعرف السيالة اليوم بأبيار مرزوق أو بئر مرزوق، أو أبيار الصفا، وكانت إحدى محطات رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم محطة للحجاج علي مر العصور حتى تحول الطريق كليا أو جزئيا إلى الفريش فاندثرت وتخربت مبانيها ويقول أهل هذه الديار أن السيالة ظلت بها الحياة حتى عهد السيارات، فصارت طريقها على الفريش، فهجرت السيالة هجرا تاما، حتى أصبحت مجهولة، وهي تبعد عن المدينة ٤٧ كيلا في طريق مكة، في الجنوب الغربي من المدينة على الطريق السلطاني. (البلادي، ١٩٨٣، ص٨٥٩).

(٣) المُوَيْلح: تصغير مالح، وهي ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، شمال ضبا، وأغلب سكانها من الحويطات. انظر: (البلادي، ١٩٨٣، ص ١٦٩٠).

(٤) رَابغ: بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع على ١٥٥ كيلا من جدة شمالا، و١٩٥ كيلا من ينبع جنوبا، وهي تتبع إمارة مكة. (البلادي،١٩٨٣، ص ٦٥٢).

وانتشرت المنازل في الأودية الخصبة والأراضي الزراعية كمنازل قرى ينبع النخل[١]، والتي تمتع موقعها بخصوبته وكثيرة الزروع والنخيل والمياه (الخصيكي، ٢٠١١، ص ٩٧).

أيضا بنيت منازل قري الصفراء[٢] (فوق وادٍ خصيب يمتاز برياضه الغناء وبوفرة أشجار النخيل فيه) (ليون روش، ٢١٠١٢، ص٥٨).

ويؤكد بوركهارت كشاهد عيان أن بيوت قرية الواسطة[٣] من قرى وادي الصفراء قد بناها أهلها بين بيارات النخيل، وفيها بساتين مترامية الأطراف وعامرة بأشجار الفاكهة. والماء موجود بعد كل خطوة على شكل آبار أو عيون (بوركهارت، ١٩٩٢، ص١٩١).

ووصف وادي فاطمة[٤] بأنه عبارة عن أرض منخفضة تزخر بالينابيع والآبار (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٢٤٤).

كما راعوا في اختيار موقع البيوت أن تكون في الأماكن المرتفعة من الأرض، لتحصينها وحمايتها من السيول وفيضانات الأودية والشرائع الهابطة من الجبال، فبنيت فوق الهِضْاب، وعلى التِلَال، وفي أحضان الجبال أو على القمم والمرتفعات، واختيرت المواقع التي تتميز بخصوبة تربتها (عيد، ١٩٩١م، ص٤٧).

(١) ينبع النخل: هو وادٍ فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة، أعلاه وادي بواط، ثم يندفع باتجاه الغرب تدريجيا حتى يدفع في البحر قرب ينبع البحر، ومن قراه العامرة: سويقة والبثنة، والبركة، والجابرية، وشعثاء وغيرها، وقد توقف الكثير من عيون ينبع عن الجريان في أواخر القرن الحالي، وسكانه من حرب وجهينة. (البلادي، ١٩٨٣، ص١٨٦٧).

(٢) من أكبر أودية الحجاز الغربية، ما بين مكة والمدينة يشتهر بكثرة عيون المياه التي تروي أراضيه الخصبة، يحوي عدد كبير من القرى من أشهرها الخيف والحمراء. (البلادي، ١٩٨٣، ص٩٩٢).

(٣) قرية عامرة، بها عيون ماء، عليها نخيل وزراعة حسنة، فيها سوق يوم السبت، وهو عامر تباع فيه جميع البضائع، والقرية تابعة لبدر، تبعد عن المدينة ١٢٨ كيلا،، وكانت تعرف بالصفراء، ومنها أخذ الوادي اسمه. (البلادي، ١٩٨٣، ص ١٧٨٥).

(٤) وادى فاطمة، أو وادي "مرّ الظهران": وهو من أكبر أودية مكة، ويقع على مسافة قريبة منها على طريق حاج مصر والشام، يمر شمال مكة على مسافة ٢٤ميلاً. (البلادي، ١٩٨٠، ص٢٥٩).

فمنازل قرية الجديدة[١] امتاز موقعها بأنه على هضبة صغيرة محصورة بين جبلين (أوليا جلبي، ١٩٩٩، ص ١٦٣؛ النابلسي، ١٩٨٦، ص٤٣٨).

وكذلك الحال بالنسبة لبيوت قرية الصفراء فقد كانت مبنية على منحدر هضبة فوق وادٍ خصيب يمتاز برياضه الغناء (ليون روش، ٢٠١٢، ص ٨٥).

وقد تقع بيوت القرية في سفح الجبل، كمساكن العلا(أوليا جلبي، ١٩٩٩، ص٩٩).

وربما استقر موقع بيوت القرية فوق التلال، مثل بيوت قرى بلاد طارف[٢] (صبري، ٢٠٠٤، ص ١٧٣).

وقد ترتفع القرية مع ارتفاع الجبل لتستقر فوق رأسه مثل قرية رأس الكرا[٣]، والتي أقيمت على قمة الجبل المسطحة، ويعد موقعها والمنطقة المجاورة لها من أجمل البقع في منطقة الحجاز(بوركهارت، ١٩٩٢، ص٢٥٤).

وهناك قرى تسامت في الصعود نحو قمم الجبال الشاهقة، لتستقر بيوتها على سراتها تلامس هام السحب، متنعمة بسماء صافية وهواء نقي، ومناظر خلابة، فقد انتشرت القرى على طول جبل الشفا[٤]، وهو من جبال الطائف الموصوفة بارتفاعها الشاهق، كقرية الفُرع التي استطاعت أن تجد لها موقعاً مناسباً على قمته لتسقر فيه، وتنشر فيه الحياة والنشاط الإنساني.

(١) الجديدة: ضد القديمة، وهي قرية من قرى وادي الصفراء، وبها سوق القرية، وهي تابعة لإمارة بدر، وتبعد عن المدينة تقريبا ١٢٨ كم من طريق بدر المدينة. (البلادي، ١٩٨٣، ص ص٣٤٨، ١٧٨٥).

(٢) طارف وتنطق بالتصغير الطُويرف، وهي الجهة الجنوبي الشرقية من خليص، وسكانه المطيرة من حرب. (البلادي، ١٩٨٤، ص٢١٥).

(٣) رأس الكَرا: أي قمة جبل كرا، وهو جبل ضخم يصعد إليه من الطريق بين مكة والطائف، كان طريقا صعبا لا تصعده غير الحمير وجمال مدربة على صعوده، ثم ذلل في العهد السعودي فافتتح طريقه سنة ١٣٨٥هـ، في رأسه مما يلي الطائف قرية تسمى الهدا وهي مصيف حميل ومزارعها كثيرة، (البلادي، ١٩٨٣، ص١٤٣٦).

(٤) الشَفا: من جبال الطائف، الواقعة على سراة الحجاز ويشتهر الشفا بطبيعته الجميلة، ويبعد عن الطائف حوالي ٣٠ كم إلى الجنوب الغربي، ويتميز الشفا بكثرة جباله الشاهقة، ذات التربة الخصبة، التي تكثر فيها الأشجار والمزارع الخضراء. (البلادي، ١٩٨٣، ص ٩٣٢).

فقد ذكر أرسلان أن الأهالي هناك ينزلون من الجبل إلى الوادي، لكن هذا الوادي عبارة عن جبل عالٍ أيضا لكنه ليس بعلو جبل الفرع، وأنها من أعلى المعمور في جبال الحجاز، ومن محاسن هذه القرية أنها واقعة في بسيط من الأرض، تحيط به الهضاب الخُضر، المغطاة بأحراج من الأرز والعرعر (أرسلان، ٢٠١٢ـ ص ١٩٨).

كما تنتشر بيوت القرى بالقرب من الأودية ولكنها تتجنب داخلها خوفا من هطول الأمطار إذ يسيل الوادي كالأنهار (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٣٣٢).

لذا كانت البيوت تقع خارج الأودية، بالقرب منها وليس داخلها، كبيوت قرية الوجه (أوليا جلبي، ١٩٩٩، ص١٤٣؛ الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص٤٣٧)[1].

وكذا قرية الجديدة (النابلسي، ١٩٨٦، ص٤٣٨).

وربما استقرت بيوت القرويين في الأودية الجافة بمنأى عن جريان المياه والسيول، كقرية رابغ والواقعة في وادٍ رملي؛ قيل عنها في "مرأة الحرمين" أنها قصبة رملية تقع فوق وادٍ منخفض يعد معبرا للسيول (صبري، ٢٠٠٤، ص ١٥٣).

وراعوا في اختيار الموقع طيب هوائه وعدم انبعاث الروائح الكريهة منه، وتجنبوا عفونة الهواء ورطوبة الأماكن التي تستنقع فيها المياه كحال بعض المواقع في قرى خيبر (داوتي، ٢٠٠٩، مج ٢، ج١، ص٢٦٥).

وتمتاز الأماكن المرتفعة عادة بطيب هوائها، فعلى قمم جبل كرا أقيمت البيوت لتمتعه بغابات جميلة ومياه جارية ومواقع ذات هواء عليل (صبري، ٢٠٠٤، ص ١٥٧).

ومما يلحظ أن غالب مساكن القرية مسكونة على الدوام من قبل ملاكها إلا أن بعض القرى البيوت فيها تُسكن في مواسم معينة من السنة أما بقية السنة فتبقى شاغراً، فلربما جذبت بموقعها في المرتفعات أهالي الأودية المنخفضة ذات الجو الحار؛ للإقامة فيها فترة الصيف هربا من حرارة الجو الحارقة، وهذا ما حدث مع أهل مكة فقد كانت لهم بيوت للاستجمام جهة الطائف، هرباً من الحر والقيظ صيفاً (رفعت، ١٩٢٥، ج٢، ص٣٤٥).

(١) الوجه: بلفظ وجه الإنسان، وهي بلدة حجازية تهامية تقع شمال المدينة على ساحل البحر الأحمر، وسكانها خليط من الناس، ويغلب عليهم الطابع المصري لقربها من ساحل مصر. (البلادي، ١٩٨٣، ص ٧٩٨).

وقد يهرب الناس من بيوتهم ويتركوا قراهم الباردة نحو أماكن أكثر دفئا وأقل برودة، خاصة في فصل الشتاء، ففي أعالي جبال منطقة الطائف، ونتيجة لبرودة الجو الشديدة حتى في فصل الصيف؛ اعتاد سكان القرى الواقعة في مثل هذه الجبال ذات المرتفعات الشاهقة ودرجات الحرارة الشديدة البرودة ترك منازلهم والنزول إلى جبال أدنى ارتفاعاً من تلك التي فيها قراهم وإلى قرى تكون أقل في درجات البرودة ليتمتعوا بدفء الشتاء والربيع فيها، كما في قرية الفرع بجبل الشفا بالطائف، فقد أخبر سكانها صاحب الارتسامات أنهم في فصل الشتاء ينحدرون من الفرع هم ومواشيهم إلى وادي أسفل الفرع، وتشرف الفرع عليه ويشتون فيه، ولا يبقى في القرية سوى بعض الحراس، وهذا الوادي عبارة عن جبل عالٍ أيضا لكنه ليس بعلو جبل الفرع، ووراء هذا الجبل أودية أخر (أرسلان، ٢٠١٢،ص ١٩٨).

وفي اختيار الموقع كان يراعى اتجاه الريح، حتى لا تؤثر على بنية البيت، فقد أثر مناخ البحر من رطوبة ورياح على جدران مباني ينبع[1]، فكانت مليئة بالأحافير ومثقبة كفطيرة اللوز على حد قول بيرتون (بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص١٨٦).

كما راعوا في اختيار الموقع توفر الحماية الأمنية الطبيعية، كأن يكون في وادٍ محاط بالجبال، فلا يهتدى عليه، أو في مكان مرتفع صعب الوصول اليه، وهذا ما توفر في بيوت قبيلة صبح من حرب، فقد سكنوا جبل صبح بين مكة والمدينة وبنوا بيوتهم في أماكن مرتفعة في الجبال يعذر معها مهاجمتها(بوركهارت، ١٩٩٢، ص٢٥٤).

وفي بناء البيوت في الأماكن المرتفعة ما يتيح كذلك لأصحابها مراقبة مزارعهم (أرسلان، ٢٠١٢، ص١٩٥).

بخلاف البيوت الواقعة في الأماكن المفتوحة كبيوت واحة تبوك[2] فإنه نتيجة لموقعها بين الصحراء المترامية، كان من السهل مهاجمتها من جميع الجهات (كاروثرز، ٢٠١٢، ص ٤٣).

(١) ويقصد بها ينبع البحر، وهي الآن مدينة ينبع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وميناء المدينة المنورة، تقع شمال جدة، وهواؤها رطب حار صيفا دافئ شتاء. (البلادي، ١٩٨٣، ص ١٨٦٩).

(٢) تبوك: مدينة سعودية، تعتبر مركز إمارة شمال الحجاز، وتشتهر بالزراعة، وذلك لخصوبة تربتها وغزارة مياهها. انظر: (البلادي، ١٩٨٣، ص ٢٥٨).

كما راعوا في اختيار الموقع اتساع رقعته، لإمكانية زيادة الكتلة المعمارية المقامة عليه والناجمة عن زيادة أفراد البيت، سواء بالولادة أو الزواج، فبيوت قرية أبيار علي[1] كانت في: محل متسع (صادق، ١٩٩٩، ص ٤٩).

وقد يكون المكان المتسع، من السهل الوصول إليه، كبيوت قرية رابغ والتي تقع على أرض مستوية (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٢٥١).

وأفاد باديا أن ذلك سهل الوصول إليها وكذلك الانطلاق منها (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٢٥١).

كما أن بناء البيوت في الأماكن الفسيحة المتسعة تدخل البهجة على النفس وتشرح القلب وتريح النظر، مثل منازل قرية خليص، والتي وصفت بأنها: (ما أعذبها من قرية وما أحلاها من منزلة وأسعده من موضع) (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص ٤٤٧).

وقد تحد من مساحة الموقع بعض المعطيات كحجم المساحة الكلية التي يشغلها موقع القرية، وطبيعة الأرض التي يقام عليها البناء، ومساحة الأراضي الزراعية المستغلة، والمستوى الاقتصادي لمالك الأرض، وحجم الكثافة السكانية، إضافة إلى نوعية الملحقات التابعة للمنزل.

فكثيرا ما كانت طبيعة موقع القرية تحد من مساحة البيت، كأن تكون القرية في مناطقة صخرية، أو على قمة جبل وأعالي المرتفعات، نحو موقع قرية "رأس الكرا"، فهي قرية صغيرة محاطة بحدائق تقع على قمة جبل كرا، حيث لا يوجد تتوفر مساحة منبسطة من الأرض (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٦٠).

ووصفها روش بأن الموقع بدت عذوبته متعارضة مع قحط المناطق المجاورة له، وأنه لن ينسى أبدا الانطباع الذي خلفه منظر تلك الواحة المخضرة الواقعة وسط الشفعات الحادة لسلسلة جبال الكرا الصوانية (ليون روش، ٢٠١٢، ص١٣١).

(١) أبيار علي، اسم قديم أطلق على القرية أيام الدولة المملوكية، وتقع قرب ميقات ذي الحليفة، ولما خربت الأخيرة، أصبحت أبيار علي ميقاتاً للحجاج القادمين من المدينة. (السويدي، ص٣١٤؛ البلادي، ١٠٩٣، ص١٠٤).

كما حدَّت الأراضي الزراعية من مساحة المنازل، فإن كانت المنازل خارج نطاق المزارع؛ شغلت مساحة كبيرة من الأرض، أما إذا كانت المنازل بين المزارع فإنها تبنى على مساحات صغيرة، حيث حرص الفلاحون على استغلال أراضيهم في الزراعة فبنوا بيوتهم في أماكن لا تؤثر على مساحة الأراضي المزروعة كالأماكن الجرداء (عبد العال، ١٩٧٦، ص ٢٣٣).

وكذلك ذكر بوركهارت عن الضواحي التي أحاطت المدينة من ثلاث جهات؛ فكانت عبارة عن بساتين ومزارع، محاطة بأسوار من الطوب اللبن وتجتوي أيضا على منازل صغيرة للمزارعين (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٢٧٤).

أيضاً كان لامتداد الصحراء دور كبير في تسوير الكثير من القرى ومنعها من التمدد، فأثر ذلك بالسلب على مساحة البيوت، فمثلا لما كانت قرية تبوك محاذية للصحراء الشاسعة شرقا انحصرت مساحتها في الأرض الخصبة المتاخمة للصحراء فأثر ذلك على مساحة البيوت، وهذا ما أكد عليه دوغلاس في وصفه لتبوك، بأنها كانت صغيرة جدا، على شكل دائرة متكاملة تحتوي على حوالي ألف شجرة نخيل، فلنتخيل عالمًا صغيرًا بهذا الحجم يحتوي على قرية فيها ما يقارب الخمسين بيتا وقلعة وواحة من أشجار النخيل دائرة الشكل تقع في هذا الخضم من القفار المترامية الأطراف، حيث الصحراء الممتدة من الأفق إلى الأفق من جميع الجهات (كاروثرز، ٢٠١٢، ص ٤٣).

كما كان للبحر والجبل دور في تحديد مساحة وامتداد منازل القرية خاصة وإن اجتمعا مثل ما حدث في موقع قرية ظهر الحمار "حقل"[1]، فقد منعها موقعها من الامتداد وظلت قرية صغيرة محصورة بين ساحل البحر الضيق وجبل ذي أرض صخرية صلبة (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص ٤٣٣).

(١) ظهر الحمار: هي حَقْل، الميناء الصغير الواقع غرب تبوك بحوالي ٢٢٥ كيلا، ويبعد جنوب العقبة ٣٠ كيلا، بها الكثير من المناظر والمتنزهات الجميلة، والتي تعد عامل جذب سياحي لأهل الشمال وتبوك. (البلادي، ١٩٨٣، ص٤٨٨).

كذلك أثرت تضاريس جبل كرا على المساحة التي أقيمت عليه القرية، ويشرح بوركهارت ذلك بأن الأكواخ في كرى جهة الصاعد إلى الطائف مبنية بين الصخور على منحدر الجبل حيث نادرا ما تتوفر مساحة منبسطة من الأرض (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٦٠).

كما تأثرت مساحة الموقع، وتحديد مكان البيت وشكله بالحالة الاقتصادية لأصحابه، فالأغنياء من أهل القرى؛ يظهر ذلك على نمط معيشتهم، ومنها مساكنهم، والتي امتازت بمتانتها وجمالها، وكبر مساحتها، وتميز موقعها، مع جمال مظهرها والمتناسق مع طبيعة المكان والتباعد فيما بينها لترك مساحة للبساتين والمزارع الخضراء(بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٢٧٤).

وقد شاهد صاحب "مرآة الحرمين" بعض من تلك المنازل والتي بلغت نحو ٢٥ منزلا خارج االطائف، منتشرة بين الحقول والبساتين، ومحاطة بالأشجار داخل الأسوار (رفعت، ١٩٢٥، ج٢، ص٣٤٥).

أما بالنسبة لتوزيع المواقع المقام عليها بيوت القرية فيتم حسب نوع التخطيط العمراني للقرية، فإن كانت من نوع القُرى المُتقاربة، أو ما يطلق عليها مسمى القُرى المُتكتِّلة؛ فإن المنازل تشكل كتلة كبيرة حول المرتكز أو وسط القرية وعند مسجدها وسوقها، ثم تقل تدريجيا كلما ابتعدت عنه، لتشكل بيوتاً مبعثرة ومتفرقة ومتباعدة نوعا ما في نهاية أو أطراف القرية(بيرتون ١٩٩٥، ج١، ص١٨٦؛ الزركلي، ٢٠٠٩، ص٩٣).

وهي من أكثر التشكيلات والأنواع انتشارا في القرى، ومن مميزات هذا التشكيل والقائم على قرب المباني بعضها من بعض؛ الترابط بين السكان بأرضٍ جغرافية مُعيّنة، والسعي لإعمارها من أجل استمرار الحياة فيها.

ومن أمثلة هذا التشكيل قرية العلا، فقد كانت عبارة عن مدينة سكنية متكاملة تتكون من كتلة عمرانية واحدة متراصة ومترابطة (جلبي، ١٩٩٩، ص٩٩؛ داوتي، ٢٠٠٩، ص٤٠).

وكذلك الأمر بالنسبة لقرية الجديدة والهضبة[١]. وأبيار علي، وخليص، وعسفان (الخصيكي، ٢٠١١، ص١٣٦؛ بوركهارت، ١٩٩٢، ص٢٦٣، ٣٨٤)[٢].

وكذا قرية السلامة(جلبي، ١٩٩٩، ص ١٦٣؛ العجيمي، ١٩٨٠، ص٧٠).

أما إذ كانت القرية من نوع القُرى المُتباعدة: والتي يُطلق عليها أيضا مُسمّى "القُرى المُبعثرة"، فإن المنازل تتوزع بطريقة عشوائية ومتفرقة ومتناثرة على الأراضي وفي الحقول الزراعية، ويعتمد هذا التشكيل على اتّساع المساحة الجغرافية المرتبطة بالقرية، وعلى سعي سكّانها لبناء المنازل المتباعدة عن بعضها البعض بهدف زيادة المساحة الزراعيّة الخاصة بهم (رمضان،٢٠٢١، ص١٢٣٥).

وقد شاهد العديد من الرحالة مثل هذه البيوت حيث يسكن بعضهم في تجمعات صغيرة أو منازل متناثرة بين بساتينهم ومزارعهم، مثل قرية الوسيط "الحمراء"[٣]، فقد: (بنيت بين بساتين النخيل وفيها حدائق ممتدة من أشجار الفاكهة في تخومها) (بوركهارت، ١٩٩٢، ص٣٣٥).

فانتشرت في موضع على سفح الجبل بالقرب من الأودية لحمايتها من السيول وحاجتها إلى المياه لري الأراضي الزراعية (يوركهارت، ١٩٩٢، ص ص٢٥٥، ٢٨٣؛ بيرتون، ١٩٩٥، ج ١، ص٢٠٦؛ تاميزيه، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٦٥).

ومثل منازل قرية الجديدة، فقد انتشرت على شكل مجموعات منعزلة على طول الوادي (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٢٦١).

---

(١) قرية الهضة كانت فيما مضي من قري الطائف، وهي الآن أكمة صخرية وسط مدينة الطائف بنيت عليها قلعة في عهد الأتراك، ثم هدمت. (البلادي، ١٩٨٣، ص ١٨٣٦).

(٢) عُسفان: قرية تقع شمال مكة على الطريق بين مكة والمدينة وتبعد ١٨٠ كم عن مكة. (البلادى، ١٩٨٣، ص ١٨٨).

(٣) الحَمْراء: قرية بوادي الصفراء، وتقع على عين، فاندثرت العين، واندثرت معها القرية وتخربت مبانيها، وتبعد عن المدينة ١٢١ كيلاً جنوباً، وعن الواسطة "قرية الصفراء" سبعة أكيال شمالاً شرقياً، سكانها وملاكها في الأساس الحوازم من حرب. البلادي، ١٩٨٣، ص٥٠١).

وأيضا قرية الزيمة[١]، وصفها ديديه فقال: (لقد كان هناك عدد من البيوت البائسة المنفردة، المفصول بعضها عن بعض، والتي تنتشر على أطراف المنطقة الخضراء، ومنها تتكون قرية الزيمة التي يسكنها بدو متحضرون، ينصرفون إلى زراعة الأرض الصالحة للزراعة، وتربية قطعان الماشية) (ديديه، ٢٠٠١، ص٣٤٠).

أما بالنسبة لمساحة الموقع فقد خضعت لعدة اعتبارات منها: حجم الكثافة السكانية، فكلما زاد عدد السكان، كثرت البيوت وقلت مساحتها، كما هو الحال في "قرية العلا" فنتيجة للكثافة السكانية والمساحة المتاحة للبناء؛ كانت المنازل متقاربة فيما بينها وشكلت أزقة ضيقة فيما بينها، ولكنها مظلمة بسبب وجود غرف مبنية فوق الأزقة، بسبب ضيق المساحة (داوتي، ٢٠٠٩، مج٢، ج١، ص٤٠).

وقد تختلف مساحة المنازل وأسعارها بحسب أهمية وتميز موقعها، فأسعار المنازل المقامة داخل القرية أغلى ثمنا وأقل مساحة من تلك الواقعة على أطرافها، كحال مساكن ينبع فقد كانت متباعدة إلا التي شيدت بالقرب من الميناء والأسواق فقد تضاءلت مساحتها وازداد سعرها (بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص ١٨٦).

كما أثر وتأثر الموقع بالنشاط السكاني، فأعمال السكان التي تقع بيوتهم في المناطق الساحلية مختلفة عن تلك التي تقع في المناطق الزراعية سواء كانت سهلية أو جبلية، وتكون كذلك مغايرة تماما لمن تقع بيوتهم ضمن القرى الواقعة على خط قوافل الحجيج.

فمن المواقع الساحلية التي أثرت على نشاط سكانها، قرية قطيمة[٢]، والواقعة على الساحل بين رابغ وجدة، حيث كانت وجهة للمسافرين لتناول وجبات الأسماك الطازجة (صبري، ٢٠٠٤، ص١٦٦).

(١) الزَّيْمَةُ: قرية بوادي نخلة من أرض مكة، فيها عين عذبة الماء، مشهورة بحودة الموز، ويغرس إلى جانبة النخيل والفواكه، يمر بها طريق مكة إلى الطائف. ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج٣، ص١٦٥؛ البلادي، ١٩٨٣، ص ٧٧١).

(٢) قطيمة: بلدة عامرة على الساحل شمال ثول بسبعة أكيال، أهلها من السادة الحينيين، يمر بها الطريق من جدة إلى المدينة، ويصب عليها وادي قديد، وهي تابعة لرابغ. (البلادي، ١٩٨٣، ص١٣٨٧).

في حين ارتقى بعض السكان في قرى أخرى بموقع سكناهم على الساحل فجعلوه مرسىً له أهميته بالنسبة للإقليم على البحر الأحمر كالمويلح، فقد كانت كثيرة الأرزاق، وفيها مرسى قوية النفع (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص٤٣٥).

وبلغت "ينبع" من الأهمية ما جعلها باباً من أبواب الله تعالى (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص٤٣٥).

فقد أصبحت تضاهي بمرساها مرسى جدة من حيث الأهمية، لتكون مرسى للمدينة المنورة، والفرضة التجارية لها، ويؤكد على ذلك الرحالة المغربي التامراوي في أنها مرسى أهل المدينة النبوية ونواحيها (التامراوي، ١٩٦٢، ج٨، ص٩).

وأقر الرحالة كورتلمون على أهمية ميناء "ينبع البحر"، وإنه أصبح ميناء المدينة المنورة، يضاهي ميناء مدينة جدة بالنسبة إلى مكة المكرمة (كورتلمون،١٤٢٣، ص١٣١).

ولم يختلف الأمر في كافة القرى الواقعة على ساحل البحر الأحمر كالوجه ورابغ وغيرها كثير (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ٤٣٧؛ نيبور، ٢٠٠٧، مج٢، ص ٣٠٨؛ بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص١٨٦).

كما وقعت منازل الكثير من قرى الحجاز على خط سير قوافل الحجيج، وشكل أصحابها خطوط إمداد بالطعام والمؤن وما يحتاجه المسافر من بضائع كالفحم والنعال وسروج الخيل، ونحوه، ومن أمثلة تلك القرى: العلا وتبوك وأملج والمويلح والوجه وضبا وينبع ووادي الصفراء ووادي الفرع ورابغ وخليص وعُسفان ووادي فاطمة وغيرها كثير (الجزيري، ١٩٨٣، ص ص ٢٠١ – ٢٠٢؛ السويدي، ص ٣٩؛ رفعت، ١٩٢٥، ج ١، ص ٤٩٠).

ونزل ركب الحج التابع لمحمد صادق في رحلته الحجازية بمحطة قرية السُفينة[1] الواقعة بين مكة والمدينة، بجوار نخيل وآبار عذبة الماء ومزارع وعشش وسوق معد للبيع والشراء (صادق، ١٩٩٩، ص ٢١٢).

(١) قرية السفينة أو الصفينة، هي بلد بين مكة والمدينة لبني سليم، على طريق الحاج العراقي.(البلادي،١٩٨٣، ص٩٩٨).

وفي محطة ظهر الحمار "حقل" سوق يباع فيها اللبن والحشائش والتمر الذي يأخذه الحجاج من العقبة للبيع والمتاجرة فيه (الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص٩٩).

كما عج سوق قرية الوجه نشاط سكانه مستفيدين من موقع بيوتهم على طريق القوافل (الخصيكي، ٢٠١٢، ص٩٥).

المحور الثاني: مواد بناء البيت القروي وتخطيطه المعماري

تميزت بيوت القرية الحجازية ببساطة وتواضع البناء وتناغمه مع معطيات البيئة والوصف الجغرافي للمكان، إذ حرص أصحابها على إنشائها وفق المعطيات الجيولوجية والمناخية للموقع تناغماً مع القيم والتقاليد السائدة في المجتمع الحجازي، فالبناء الناجح هو الذي يتوافق مع البيئة التي ينتمي إليها الانسان والعادات والتقاليد السائدة في مجتمعه، ويوفر الراحة له.

ويصف الخصيكي بساطة مباني القرى الحجازية وأن بيوتها عبارة عن أخصاص وبنيان قليل (الخصيكي، ٢٠١١، ص١٣٦).

واختلفت الأنماط المعمارية للمساكن وتنوعت أشكالها من منطقة لأخرى بدءًا من مواد البناء المستخدمة مرورًا بطرق الإنشاء المتبعة فيها، فكانت هناك مبان من الطين واللبن، وأخرى من الحجارة والصخر، وثالثة من الخشب والقش والخيش، غير تلك التي كانت من الزنك والصفيح.

ولهذا التباين في اختلاف المنازل عوامله وأسبابه، منها ما هو طبيعي يتعلق بجغرافية الموقع من مناخ وتضاريس، وتوفر المواد الخام في بيئته، ومنها ما هو بشري كطبيعة الأعمال التي يمارسها السكان، والأحوال الاقتصادية لهم (نيبور، ٢٠٠٧، مج ٢، ج١، ص٢٥٩؛ بوركهارت، ٢٠٠٧، ج١، ص٥٥؛ صادق، ١٩٩٩، ص ٤٩).

ففي المرتفعات الجنوبية انتشرت المساكن الحجرية في القرى الواقعة على الجبال أو القريبة منها (عبد العال، ١٩٧٦، ص١٣٥).

وإنما كان ذلك لمتانة الأحجار وقدرتها على تحمل غزارة الأمطار، وصدها للبرد، بحيث يحتفظ البيت من الداخل بحرارته ودفئه، فقرى جنوب الطائف والواقعة في المرتفعات، مبنية من الحجارة لتحمل قوة وغزارة الأمطار (نيبور، ٢٠٠٧، ص٢٥٩).

بينما انتشرت البيوت المبنية من الطين "الطوب اللبن" في كافة الأودية والسهول، لمقاومته العوامل الجوية من رطوبة وحرارة، فمن حسنات الطين قدرته على ترطيب الهواء اذ يملك خاصية امتصاص رطوبة الهواء الزائدة بسرعة وإعادتها إليه عند الحاجة، وهذا يؤمن مناخا صحيا على مدار السنة كما أنه يخزن الحرارة ويحتفظ بها في ليالي الشتاء (رفعت، ١٩٢٥، ج ١، ص ١٢٢؛ آمال رمضان، ١٤٣٥، ص ١٦٣).

كما أثرت معطيات البيئة المحلية في شكل البناء وتكوينه المعماري، فامتازت بيئة الحجاز بالتنوع والثراء، ووجد بها كافة معطيات البناء من الطين والحجر، والأخشاب ومشتقات النخيل من جريد وخوص وجذوع الطرفاء وشجر الأثل، والجير والرمل والجير، وغير ذلك من مستلزمات البناء(الدرعي، ٢٠١١، ص ٦١١؛ كعكي، ٢٠٠٣، ص ١٠٨).

وقد انتشرت البيوت الصخرية في المناطق التي يتوفر فيها الصخور سواء البازلتية أو الجيرية، فمثلاً كانت الصخور هي التي تبنى منها بيوت القرويين المتوفرة بكثرة في منطقة الطائف، حتى إن نيبور يقول: وبما أن الحجارة لا تنقص هنا، فإن المنازل كلها مصنوعة منها (نيبور، ٢٠٠٧، ص ٢٧٧).

وفي مكان آخر يبين أن السكان في "ينبع" بنوا بيوتهم ومحالهم من الحجر لتوفره فيها، ولسهولة استعماله، ولجماله، وقدرته على ترطيب الهواء (نيبور، ٢٠٠٧، ص ٢٢٥).

وكان الأهالي يستخرجون الحجارة من محجر قريب من "ينبع"، وبعد تهذيبها يتم البناء بها (أوليا جلبي، ١٩٩٩، ص ١٣٧؛ باديا، ١٤٢٩، ص ٣٣٩؛ رفعت، ١٩٢٥، ج٢، ص١٢).

كما شكل حطام الشعب المرجانية التي تقوم عليها المدينة مادة لأجل البناء (ريزفان، ١٩٩٣، ص٢٢٢).

بينما انتشرت بيوت الطين في القرى التي تمتاز بوفرة مياهها؛ والتي لا بد منها لصناعة اللبن (الطوب الطيني) الخالي من الرمل (الزعبي، ١٩٩١، ص ١٧٧).

وتحكمت نوعية مادة البناء في عدد طوابق البيت، فبيوت اللبن والطين جميعها من دور واحد، أما بيوت الطين مع الحجر فقد تزيد إلى الدورين، بينما تلك المبنية من الصخر البازلتي فربما تجاوزت الطابقين أو أكثر، كقصور الأمراء والأثرياء (داوتي، ٢٠٠٩، مج ٢، ج١، ص٤٠)[1].

كما يخضع نوع وتحديد شكل البناء لطبيعة الأعمال التي يمارسها السكان والأوضاع الاقتصادية المخيمة على قراهم، ففي القرى المنتعشة اقتصاديا التي يكثر فيها المال والأغنياء، تظهر بوادر النعم، في ملبسهم ومشربهم ومسكنهم.

فعلى سبيل المثال وصفت قرية الجديدة الزراعية والتجارية حيث أنها كانت تقع على طريق قوافل الحج بأن منازلها متينة البناء. وأن أهلها أغنياء جدا (أوليا جلبي، ١٩٩٩، ص١٦٣).

أما المزارعون من سكان أغلبية القرى فكانت منازلهم مبنية من الحجارة أو الطين أو الأشجار (تاميزيه، ٢٠٠١، ج٢، ص٤٥).

ثم إن القرى التي هيمن عليها الركود الاقتصادي، نجدها قد غلب على سكانها الفقر والتقشف في المليس والمشرب والمسكن، فغدت منازلها رديئة البنيان ضعيفة الهيكل مثل ما حدث في بعض السنين لبعض القرى الواقعة جهة ينبع، وطريق جدة مكة، وغيرها (نيبور، ٢٠٠٧، ص ٢٧٧؛ ريزفان، ١٩٩٣، ص ٣٧٦).

---

(١) كقصر شبرا والذي يتكون من يتكون من طابق قبو تعلوه أربع طوابق ذكره ديديه حينما قدم إلى الطائف عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م). ديديه: رحلة إلى الحجاز، ص ٣٣٢- ٣٣٣. وفي العهد السعودي كان قصرا صيفيا للملك عبد العزيز، ثم اتخذه الملك فيصل بن عبد العزيز رحمهم الله جميعا قصراً لرئاسة مجلس الوزراء أثناء الصيف كما اتخذ مقراً لوزارة الدفاع والطيران، ثم أمر الملك فهد رحمه الله بتسليمه لوزارة المعارف ليكون متحفاً دائماً للتراث. انظر: (بديرة، ص ١٩).

وكان رعاة الماشية من إبل وغنم وماعز يتنقلون معها أينما رعت وتوفر الكلأ والماء، وذا نجدهم قد فضلوا أن تكون منازلهم خفيفة سهله الفك والتركيب لأجل الحط والترحال، فكان من المناسب لهم أن يسكنوا الخيام، وتكون مستقرهم طيلة العام (صبري، ٢٠٠٤، ص ٣٦؛ رفعت، ١٩٢٥،ج١، ص٢٩٩).

كذلك انتشرت عشش الخشب والصفيح بكثافة في الضواحي، والقرى الفقيرة، ذات الموارد الضعيفة (الخصيكي، ٢٠١١، ص١٣٦).

كما انتشرت العشش في سفوح الجبال وسهولها، وبين الأودية وضفافها (فيلبي، ٢٠٠٢، ج٢، ص ١٢٢٠).

وتميزت هذه المساكن بأن مكوناتها مأخوذة من البيئة المحلية مثل شجر الأثل والمض والأراك، والمرخ والثمام والحلفاء، وتوجد هذه الأشجار بكثيرة في المناطق الجبلية خاصة الواقعة جنوب الطائف[1] (فيلبي، ٢٠٠٢، ج٢، ص ٨٢٧، ١١٢١،٩١٥، ١٢٢٧).

أما بالنسبة لتخطيط البيوت فقد تنوع بتنوع المواد المكونة لبنائه، والبيئة الجغرافية للموقع ونشاط ساكنيه، وفيما يلي تبيان لذلك:

أ- بيوت الطين:

يستخدم الطين مادة أساسية في بناء البيت، ومادة الطين تتميز بأنها مادة عازلة للحرارة أثناء فصل الصيف، ولعل هذا ما يفسر سبب اعتمادهم عليه في البناء، بالإضافة توفره ورخص أسعاره، وسهوله البناء به، فقد وصف بيرتون قرية المسهل ما بين ينبع والمدينة، وهي من القرى الضئيلة بأنها: مجموعة من المساكن الطينية البائسة (بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص١٩٩).

ويكون البناء بالطين أما على شكل عروق أو مداميك تسمى "اللّبِن"، واللبن هو الطين المضاف إليه القش، ويقال له "الطوب الأخضر"، ولذا يصف باديا البيوت في ينبع بأنها: مبنية من الطوب الأخضر (باديا، ١٤٢٩، ص ١٦٨).

كما أكد كذلك دولتشين أن قرية الجُديدة عبارة عن مجموعة من البيوت من الطوب الأخضر (ريزفان، ١٩٩٣، ص١٦٨).

ويتم صناعة اللبن (الطوب الطيني) بعجنه بالماء، وخلطه بالقش أو التبن، وتخميره، ثم صبه في قوالب خشبية، وبعد رص قوالب اللبن يتم تجفيفه تحت أشعة الشمس[١].

وبعدها يتم تحديد قطعة الأرض المراد إقامة البيت فوقها ثم توضع الخيوط لتحديد موقع الأساسات، ومن ثم يتم الحفر في الأرض بعمق مترين أو أقل أو أكثر، ثم يبدأ بوضع الأساس وهو من الحجارة والطين، ثم يبدأ بوضع المدماك الأول وبعد الانتهاء منه يترك لمدة يوم حتى يجف وذلك في الصيف؛ أما في الشتاء فيترك يومين أو ثلاثة؛ ثم يقام المدماك الثاني وهكذا حتى يتم البناء بارتفاع يحدده مالك البيت. وقد وصف إبراهيم رفعت طريقة بناء المداميك عندما كان في قرية السفينة، بأن: (أبنيتها بالطين المكدس بعضه فوق بعض) (رفعت، ١٩٢٥، ج٢، ص٣٠٠).

وفي بعض المنازل وبحثا عن القوة والمتانة يضاف للطين بعض الحجر، فيعطي متانة للمبني ويبدوا في مظهره أكثر جمالا من بيوت الطين العادية، وقد سجل ذلك بوركهارت أثناء تواجده بقرية بدر، فقد وصف مبانيها بأنها بنيت بالحجر والطين، وأن لها مظهراً أفضل من تلك التي في الصفري، رغم أنها أقل عدداً منها[٢].

أما أعمدة البيت؛ فقد استخدم في بنائها الحجر، بعد أن يهذب على شكل قطع أسطوانية، لكن في بعض البيوت كان يكتفي بجذوع النخل أو الأشجار أعمدة للبناء.

(١) وطوب اللبن يختلف عن طوب الآجر، والمعروف بعدة أسماء منها "الطوب الأحمر"أ "الطوب المحروق"، وهو عبارة عن طين مخلوط بالرملأ يتم وضعه في قوالب خشبيةأ ويجفف في الشمس، ثم يحرق ليستخدم في البناء. وهو أغلي ثمنا من طوب اللبن، وأرخص من الحجراً ويمتاز بصلابتهأ وتحمله للمناخ الحاراً لأن الآجر يعمل على التخفيف من حدة الحرارة داخل المبنى، واستخدم بكثرة في مباني الحجاز. (الحارثي، ١٩٩٨أ ص١١).

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص ٣٣٦.

وبعد الانتهاء من عملية بناء الجدران، يتم تلييس السقف والجدران باستخدام الطين، ويكون بنيان السقف من أخشاب الشجر كشجر "الدوم"، أو عيدان شجر "الطرفاء"، أو جذوع النخيل المقصوصة (الخزرجي، ١٩٩١، ص١٥).

ويغطى السقف بعدها بالجريد والأعواد بعد أن تصف ويوضع عليها الحصير ونبات الإذخر ثم يخلط التراب المبلل، وبعد أن يجف يكبس به السطح.

بعد ذلك يتم عمل الدرج، أو السلم، ويغطى بطبقة من مادة صلبة مكونه من خليط من الرمل والكلس والرماد (ريزفان، ١٩٩٣، ص١٤٣).

ومعظم بيوت الطين ذات طابق واحد لعدم قدرتها تحمل طابق آخر، كما قرى ينبع النخل (رفعت، ١٩٢٥، ج٢، ص١٢٢).

ويلاحظ على مثل هذه الطوابق انخفاض ارتفاعها نسبيا، كبيوت قرية خليص فقد بنيت كلها من الطين وهي منخفضة جداً (بوركهارت،١٩٩٢، ص٣٨٤).

وأما تخطيط البيت وتوزيع مكوناته وعناصره من الداخل، ففي العادة يتم بحيث يحتوي على باحة أو فناء داخلي يسمى الحوش، ويقام بإحدى جوانب جدرانه الدرج الذي يفضي إلى سطح المسكن، ثم غرفة الرجال والضيوف وتسمى المجلس، وفيها مكان لتحضير القهوة يسمى المشب، وهناك غرفة للنساء أو المعيشة، كذا ثمة مكان للطبخ يسمى "الموقد"، ويتم بناءه في إحدى زوايا البيت البعيدة عن أماكن الضيوف لراحة أفراد الأسرة، وخصوصية لربة البيت، وهناك أيضا غرفة تسمى المخزن لتخزين المؤونة والحطب ونحوه، إضافة إلى حظيرة للمواشي ولكل جزء "غرفة" مدخل متوسط يغلق بأكسية من شعر الغنم، وأحياناً بباب من الخشب (بوركهارت،١٩٩٢، ص ٢٨٣؛ بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص٢٠٦؛ البدراني، ٢٠١٠، ص ص ١٢٦، ١٢٨).

وتتعدد غرف البيت بحسب الحاجة والحالة الاجتماعية والمالية لمالكيه، فكما يقول تاميزيه أن منازل الأثرياء وعِلية القوم كالشيوخ والقادة تتكون من عدة غرف، لكن منازل

الفقراء لا تقل عن غرفتين واحدة منها للسيدات والأخرى للرجال إلا أن الفقراء جدا يعيشون في منازل تتكون من غرفة واحدة فقط (تاميزيه، ٢٠٠١، ج ٢، ص٥٠)،

وهناك إضافات يتم وضعها للمبنى أما لإبراز جماله أو لحمايته وحفظه، حيث تقام في بعض الغرف أو على يسار البيت من الخارج أو يمينة ما يسمى "بالدكة" وهي خاصة لكبار السن، كما يوضع في جدار الغرف ما يسمى بـ"الكوة" وتستخدم لوضع الاشياء كالمصباح أو سجادة الصلاة، أو بعض أدوات الزينة-(جون كين، ٢٠١١، ص ٥٠؛ الزعبي، ١٩٩١، ص٧٧؛ عبد السلام،٢٠١١م، ص٩٥).

وأكثر أصحاب هذه البيوت يقضون حاجتهم بالخلاء (الأنصاري، ١٩٧٣، ص١٣١).

ب ـ بيوت الحجر والصخر:

وهي تلك التي اعتمدت في تشييد جدرانها على الحجارة، لما عرف عن الصخر قوته وصلابته، وقد اختلفت نوعية حجر البناء من منطقة لأخرى في الحجاز حسب التضاريس، فهناك أحجار تجلب من المناطق المرتفعة والجبال، كالحجر البازلت والجرانيت، وهناك نوع آخر يجلب من المحاجر كالحجر الرملي، ويتكون في طبقات رملية تحت الأرض(١)، وهو أقل درجة من حيث القوة والصلابة من الحجر الجرانيت، ولكنه أقوى من نوع آخر من أحجار البناء، وهو الحجر المرجاني، الذي يستخرج من الرصيف الصخري المرجاني الضحل لساحل البحر الأحمر(٢).

(١) حيث تعمل ظروف الضغط والحرارة على تماسكها بالإضافة إلى وجود أملاح معدنية تساعد على تكونها. وكان لونها أصفرَ أو بنيًّا أو أحمرَ، أو رماديَاً أو أبيضَ. وتكوّن طبقات الصخر الرملي هضابا تبدو للعين واضحة التضاريس. (البعلبكي، ٢٠١٣، ص ١٠٢٤).

(٢) تكونت هذه الصخور المرجانية في المياه الضحلة في امتداد سواحل البحر الأحمر، يُكَوّنها كائن مائي بسيط يبني مأواه اعتمادا على العناصر التي يتكون منها ماء البحر ومنها الكلس، وعندما يموت هذا الكائن المائي، فإن البحر يلفظ بنفسه صخور تلك الحيود المرجانية حينما تموت ويبيض لونها. (سلمان، ٢٠١٧، ص٩٥). https://geolougy.com.

كما استخرجوا الصخور البازلتية من الجبال، وشذبوها للبناء (ريزفان، ١٩٩٣، ص٢٠٦).

وانتشرت المباني الصخرية البازلتية والجرانيتية في منطقة الطائف لتوفر الصخور بكثرة في المنطقة (نيبور، ٢٠٠٧، ص٢٧٧).

ومن المباني المشيدة من الحجر الرملي قلعة المويلح، والتي استخدم في بنائها الحجر الرملي المقطوع من الجبال المجاورة للمكان، وجميع مباني ومكونات القلعة من الأبراج والمسجد والمخازن والبئر، كلها مبنية من الحجر الرملي (النابلسي، ١٩٨٦، ص١٧٧؛ فالين، ١٩٧١، ص ١٤٣، ١٦٤؛ عجيمي، ١٩٨٣، ص ص ١٢، ٢٩).

وانتشرت المباني المشيدة من الحجر المرجاني في المناطق الساحلية كينبع ورابغ وغيرهما (نيبور، ٢٠٠٧،ص ٢٢٥؛ ريزفان، ١٩٩٣، ص٢٢٢).

وعاب بوركهارت على أهالي ينبع استخدامهم الحجر المرجاني في البناء، وبين مساوئه ، وأن المنازل يبدوا شكلها بائس، كما أثَّر مناخ البحر من رطوبة ورياح على جدران المباني من الخارج فكانت مليئة بالأحافير ومثقبة (وبوركهارت، ١٩٩٢، ص ٣٨٣). وقد تُبنى بعض منازل القرية من الطين، والبعض الأخر من الحجر، كما في ينبع النخل (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٣٨٣).

ويتم تشييد الأبنية الحجرية بعد أن تقطع الحجارة وتشذب –أحياناً– بالمعول والفأس القدوم، ثم تنقل من المحجر أو المقلع هي ومواد البناء من اللبن والنورة والجص والبطحاء وغيرها إلى الموقع المراد تشييده عبر عجلة تجرها الدواب، ليبدأ بعدها مرحلة البناء، بإقامة قاعدة من الطين والحجارة، مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض في أساسات تُحفر إلى عمق يصل ثلاثة أذرع (١,٥م)؛ لتمنع تسرب مياه الأمطار، وتصف المدماك بجانب الآخر وتثبت حجارة البناء وتليس الجدران بالطين المخلوط و"النورة"(الخزرجي، ١٩٩١، ص ١٥).

وإن كانت الأخيرة أكثر كلفة عن الطين؛ إلا أنها تجعله أكثر متانة وأطول عمراً علاوة على أن الجو الجاف الذي يسود الحجاز يساعد على بقاء البناء وقتاً طويلاً (الخزرجي،

١٩٩١، ص ١٥). ويستمر العمل في المدماك حتى نهايته، ثم يتكرر صف المدماك الثاني فوق الأول على أن يرتكز الحجر الواحد منه على حجرين من المدماك السفلي، وهكذا حتى ينتهي الجدار، ويقوم السقف على أعمدة من جذوع النخيل تحمل عوارض خشبية قد تكون من شجر السرو، والذي يغطى بجريد النخل والإذخر، ثم يضاف بعدها الطين على سقف الجريد.

واستعمل في تثبيت حجارة البناء وتليس الجدران الطين المخلوط(١) و"النورة" وإن كانت الأخيرة أكثر كلفة عن الطين؛ إلا أنها تجعله أكثر متانة وأطول عمراً علاوة على أن الجو الجاف الذي يسود المدينتين المقدستين يساعد على بقاء البناء وقتاً طويلاً(٢).

وقد تستخدم القصة (الجص) والنورة (الكلس أو الجير)، لتلييس الجدران. وبأعلى البناء نجد الميزاب الخشبي لتصريف مياه الأمطار. وفي المناطق الجبلية كانت الجدران تحمل نوافذ صغيرة نوعا ما لتفادي الرياح العاصفة والبرد القارس. وتُبنى مواقد مستطيلة في أحد أطراف المجلس تستخدم في صنع القهوة أو لأغراض التدفئة (عيد، ١٩٩١، ص ٤٨؛ مرعي، ١٩٨٤، ص ص٦- ٢٠).

وأغلب المباني الصخرية من طابق واحد أو أكثر ، فمنازل "العلا" كانت من طابقين يصل المرء الطابق الثاني من خلال سلم ومنه يصعد إلى السطح، وفيها بيوت مبنية من ثلاثة طوابق، وأن الأسفل بمثابة الطابق الأرضي، وفوقه الطابق الثاني، ثم السطوح (أويتينج، ١٩٩٩، ص٢٠٠).

(١) كان معجون الطين يتكون من البطحاء – النورة. (الحمدان،١٩٩٠، ص ٢٠٣).

(٢) كانت مصانع النورة بمكة تقع بجوار مناجم أحجار الكلس فيما يعرف بوادي سرف أو النوارية على يسار الذاهب إلى المدينة من مكة، – قبل الجموم–، وعلى بعد ١٦ كم من المسجد الحرام، كما وجدت مصانع للنورة في الحراب، وهي مجاورة لمناجم أحجار الكلس عند جبل الحرابي على بعد ٢١ كم من مكة، وقد أنشأها الشريف ناصر بن بخيت (ت ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م)، عند جبل الحرابي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة. انظر: سنوكه: صفحات من تاريخ مكة، ٢/ ١٨؛ الغزاوي: شذرات الذهب، ص ٢١، ٨٣،؛ محمد أمين المكي، أثار، ص ٧٥؛ الغباشي، ١٤١٨، ص ٦٠، ٦٩).

وقد تصل طوابق المبني إلى أربع أو أكثر، ويظهر ذلك في القصور المشيدة في قرى الطائف وعلى أطرافها، مثل قصر شبرا والذي يتكون من قبو تعلوه أربع طوابق (ديديه، ٢٠٠١، ص ص ٣٣٢- ٣٣٣)[1]، تحيط به حديقة خضراء كثيفة الأشجا، روسقفه فيه كثير من المداخن(داوتي، ٢٠٠٩، مج ٢، ج٢، ص٢٥٨).

وقد ينافس المبنى الحجري العشة في مساحته، بحيث لا يتعدى مساحة غرفة واحدة أو أقل، ويطلق عليه المخزن أو "الـمَدَابـة"، وجمعها "مَدَاب"، والمبنية من الحجارة والمنتشرة على المرتفعات الجبلية لملائمة مواد بنائه الأجواء المنخفضة الحرارة، وقدرته على التدفئة والحماية من البرد(عبد العال، ١٩٧٦، ص١٣٥).

وتستخدم الـمداب للتخزين –أيضا– فيترك فيها البدو الرحل أغراضهم غير المنقولة (البدراني، ٢٠١٠، ص١٢٧).

وقد تحوي القرية نوعين من المنازل منها ما هو مبني من الطين، ومنها ما هو مبني من الحجر، كما في "ينبع النخل"، فكانت منازلها مبنية من اللبن "الطين" أو الحجارة (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ٣٨٤).

ج – العُشش "العُشَّه":

العُشة مفرد، وتجمع على عشش وأعشاش، وهي مأخوذة من عُش الطائر الذي يجمع من حطام العيدان وغيرها (ابن منظور،١٤١٤،ج٤، ص٢٩٥٧).

(١) وفي العهد السعودي كان قصرا صيفيا للملك عبد العزيز، ثم اتخذه الملك فيصل بن عبد العزيز رحمهم الله جميعا قصراً لرئاسة مجلس الوزراء أثناء الصيفـاً كما اتخذ مقراً الوزارة الدفاع والطيران، ثم أمر الملك فهد رحمه الله بتسليمه لوزارة المعارف ليكون متحفاً دائماً للتراث. انظر: بديرة، محمد صالح: قصر شبرا التاريخي، (الطائف، التنشيط السياحي، ط١، المطبعة الأهلية بالطائف)، ص ١٩.

وإطلاق اسم عشة على نوع البيوت هذا؛ فيه إشارة إلى وهنها وضعفها وبساطة بنائها[١]، وقد يطلق عليها اسم "كوخ"، لكونها مبنية من الخشب (جون كين، ٢٠١١، ص١٧٨).

وشاع لفظ "العشة" بين أهالي الحجاز (سنوك، ١٩٩٩، ص٣٥١؛ جون كين، ٢٠١١، ص ١٩٤)، وقد تطلق أيضًا على المخزن (صبري، ٢٠٠٤، ص ٣٧). وتمثل العشة النمط السائد في سهول تهامة الحجازية والمحاذية للبحر الأحمر، وقد ساد هذا النمط من البيوت، لملائمة مواد بنائها للجو الحار (عبد العال، ١٩٧٦، ص١٣٥).

كما انتشرت العشش والأكواخ في الضواحي الأكثر فقرا، وفي القرى الصغيرة، والتي تعاني انكماشاً اقتصادياً ويفتقر أهلها للمال (بوركهارت، ١٩٩٢، ص ١٩). كقرية قديد[٢] فقد كانت بيوتها عبارة عن أعشاش وأخصاص (الدرعي، ٢٠١١، ص١١٢؛ الورثيلاني، ٢٠٠٨، ص٤٣٢).

ولم تكن بيوت قرية مستورة بأحسن حالاً من قديد، فرغم كونها محطة لقوافل الحجيج تقع على سهل متسع قريب من الساحل؛ إلا أن الماء بها كان قليلاً، وقد أثر ذلك على كثافة سكانها، فاكتفوا بالمساكن البسيطة من الأكواخ والعشش (السويدي، ص ٣١٨؛ البتنوني، ١٣٢٩، ص٢٧٠). وقد يتخذ المزارعون من العشش بيوتا لهم بين الحقول والمزروعات كما في قرية الجديدة(صادق، ١٩٩٩، ص ص ٥١، ٢٠٣).

وقد تكن العشش مساكن مؤقته لعابري السبيل، مثل تلك التي أقيمت في سوق خليص[٣] للعربان حتى ينتهوا من بيع ما جلبوه معهم من البادية (صادق، ١٩٩٩، ص ٩٨).

---

(١) ويطلق اليوم اسم "العشة" في الأرياف على الحضيرة التي تسوى للمواشي تكفُّ عنها البردَ وغيره.

(٢) قديد: هو وادٍ ضخم من أودية الحجاز، وهو خصيب، كثير العيون والمزارع، يبلغ طولة ١٥٠ كيلا، وبه العديد من القرى، ويمر وادي قديد شمال خليص، فهو واقع بين رابغ وخليص. (البلادي،١٩٨٣، ص ١٣٥٧).

(٣) خُلَيْص: وادٍ كثير الماء والزرع، واسع على شكل مربع من السهل، يقع شمال مكة على مسافة ١٠٠ كيلا، سكانه من حرب ووبيد والبلادية، كانت قراه في بداية أمرها عبارة عن حصن كما قال ياقوت الحموي، ثم تحولت مع مرور الزمن إلى قرية، واليوم يضم الوادي ثلاثين قرية، وبه خمسمائة بئر زراعية تعتمد على الضخ الألي، وبه عين خليص، وهين عين تجري، وكانت خليص تعرف قديما بأمج. (البلادي، ١٩٨٣، ص ٥٦٦).

كما تتألف قرية عسفان (من أخصاص من القصب من أجل العابرين (ريزفان، ١٩٩٣، ص١٠١).

ويكثر عدد العشش ويقل حسب حجم الأسرة وعدد أفرادها، وما يملكونه من مواشٍ أو حطب وفحم ونحوه. فحين يكون عدد أفراد العائلة كبيراً، ويملك رب العائلة ماشية كثيرة، فعندئذ يقوم ببناء أكواخ عدة ويحيطها بسور عال (نيبور، ٢٠٠٧، ص٢٥٩).

وكانت بحرة[١] عبارة عن مجموعة من عشرين كوخا تقع على أرض منبسطة (بوركهارت ١٩٩٢، ص٥٤).

وتوزع العشش داخل القرية بطريقة تحافظ على التباعد النسبي بين العشة والأخرى، حتى إنها يخال للناظر وكأنها خلية نحل، كقرية أبي شعيب (داوتي، ٢٠٠٩، مج ٢، ج٢، ص٣٠٢)[٢].

وتبنى العشة من غرفة واحدة، ومعظمها على شكل مخروطي، لما يتميز به هذا الشكل من توفير التهوية الجيدة في الصيف والدفء في الشتاء.ولها باب واحد وبعضها لهت بابان، ولها نوافذ جانبية صغيرة، لا تتجاوز النافذتين، والبعض الآخر لا نوافذ لها.

ويستغرق بناءها عدة أيام حسب حجمها ومساحتها والظروف المالية لصاحبها[٣].

ويصف نيبور عشش القنفذة[٤] بأنها مبنية من الأخشاب التي تقطع من الأشجار المتوفرة في المكان، وتطلى الجدران بالصلصال الممزوج بالروث، ثم تطلى من الداخل

(١) تقع بحرة أسفل وادي فاطمة ما بين جدة ومكة. وكانت بلدة بحرة قديما محطة للحجاج، بسبب موقعها بين مكة وجدة، وأيضا تعتبر بحرة أول بلدة يمر من وسطها طريق معبد في المملكة العربية السعودية، وهو الطريق الواصل ما بين مكة المكرمة وجدة. (البلادي، ١٩٨٣، ص١٧١).

(٢) أبو شُعَيب: كانت من أكبر عيون مرَّ الظَّهران، فأجريت مياهها إلى جدة، وهي ول مياه تصل ول مياه تصل لى جدة من خارجها، ثم انقطت بعد مشروع أبو حصاني، فقامت زراعتها من جديد من الآبار. (البلادي، ١٩٨٣، ص ٩٢٨).

(٣) لمزيد من الإيضاح عن طريقة بناء العشة أو العشش في منطقة جازان انظر: (غيثان بن، ١٩٩٤، ص ص ٤٩ -٥١).

(٤) القُنفَذة: إحدى الموانئ الرئيسة لبلاد تهامة والسراة على ساحل البحر الأحمر، وتقع بين مكة وجازان، وهي إلى مكة أقرب، حيث تبعد عنها ٣٠٠ كم تقريبا. انظر: (البركاتي، ٢٠٠٧، ص ٤٦، ٦٧؛ الجاسر، ١٩٧٥، ج٣، ص٥٦٤).

بالكلس، وتصنع السطوح من أعشاب تكثر في المنطقة. وتفتقر هذه المنازل للنوافذ، وتسدّ الأبواب بالحصر المصنوعة من القش (نيبور، ٢٠٠٧، ص٢٥٩).

وفي بعض القرى تحاط كل عشة بسور خاص بها، كما في قرية أبي شعيب (داوتي، ٢٠٠٩، مج٢،ج ٢، ص٣٠٢).وقد تجمع بعض القرى بين بيوت الطين والعشش، كما في قرية الحمراء (بيرتون، ١٩٩٥، ج١، ص ص٢٠٢- ٢٠٣).

ومن مساوئ العشش عدم قدرتها على تحمل الظروف المناخية كالأمطار والسيول والرياح ، اضافة إلى أنها سريعة العطب والتعفن إذا ما أصابها المطر ، وطال بها الزمن (داوتي، ٢٠٠٩، مج٢، ج٢، ص٣٠٢؛ فيلبي، ٢٠٠٢، ج٢).

ومما يلحظ له التغيرات المتسارعة في كافة مناحي الحياة والتي تشهدها البلاد، ومنها نمط العمارة وتطورها وتدرج التصميم للبيوت من البساطة في تخطيط البناء وعناصره المكونة له والمواد المستخدمة في إنشائه إلى البيوت ذات التصاميم العصرية والفاخرة، والمتميز بروح التقاليد والقيم والمحافظة على التراث وتوظيفه في التصاميم المعاصرة في ظل التطور الحضري والتكنولوجي الذي تشهده البلاد (الصفيان، ٢٠٢٣م، ص٢).

المحور الثالث: أثاث البيت القروي، ومقتنياته، ومستلزمات المطبخ وأدواته.

البيت الحجازي في الظروف الجيدة بيت مريح ونظيف[1]. ويظهر ذلك من خلال فرشه وأثاثه، والذي اتسم بمظهره البسيط، ومكوناته المتواضعة، إذ اقتصرت المفروشات على الضروريات وإن بدت فيها ملامح الجماليات، والتي تبرز في غرف استقبال الضيوف، فكانت محل عناية ربة البيت، فتخصص لها أفضل الأثاث وأفخمه بما يتوفر لها من إمكانيات، فتفرش أرضيتها بالبسط المحلية المصنوعة يدويا من خوص النخيل وجريده، أو وبر الأنعام وصوفه، وربما فرشت بحنابل من القطن، مجلوبه من الهند، وقد تعبأ المساند والأرائك والطواويل من منتجات البيئة المحلية كأن تحشى بالطِرْف وهي حبوب صغيرة كحبوب

(١) أكد على هذه الحقيقة كل من زار الحجاز من الرحالة، بل أن بعضهم وجهته قوة الملاحظة إلى حرص الضيف على خلع حذائه عند دخوله غرفة الجلوس. انظر: (جون كين، ٢٠١١، ص ٤٤).

البرغل لكنه خفيف كالقطن يستخرج من بعض أشجار الحجاز (الكردي، ٢٠٠٠، ج٢، ص١٥١). إضافة إلى المساند والوسائد المحلية المصنوعة من الجلود المدبوغة أو من الأقمشة الوبرية الوبر والصوفية (رفيع، ١٩٨١، ص٢٩).

وفي بعض بيوت الأثرياء والوجهاء فرشت الأرض بالسجاجيد المجلوبة من الخارج والمصنوعة من "القطيفة"(البدراني، ١٩١٩، ص ١٢١).

وتوضع الطواويل على جوانب الغرفة، وفوقها ترص المساند، وتوزع الدفاعات على أنحاء الغرفة، وفوق الدفاعات توضع مخدات مزركشة الغطاء، ويغطى كل ذلك بشراشف مزركشة مشغولة بالأشغال اليدوية الجميلة، وقد يوضع في جيب خاص في صدر المجلس مراوح السعف وجريد النخل لطرد الزباب والتهوية(بركهارت، ١٩٢٥، ص١٥٧).

أما غرف المعيشة فغلب عليها قطع الأثاث الزهيدة، فقد كست الأرض بحصير الخوص، وزينت بمراتب ومخدات وبعض الشراشف للاستعمال في أيام الحر، وبعض اللحف لأيام البرد (رفيع،، ١٩٨١، ص٢٩؛ آمال رمضان، ٢٠١٤، ص ٤٦).

وفي مرتفعات الحجاز الجنوبية والتي يخيم عليها برودة الأجواء، في الصيف وفي شتاء، نجد أن البرودة كانت مدعاة لتأفف أرسلان منها، فدون في رحلته ما قاصاه من ذلك، فقد حل صيفا بقرية الفرع الواقعة على قمة جبال الشفا(أرسلان، ٢٠١٢ـ ص٢٠٠).

كما تحلى جدران الغرف بأرفف قد يوضع عليها الدلال والأباريق أو الصحون والأتاريك، إضافة للمباخر الفخارية وعادة ما تكون مربعة الشكل من الفخار الخشن (مرسي، ١٩٩٧، ص٥٧٣، ٥٧٦).

واحتوى الأثاث صندوقاً خشبياً يسمى بـ"السحارة"، وخصص لمستلزمات المرأة، من ملابس وأدوات زينة كقلائد وأساور ومرايا وعطور ونحوه (البدراني، ٢٠٠٣، ص ص ٣١١- ٣١٤؛ الحاج، ٢٠١١، ص٢٢٦).

وللإضاءة في عتمة الليل زينوا منازلهم وأضاؤوها بمسارج مصنوعة من الفخار المصقول، والقناديل الزجاجية المزودة بالشموع أو بالزيوت(بوركهارت، ١٩٨٣، ص ٣٣).

ولما عرف عندهم القاز "الكيروسين"، أو "الكاز" كما يطلقون عليه؛ شرع الأهالي في تعليق مصابيح الكاز في منازلهم (ريزفان، ١٩٩٣، ص٣٨٤؛ رفيع،١٩٨١، ص٣٠).

ووصف داوتي غرفة الجلوس التي تم استضافته فيها بأحد بيوت قرية العلا بأن جدرانها مزينة ببعض المشغولات المصنوعة من ليف النخيل، ومزينة بأربطة حمراء اللون، ومفروشة بحصير مصنوع من سعف النخيل، يضعونه "سفرة"، عند تناول الطعام، أسفل صواني الطعام (داوتي، ٢٠٠٩، مج١، ج١، ص ٣٠٠).

أما العشة، فكما هي بسيطة في تأسيسها متواضعة في أثاثها، فهي غالبا ما تتكون من أرائك خشبية ذات أربع قواعد متساوية في الطول تصنع من الخشب المتين المنتشر في المنطقة، وتُطلى بالقطران ليكسبها اللون الأسود، كما أنه يساعد على حماية الخشب من التآكل ويحميها من الأرضة، وتوصل القواعد بأربعة أعمدة أخرى ذات مقاسين مختلفين فتأخذ شكلاً مستطيلاً بحيث يجعلها مناسبة لاستخدامها سريرًا أو مقعدًا للجلوس، وتصنع أرضيتها من الحبال المصنوعة من سعف النخل أو الدوم ويتم نسجها على طبقين بشكل متعامد أفقيًا ورأسيًا بحيث تكتسب متانة وقوة، وقد يضع بعضهم فوقها فرش مصنوعة من القطن، أو محشوة ببعض النباتات المحلية،

وتزين من الداخل بالنقوش والرسوم الملونة، وتعليق بعض الأواني المصنوعة من الفخار والخوص والسعف، وفي ركن من العشة تضع المراوح والمكانس وجرار الماء الفخارية(فيلبي، ٢٠٠٢، ج٢، ص ١٢٢٤).

ويوضع التنور لصنع الطعام أو الخبز في أحد أركان العشة، وذلك في الايام الممطرة والباردة،، أما في الايام المعتدلة فيوضع خارجها (نيبور، ٢٠٠٧، ص٢٥٩).

وأما مستلزمات المطبخ وأدواته، فيعدّ المطبخُ أو ما كان يطلق عليه "المركب" أو"الموقد"[1]. فحوى جميع مستلزمات المرأة والتي تحتاجها في صنع الطعام وإعداده. وقد

(١) كما في لغة قبيلة حرب في وادي الفرع الواقع جنوب المدينة المنورة على طريق المدينة / مكة. (البدراني، ٢٠١٠، ص١٢٨).

اعتنت بنظافته ونظافة الأواني والأدوات المتعلقة بالطعام والشراب، (بوركهارت،١٩٩٢، ص ٦٣).

ويتكون المطيخ رغم بساطته من صندوق خشبي أو "النملية": وهي دولاب مصنوع محلياً من الخشب، يوضع فيه أواني المطبخ كالصحون والأكواب (بيرتون، ١٩٩٥، ج٢، ص١٤٦؛ **البتنوني، ١٣٢٩**، ص ص ٥٧، ٦١).

وصندوق تخزن فيه المواد الغذائية كالحبوب والسمن بعد أن تحفظ في جرار محكمة الغلق،، (الخزرجي، ١٩٩١، ص ١٤؛ العيسى، ١٩٩٨، ج٢، ٥٠، ٧٦، ج ٤، ص٢٥).

ورحى لطحن الحبوب، اضافة إلى القدور الفخارية والنحاسية، والصحون والأكواب الخشبية والفخارية، والملاعق الخشبية كالمغارف ونحوها، (ريزفان، ١٩٩٣، ص١٨٥؛ أوبنهايم، ٢٠٠٧، ج٣، ص٢٨٦؛ البتنوني، ١٣٢٩، ص ص٥٧).

وحوت بعض المطابخ أواني زجاجية كالصحون والأكواب (البدراني، ٢٠٠٣، ص ص ٣١١- ٣١٤). واستعملوا الجِلال[1] والسلال بمختلف أحجامها واستخداماتها المنزلية (الحميري، ١٩٩٩، ج٨، ص٥٣٢٥؛ ابن منظور، ١٤١٤، ج٤، ص٥٥٥).

وأواني مصنوعة من الجلود المدبوغة، وفي مقدمتها القرب[2]؛ بمختلف أنواعها وأحجامها (النابلسي، ١٩٨٦، ص ٣٧٠؛ أوبنهايم، ٢٠٠٧، ج٣، ص٢٨٦).

إضافة إلى "السعن" والذي يستخدم لخض اللبن وحفظه، وهو يصنع من جلد الماعز المدبوغ (نيبور، ٢٠٠٧، ج١، ص ١٩٨؛ أوبنهايم، ٢٠٠٧، ج٣، ص٢٨٦).

ومن أدوات المطبخ تلك المتعلقة بإعداد القهوة وشربها، والتي تشمل الهون، وهو من الحجر أو الخشب أو الفخار لطحن البن، ودلال القهوة الفخارية أو النحاسية، وأكواب

(١) الجِلال، مفردها: جُلّة، وهو أوعية مصنوعة من خُوص يحفظ فيها التمر. (الحميري ١٩٩٩، ج١، ص ١٨١٧).

(٢) بالإضافة إلى قرب الماء المصنوعة محليا انتشرت في أسواق الحجاز قرب المياه الحلدية الآتية من السواقين ومصر، والقسم الأكبر من الحجاز تتوافر فيه القرب من السواقين ويكثر الطلب عليها لأنها خفيفة جد وتخاط بإتقان كبير وتدوم عند الاستعمال اليومي نحو ثلاثة أو أربعة أشهر. (بوركهارت ١٩٩٢، ص ص٣٣١، ٣٥٤).

القهوة الصغيرة المصنوعة من الفخار (أوبنهايم، ٢٠٠٧، ج٣، ص٢٨٦؛ البلوي، ٢٠١٨، ص٢٢). و"تنور"[1] أو موقد لتحضير الطعام(الجزيري، ١٩٨٣، ص ١٥٨).

وكست البساطة المصبوغة بالتقشف زواية العشش المخصصة لأواني المطبخ وأدواته، المصنوعة من الفخار والخوص والسعف وفي ركن من العشة تضع المراوح والمكانس وجرار الماء الفخارية (فيلبي، ٢٠٠٢، ج٢، ص ١٢٢٤).

الخاتمة :

توصلت الدراسة لعدة نتائج، من أهمها:

- أضاءت الدراسة عن هوية القرية الحجازية المعمارية والتي تميزت ببساطة التخطيط والعمران بما يتوافق مع وظيفة المكون المعماري.
- جاء تخطيط البيت القروي وتكوينه المعماري منسجما مع عادات وتقاليد المجتمع الحجازي.
- برزت مهارة المعماري المحلي، واتقانه لصنعته؛ في تصميم البناء وتشييده، بما يتناغم مع معطيات البيئة وطبيعتها الجغرافية.
- تنوعت الأشكال الهندسية للبيوت القروية وفق طبيعة الموقع ومواد البناء المتوفرة، والحياة المعيشية لسكانها، فظهرت بيوت الطين والحجر والعشش.
- حرص القرويون على نظافة منازلهم رغم بساطة بناءها وأثاثها.

* كما خلصت الدراسة لعدد من التوصيات منها:

- محاولة محاكاة الماضي وربطه بالحاضر بالاستفادة من مقتنيات البيئة المحلية في تشيد بيوت عصرية صديقة للبيئة تضاهي في خصائصها البيوت التقليدية القديمة.

(١) التنور: جمعها تنانير، وهي الفرن من الطين يخبز فيها، ويستعمل الحطب في إشغاله. (الحميري، ١٩٩٩، ج ٢، ص٧٧٥).

- الاستفادة من البيوت التراثية القديمة وتحويلها إلى متاحف ومراكز ثقافية، أو مقاهٍ ومطاعم؛ لإعادة الحياه لها، وتوفير عائد اقتصادي مربح إضافة إلى تسجيلها لذاكرة المكان وتاريخه العريق.
- الاستفادة من وسائل التكنولوجيا الحديثة مثل: التصوير ثلاثي الأبعاد أو نماذج المحاكاة لإعادة بناء هذه الطرز المعمارية للتعرف على الموروث الثقافي ومحاولة وتطبيقه في البيئة المحلية من جديد، مع الاستعانة بطرق ووسائل البناء الحديثة.

الملاحق:

صور لمنازل القرية الحجازية

منازل قرية سفينة أواخر العهد العثماني (أ)

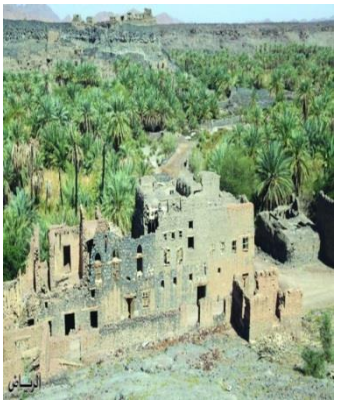

قرية خيبر في العهد العثماني (ب) "

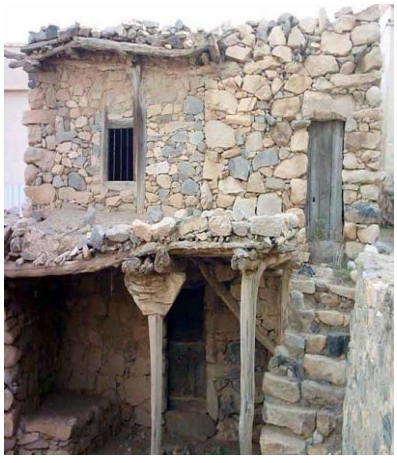

من مكونات المنزل القروي

العريش أو المصطبة أمام البيت(ج)

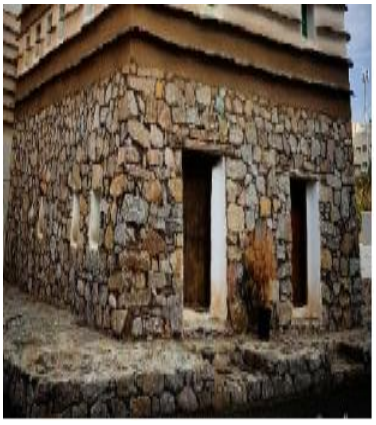

صورة لأحد منازل القرية الحجازية يظهر فيها بساطة

البناء وكذلك مكوناته (د)

صور لجانب من فرش البيت القروي وبعض محتويات المطبخ

جانب من المطبخ القروي وبعض مقتنياته

" الهون النحاسي أو المدق

موقد للطهي يستخدم عن طريق

الأزيار والشراب المستخد

بعض من السلال الخصفية والقدور النحاسية والمعدنية

المصادر والمراجع:

أرسلان، شكيب. (٢٠١٢). *الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف*. مدرسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة.

الأنصاري، عبد القدوس. (١٩٧٣). *آثار المدينة المنورة*. المكتبة السلفية. المدينة.

أوبنهايم، ماكس فرايهير وأخرون. (٢٠٠٧). *البدو ـ شمال ووسط الجزيرة العربية والعراق الجنوبي*. ترجمة: محمود كبيبو. الوراق للنشر. د. م.

أويتنج، يوليس. (١٩٩٩). *رحلة داخل الجزيرة العربية*. ترجمة: سعيد. دارة الملك عبد العزيز. الرياض.

باديا، دومنجو .(١٤٢٩). *رحالة أسباني في الجزيرة العبية "رحلة دمنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٣١ هـ/١٨٠٧ م*. ترجمة: صالح السنيدي. دارة الملك عبد العزيز. الرياض.

البتنوني، محمد لبيب. (١٣٢٩) . *الرحلة الحجازية*. ط٢. مطبعة الجمالية. القاهرة.

البدراني، فايز بن موسى. (٢٠١٠). ملامح الأوضاع الاجتماعية في وادي الفرع خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. مقال. *مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة*، العدد ٣٥، شوال ١ و الحجة، ١٤٣١هـ اكتوبر ديسمبر ٢٠١٠م. المدينة.

------. (٢٠٠٣). "بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني" "٩٦٠ - ١٣٠٠ هـ / ١٥٥٣ - ١٨٨٣م. *مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية*. مج ٩. ع ١. أغسطس. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. الرياض.

بديرة، محمد صالح. (د. ت). *قصر شبرا التاريخي*. ط١. المطبعة الأهلية. الطائف.

البركاتي، شرف عبد المحسن. (٢٠٠٧). *الرحلة اليمانية للشريف الحسين بن علي*. ط١. دار الوراق للنشر. لندن.

البعلبكي، منير ورمزي. (٢٠١٣). *قاموس المورد الحديث*. دار العلم للملايين. بيروت.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٣). *معجم معالم الحجاز*. ط٢. ط٢، دار مكة للنشر والتوزيع. مؤسسة مطابع الريان. مكة

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٤) *نسب حرب: قبيلة حرب: أنسابها، فروعها، تاريخها وديارها* . ط٣. دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع. مكة.

------. (١٩٨٠) . *معالم مكة التاريخية والأثرية*. ط١ . دار مكة للنشر والتوزيع. مكة.

البلوي، فاطمة. (٢٠١٨م). أدوات المطبخ الشمالي في الموروث الشعبي، *جريدة الرياض* الأحد ٢٢ ذو الحجة ١٤٣٩هـ -٢ سبتمبر ٢٠١٨م.

بوركهارت، جون لويس. (٢٠٠٧). *ملاحظات عن البدو والوهابيين*. ترجمة: صبري حسن . ط١. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

------. (١٩٩٢). *رحلات إلى شبه الجزيرة العربية* "عام ١٢٣٠- ١٢٣١هـ. ترجمة عبد العزيز الهلابي. ط١ . مؤسسة الرسالة. بيروت.

بيرتون، ريتشارد. (١٩٩٥). *رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز*. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

التامراوي، السوسي، محمد المختار.(١٩٦٢). *المعسول، الرحلة الحجازية أو رحلة التامراوي*. مطبعة النجاح. الدار البيضاء.

تاميزيه، موريس. (٢٠٠١). *رحلة في بلاد العرب الحجاز*. ترجمة: محمد بن عبد الله آل زلفة. دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض.

الجاسر، حمد. (١٩٧٥). رحلة محمد بن عبد السلام الدرعي. *مجلة العرب*. س ٩.ع ٧ و٨ . محرم – صفر/ ١٣٩٥هـ/ فبراير، مارس / ١٩٧م.

جبور، جبرائيل سليم. (١٩٨٨) . *البدو والبادية*.ط١.دار العلم للملايين.بيروت.

جريس، غيثان بن علي.(١٩٩٤). *عسير دراسة تاريخية حضارية (١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ/ ١٦٨٨ – ١٩٨٠م)*. دار البلاد للطباعة والنشر .جدة.

الجزيري، عبد القادر. (١٩٨٣). *درر الفرائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة*. تحقيق: حمد الجاسر. ط١. دار اليمامة. الرياض.

جلبي، أوليا. (١٩٩٩). *الرحلة الحجازية*. ترجمة: الصفصافي المرسي. دار الأفاق العربية . القاهرة.

الحاج، عبد الله حافظ. (٢٠١١) . *الزراعة والصناعة في شبه الجزيرة العربية من البعثة النبوية إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين*، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة عين شمس. كلية الآداب. القاهرة.

الحارثي، ناصر على. (١٩٩٨) .*موسوعة الآثار الإسلامية بمكة المكرمة ـ أعمال الآجر*. ط١ . نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي. مكة .

الحمدان، فاطمة عبد العزيز سليمان. (١٩٩٠). *مدينة جدة*. دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة.

الحموي، ياقوت. (١٩٩٥). *معجم البلدان*. ط٢. دار صادر. بيروت.

الحميري، نشوان بن سعيد. (١٩٩٩). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: حسين العمري. ط١. دار الفكر المعاصر. بيروت.

الخزرجي، عبد الله فرج. (١٩٩١). *المدينة المنورة، عاداتها وتقاليدها منذ عام ٩٢٥ وحتى عام ١٤٠٩ هـ*. ط١. مطبوعات تهامة . جدة.

الخصيكي، محمد بن أحمد. (٢٠١١). *الرحلة الحجازية*. تحقيق عبد العالي لمدبر. ط١. دار الأمان. الرباط.

الخياري، ياسين أحمد. (١٩٩٣) . *صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه*. ط١. مؤسسة المدينة للصحافة. "دار العلم. جدة.

داوتي، شارلز. (٢٠٠٩). *ترحال في صحراء الجزيرة العربية*. ط١. الوراق للنشر. بغداد.

الدرعي، أحمد بن محمد .(٢٠١١). *الرحلة الناصرية ١٧٠٩ – ١٧١٠ م*. ط١. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي.

ديديه، شارل. (٢٠٠١). *رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي "١٨٥٤ م"* ، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية. الرياض.

رفعت، إبراهيم. (١٩٢٥). *مرأة الحرمين: الرحلات الحجازية والحج ومشاعرة الدينية*. دار المعرفة. دار الكتب المصرية .القاهرة.

رفيع، محمد عمر. (١٩٨١). *مكة في القرن الرابع عشر الهجري*. ط١. منشورات نادي مكة الثقافي. مكة.

رمضان، آمال. (١٤٣٥). *الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ينبع في العصر العثماني من خلال كتب الرحالة*، بحث منشور. ندوة "ينبع عبر التاريخ". كرسي الأمير سلمان بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٥ – ٦/ ٤/ ١٤٣٥هـ.

------. (٢٠٢١)."القرية الحجازية من خلال كتابات الجغرافيين في العصر العباسي"، مقال من بحوث المشاركة في مؤتمر المؤرخين العرب، والمنعقد بالقاهرة تحت عنوان: الوطن العربي في كتابات الرحالة والجغرافيين، ٢-١٠م، *مجلة قطاع الدراسات الانسانية*، جامعة الأزهر، المقالة ١٨، المجلد ٢٧، العدد١، يونيو ٢٠٢١/ ربيع ثاني ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

روش، ليون. (٢٠١٢). *اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام*. ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، مؤسسة جداول.

ريزفان، يغيم.(١٩٩٣). الحج قبل مئة سنة، *الصراع الدولي على الجزيرة العربية والعالم الإسلامي ١٨٩٨ ـ١٨٩٩ م ـ الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين على مكة*. ط٢. دار التقريب بن المذاهب الإسلامية. بيروت.

الزركلي، خير الدين. (٢٠٠٩). *ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة سنة ١٩٢٩م*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

الزعبي، يحي وزملاءه. (١٩٩١). "العمارة بالطين"، بحث نشر في المؤتمر الدولي حول العمارة اليمنية. عدن، ٨-٩ يناير، ١٩٩١م.

سلمان، مها صباح. (٢٠١٧). *التوجهات الحديثة للعمارة المستدامة*.ط١. دار أمجد للنشر والتوزيع. الأردن.

السويدي، أبو البركات عبد الله. (د. ت). *المسكية في الرحلة المكية*. مكتبة الثقافة الدينية. مكة.

صادق، محمد. (١٩٩٩). *الرحلات الحجازية*. ط١. مطبعة بدر. بيروت.

صبري، أيوب.(٢٠٠٤). *موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب*. دار الأفاق العربية. القاهرة.

عبد السلام، ياسر اسماعيل. (٢٠١١). دراسة أثرية فنية لمطارق البواب العثمانية الباقية بمدينة الطائف. مقال. *مجلة جامعة الملك سعود*. كلية السياحة والآثار.م ٢٣ . ج٢". الرياض.

عبد العال، محمد. (١٩٧٦). *العمارة والعمران في الوطن العربي*. دار الراتب الجامعية بيروت.

العجيمي، حسن بن علي. (١٩٨٠). *إهداء اللطائف في أخبار الطائف*. تحقيق يحيى ساعاتي . ط٢ . دار ثقيف للنشر والتوزيع. الطائف.

عجيمي، هشام محمد. (١٩٨٣). *قلعة المويلح "دراسة معمارية حضارية*. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الحضارة والنظم الإسلامية. مكة.

عزب، خالد. (١٩٩٧م) . *فقه العمارة الإسلامية*. ط١. دار النشر للجامعات. القاهرة.

عيد، محمد عبد السميع. (١٩٩١). *العمارة التقليدية بالوطن العربي ـ دراسة تطبيقية على العمارة اليمنية*، المؤتمر العالمي حول العمارة اليمنية: التطور والآفاق، جامعة عدن بالاشتراك مع منظمة اليونسكو.

العيسى، عباس نتو. (١٩٩٨). موسوعة التراث في المملكة العربية السعودية. وكالة الآثار والمتاحف . وزارة المعارف. الرياض.

الغباشي، عادل محمد نور. (١٤١٨). "مصانع النورة بمكة المكرمة ـ طرازها المعماري ونتاجها الصناعي حتى نهاية العصر العثماني". مقال. *مجلة الدارة*. العدد ١. السنة ٢٣، محرم/ ١٤١٨هـ. الرياض.

فالين، جورج أغست. (١٩٧١). *صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر*. ترجمة: سمير سليم . نشر دار أوراق لبنانية. بيروت.

فيلبي، هاري سانت جون (٢٠٠٢). *قلب الجزيرة العربية*، ترجمة: صلاح علي محجوب. ط ١. مكتبة العبيكان . الرياض.

القيسي، محمد بن أحمد. (١٩٦٨). *أنس الساري والسارب، من أقطار المغارب، إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب" (١٠٤٠ - ١٠٤٢ هـ/ ١٦٣٠ - ١٦٣٣م)* . تحقيق: محمد الفاسي. ط١، د. ن. فاس.

كاروثرز، دوغلاس. (٢٠١٢). *"مغامرة في جزيرة العرب" عبر صحراء النفوذ بحثا عن الوضيحي*. ترجمة أحمد أيبش. دار الكتب. أبو ظبي.

الكردي، محمد طاهر. (٢٠٠٠). *التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم*. ط١. مكتبة النهضة الحديثة. مكة.

كعكي، عبد العزيز بن عبد الرحمن. (٢٠٠٣). واجهات المباني التقليدية بالمدينة المنورة، دراسة في التجانس المعماري". *مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة*.رجب – رمضان ١٤٢٤هـ/ سبتمبر – نوفمبر ٢٠٠٣م.العدد ٢.

كورتلمون، جيل جرفيه (١٤٢٣). *رحلتي إلى مكة*. ط١. مؤسسة التراق. الرياض.

كين، جون. (٢٠١١). *ستة أشهر في الحجاز ـ رحلات إلى مكة والمدينة ١٨٧٧ – ١٨٧٨ م*. ترجمة: سارة هادي، دار الرافدين للنشر والتوزيع . القاهرة.

مرعي، عبد الرحمن.(١٩٨٤). الجير، تصنيعة ومشتقاته. *مجلة العمران العربي*.ع ٦.

مصطفى، إبراهيم وآخرون.*المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية. القاهرة.

مصيلحي، سعيد محمد. (١٩٨٣). *أدوات وأواني المطبخ المعدنية في العصر العثماني-دراسة أثرية فنية*. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآثار. جامعة القاهرة.

معطي، على محمد. (٢٠٠٣). *تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام*. ط١. دار المنهل. بيروت.

ابن منظور، أحمد. (١٤١٤). *لسان العرب*. ط٣. دار صادر. بيروت.

موسى، جمال محمود. (١٩٩٧). آثار درب الهجرة النبوية في عصر الدولة العثمانية. *مجلة المؤرخ العربي*. اتحاد المؤرخين العرب. العدد ٥، المجلد ١، مارس.

النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل. (١٩٨٦).*الحقيقة والمجاز في الرحلة على مصر والشام والحجاز*. تعليق: محمد هريدي. الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.

نيبور، كارستن. (٢٠٠٧). *رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها*. ترجمة: عبير المنذر.ط١ . مؤسسة الانتشار العربي. بيروت.

هرحورخورنيه، سنوك. (١٩٩٩). *صفحات من تاريخ مكة*. دارة الملك عبد العزيز. الرياض.

الورثيلاني، حسين بن محمد. (٢٠٠٨). *الرحلة الورثيلانية الموسومة بـ (نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار)*. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.

الصفيان، محمد. وكيل أمين المنطقة الشرقية لشؤون البلديات، وكالة أنباء المملكة العربية السعودية: *تصاميم البيوت السعودية..بين التقاليد والحداثة*، وكالة بث الإعلامية، ٢٥ سبتمبر٢٠٢٣م. https://bethpress.com/News/Details/

https://geolougy.com

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠-١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١-١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص٨٥-١١٢، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 85-112 , King Saud University, Riyadh (1447H / 2025)

حالات مصادر المياه السطحية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية

حكايات من كبار السن مروية – (دراسة أثنواثرية)

د. محمد ظفران عبدالله البكير

جامعة صنعاء، اليمن

Mbkyr194@gmail.com

(قُدِّم للنشر في ٢/ ٠٩/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٢٦/ ٠١/ ١٤٤٧هـ)

الملخص:

تركزت الدراسة على توثيق وتسجيل المعلومات المعرفية عن حالات مصادر المياه السطحية المتجمعة من مياه الأمطار الموسمية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية، والتي أفضت إلى استهداف شريحة كبار السن في مجتمعات التي تتواجد فيها الغيول، والقيام بتدوين مفاهيمهم ونظرياتهم التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، باعتبارها رصيد تراكمي ناتج عن خبرة استمرت لقرون من الزمن، والتي أظهرت أن إنسان المرتفعات الجبلية ألمَّ بمعرفة طبيعة المناخ وطبوغرافية المرتفعات الجبلية وتركيب جيولوجيتها الصخرية، وتميز في معرفة حركة المياه ورصد أماكن حصادها وكذلك مواقع احتجازها لغرض الاستفادة منها.

احتوت الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسية: الأول تناول حالات المياه السطحية، وقد ركز على ذكر خصائص حالات المياه وتدرجها من طبيعة الطقس المناخي حتى غور المياه في باطن الأرض، وقد تم التركيز على المصطلحات والمسميات التي عبرت عن حالات المياه، المبحث الثاني: يلقي الضوء على مصادر المياه السطحية وتحديد أماكن تواجدها وتصنيف مواقع استقرارها في المرتفعات الجبلية، المبحث الثالث: تركيز على ذكر الوسائل والطرق والتقنيات التي ابتكرتها مجتمعات الغيول في حصاد مصادر المياه السطحية وكيفية حجزها والاستفادة منها.

اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي الاستقرائي الذي استهدف كبار السن في مجتمعات الغيول، واستخدام برنامج المقابلة الغير منظمة وطرح الأسئلة بصورة مباشرة، وفتح مجال الحرية في الحوار

وإدارة النقاش، وتسجيل المعلومات وتحليلها ووصفها باستخدام المنهج الوصفي، ومن أهم النتائج أن مجتمعات الغيول في منطقة المرتفعات الجبلية من حوض صنعاء لم يهتدوا إلى إبتكار منظومات الغيول الاصطناعية ومعرفة أماكن مصادرها المائية، إلا عند دراستهم لطبيعة الأرض وطبوغرافيتها ومعرفتهم بحالات المياه وتسلسلها.

الكلمات المفتاحية: المياه السطحية ، غُلَّة ، غيل ، جبال ، حصاد ، الفرضية.

Cases of surface water sources in the highlands of the western Sana'a Mountains "Tales from the elderly narrated"

(An ethnoarchaeological study)

Dr. Muhammad Dhafran Abdullah Al-Bokeer
University of Sanaa, yemen

Mbkyr194@gmail.com

(Received: 2/ 9/ 1446 H; Accepted for publication: 26/ 1/ 1447 H)

Abstract:

The study focused on documenting and recording cognitive information about cases of surface water sources collected from seasonal rainwater in the highlands of the western Sana'a Mountains, which targeted the elderly in the Ghuyul communities, and recording their concepts and theories that they inherited from their fathers and grandfathers, as a cumulative balance resulting from centuries of experience, which showed that the people of the highlands were familiar with the nature of the climate and topography of the highlands and the composition of their rocky geology, and were distinguished in knowing the movement of water and monitoring the places of its harvest as well as the sites of its detention for the purpose of benefiting from it..

The study included three main sections, the first of which dealt with surface water conditions, and focused on mentioning the characteristics of water conditions and their progression from the nature of the climate to the water sinking into the ground, and the focus was on the terms and names that expressed water conditions, the second section shed light on surface water sources and identifying their locations and classifying their settlement sites in the mountainous highlands, the third section focused on mentioning the means, methods and techniques that the Ghayul communities invented in harvesting surface water sources and how to reserve and benefit from them.

The study relied on the qualitative inductive approach that targeted the elderly in Ghayul communities, and used the unstructured interview program and asked questions in direct ways, and opened the field of freedom in dialogue and managing the discussion, and recording, analyzing and describing information using the descriptive approach, and one of the most important results is that the Ghayul communities in the mountainous highlands region of the Sana'a Basin were not guided to invent artificial Ghayul systems and know the locations of their water sources, except when they studied the nature of the land and its topography and their knowledge of water conditions and their sequence.

Keywords: Surface water, yield, ghail, mountains, harvest.

المقدمة:

مصادر المياه السطحية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية، يعتبر من المواضيع العلمية الذي تم رصده أثناء المسح الميداني لقنوات الغيول المائية في المرتفعات الجبلية الغربية لحوض صنعاء، عند إعداد الباحث لرسالة الدكتوراه، فمن خلال المقابلات الشخصية لكبار السن الذين كان لهم معرفة وخبرة في تنظيف قنوات الغيول وعيونها المائية، وقد لفت أنظار الباحث موضوع حالات مصادر المياه السطحية، لما له من أهمية في توثيق وتسجيل ما اكتسبه كبار السن من مهارات وتجارب، كانت نتيجة تراكم معرفي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم وتناقلوها عبر الأجيال منذ ظهور منشئات الغيول المائية.

وبواسطة المنهج النوعي الاستقرائي الخاص بمقابلة كبار السن، وتطبيق أسلوب التردد على مجالسهم وتقنص الوقت المناسب لطرح الأسئلة عليهم، ومناقشتهم حتى تم التعرف على حالات المصادر المائية في المرتفعات الجبلية، وقد تميز السرد العلمي لكبار السن الخاص بحالات مصادر المياه السطحية، بذكر مسمياتها ووصف حالاتها على شكل تسلسل مرحلي، يوحي أن كل حالة لها دلالة معينة في مكان ومستوى محدد، ابتداءً من تساقطها على قمم الجبال وانتهاءً بتدفقها في سهول وقيعان الوديان أو غورها في باطن الأرض، وقد أعطونا تصوراً واضحاً بحركة المياه ومعرفة خصائصها، وكيف اهتدى الإنسان إلى حصادها والاستفادة منها، مستدلين بذلك ومستشهدين بدلائل من كتاب الله عزوجل، ومن معاجم لغوية عربية ومصادر لكتب تاريخية، وكذلك توضيحهم لبعض المفردات في لهجاتهم الإجتماعية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في استهداف شريحة كبار السن في مجتمعات الغيول المائية، لغرض توثيق وتدوين ما لديهم من معلومات وتجارب نظرية، والحرص على عدم ضياع معارفهم التراكمية، والتي قد لا تكون موثقة أو مسجلة في المصادر العلمية المتوفرة حالياً،

باعتبار أن معظم مجتمعات الغيول المائية يرون أن هذه المعلومات عامة ليس لها قيمة مقارنةً بالعلوم الحديثة، لكنها في الأصل أساس العلوم القديمة والحديثة.

أهداف الدراسة:

١- السعي لتسجيل وتوثيق المعرفة العلمية والخبرة التراكمية من مصادرها المتمثلة بشريحة كبار السن، ومحاولة قراءات وتحليل سلوك المجتمعات القديمة والخاصة بما يتعلق بمصادر المياه.

٢- معرفة الأفكار والرؤى الهندسية التي استعانت بها مجتمعات الغيول المائية، في إكتشاف حالات المياه السطحية، وأماكن تواجدها وفهم الطرق والوسائل التي بواسطها تم استخراج المياه من باطن الأرض أو حجزها في منشئات مائية والاستفادة منها.

٣- اكتساب مصادر علمية جديدة تهدف إلى دراسة المجتمعات اليمنية القديمة، واكتشاف تجاربها المعرفية وتوثيق خبراتها ومهاراتها التي للأسف تعرضت للإهمال والضياع، وعدم مواصلة توريثها إلى الأبناء والاحفاد.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في توثيق وتسجيل حالات مصادر المياه السطحية في مرتفعات وهضاب جبال صنعاء الغربية، واستندت الى المنهج النوعي الإستقرائي الذي ركز على شريحة كبار السن لغرض استنباط معارفهم التراكمية التي توارثوها عن طريق الحكايات والروايات القصصية أباً عن جد، والأخذ ببرنامج التحقيق من المعلومات المسجلة من كبار السن المتوفيين أثناء إعداد الدراسات السابقة وطرحها على من تبقى من كبار السن والخروج بالنتائج.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع ولكن بشكل عام، وفيما يلي إستعراض لأهم هذه الدراسات، مرتبة من الأقدم إلى الأحدث:

١- دراسة الباحث حامد عبدالقادر بافقيه في عام ٢٠٠٧-٢٠٠٨م بعنوان:(تقنية أنظمة الري القديمة في مملكتي حضرموت وقتبان في جنوب الجزيرة العربية خلال الالف الأول قبل الميلاد دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه منشورة، تميزت بذكر منشئات الري القديمة في وديان حضرموت وقتبان وفرد فيها ذكر مصطلحات ومسميات أنظمة الري وإبراز المخططات والفكرة الهندسية في إنشاء السدود وقنوات الري.

٢- دراسة الباحث فيصل البارد في عام٢٠١٠م بعنوان:(الزراعة في جنوب الجزيرة العربية – اليمن- قبل الإسلام دراسة أثرية) رسالة ماجستير منشورة، وكذلك في كتابه الذي بعنوان:(النقوش المسندية المتعلقة بالماء والري في اليمن القديم)، فقد كان أهم ما تطرق إليه تصنيف أنواع المنشئات المائية من خلال النقوش التأسيسية المتعلقة بالمياه ومنشئاتها في حياة ومعتقدات الإنسان اليمني القديم من خلال النقوش النذرية.

٣- دراسة الباحث محمد ظفران البكير ٢٠٢٤م، بعنوان(غيول ضلاع همدان تقنية شقها ونظام توزيع مياهها – دراسة اثنواثرية) رسالة دكتوراه غير منشورة، هدفت إلى رصد وتوثيق منظومات الغيول المائية في وادي ضلاع همدان، البالغ عددها تسعة غيول واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي ومنهج التحليل والمقارنة في معرفة التقنيات الهندسية، وإستخلاص الطرق والوسائل التي افضت إلى معرفة كيفية شق قنوات الغيول في باطن الأرض، وإستعراض إمكانيات إستخراج المياه والإستفادة منها، وتفصيل وتحليل النظام الزمني الذي كان متبع في تصريف وتوزيع مياه الغيول إلى الأراضي الزراعية.

أولاً : حالات المياه السطحية

تذكر الأبحاث العلمية الحديثة أن مصادر المياه السطحية في المرتفعات الجبلية بشكل خاص وجغرافية الجمهورية اليمنية بشكل عام، تعتمد إعتماداً كلياً على منسوب مياه الأمطار الموسمية، التي تهطل في موسمي فصل الصيف، وفصل الخريف من كل عام، والتي من خلالها تنتعش الموارد الإقتصادية في بلادنا ويزدهر بها الإنتاج الزراعي، ومن أهمها زراعة الحبوب بشتى أنواعها، وإنتاج الفواكه بمختلف اصنافها (اللساني٢٠٠٢: ١٠٤).

وقد تركز الاهتمام على المصادر المائية منذ أن سكن الإنسان القديم جغرافية المرتفعات الجبلية، وجعل هذه المصادر نصب عينيه، حيث رصد أماكن توغلها وتعقب مسارات حركتها وتحديد أماكن تجمعاتها، سواءً كانت على وجه الأرض أو في باطنها، وهذا ما أظهرته نتائج المسح الميداني التي استهدفت شريحة كبار السن، الذي لم ينقطع حديثهم عن ذكر المياه وذكر حالاتها الطبيعية في مرتفعات جبال صنعاء الغربية والتي تم اختيارها كنموذج للدراسة.

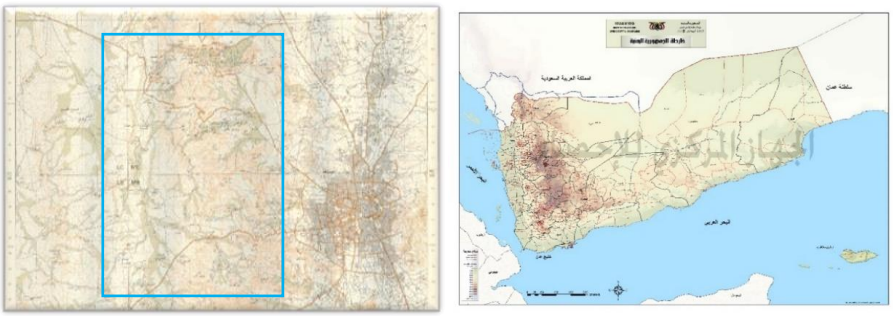

خريطة الجمهورية اليمنية توضح منطقة الدراسة المستهدفة (الجهاز المركزي للإحصاء)

وعلى ضوء ذلك تم التركيز على حالات المياه السطحية في المناطق الغربية من حقل صنعاء، وتسجيل وصف كبار السن لها وفق المنهجية القديمة التي اعتمدت عليها مجتمعات الغيول، في تحديد المياه وتتبع جريانها السطحي في الروافد المائية، ولهم رؤية علمية استمدوها من المعرفة التراكمية لعقود من الزمن، وقد جاءت موافقة للنتائج العلمية الحديثة، التي تشير إلى أن المياه السطحية لها ثلاثة مصادر جميعها تعتمد على طبقات (الجو) في إنتاج المياه وهي على النحو التالي:

١- حالة غَيْثُ: هي حالة مياه الأمطار المتساقطة من السُحب، وهي تعد مصدر رئيسي في تغذية المياه السطحية، وقد وردت هذه الحالة في نقوش المنسد (بيستون وأخرون، ١٩٨٢: ٥٥)، وأطلق الغَيْثُ على كمية الماء المدرار من المزن بكثافة على سطح الأرض (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٧)، وبحسب رواية كبار السن أن مسامات غُلول الجبال

تتشرب المياه أول هطول الغَيْثُ وأخر سبل الغَيْثُ، والغُلول مفردها غُلة وهي فتحة ناتجة عن تشقق أو تصدع في طبقات الصخور الجبلية أو مسام في طبقات التربة الطينية، بمعنى أن المياه المتوغلة في الغُلول تتوغل ببطيء، وتعمل على تغذية المياه السطحية عند إستمرار هطول الأمطار الموسمية لعدة أيام.

٢- حالة ثّغَبُ أو ثّغيَبُ: هي المياه الناتجة عن ذوبان الثلوج أو البرد (ضيف وآخرون، ٢٠٠٤: ص٩٦)، والتي نادراً ما تسقط على قمم وسفوح المرتفعات الجبلية الغربية لصنعاء، وقد صنفها كبار السن أنها من إحدى مصادر تغذية المياه السطحية وتغزيرها، فعند ذوبان الثلوج أو البرد ببطء يترتب على ذلك دخول قطرات المياه في مسامات الغُلل.

٣- حالة غِثَيم أو الغُثم: هي حالة المياه الغازية المكثفة في المناخ الرطب، يظهر على شكل بخار الماء (ضيف وآخرون، ٢٠٠٤: ٦٤٥)، ويقال في مجتمعات الغيول الجو (غثيم) أي نسبة الرطوبة فيه مرتفعة وبخار الماء مكثف في الجو، وفي مناطق من محافظة تعز وإب يطلق عليها (هثيم)، وعادةً ما تتواجد هذه الحالة عند وجود كثافة الأشجار في الهضاب والوديان وإتساع الغطاء النباتي، وينتج ما يسمى (طل – وابل) مستدلين بقول الله عزوجل((وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير))[البقرة ٢٦٥].

ويذكر كبار السن أن مصادر المياه التي تسقط على سطح الأرض سواءً كانت (غيث أو ثغيب) تستهدف طبوغرافية الأرض، إما أن تكون سهول وقيعان، أو مرتفعات جبلية وهضاب، وعند حدوث هذه الحالات المناخية فإن لكل طبوغرافية حالة خاصة للمياه وهي على النحو التالي:

أ- حالة المياه عند سقوطها على طبوغرافية السهول والقيعان المفتوحة ولها حالتان:

١- حالة غِيضَ: تطلق على حالة المياه المتوغلة في مسامات التربة دون أن تؤثر في تغير خصائص التربة إلى طين لازب، بحيث تحافظ على صلابتها وتماسكها، أو كون كمية المياه المتساقطة ضحلة وقليلة (ضيف واخرون ٢٠٠٤: ٦٦٨)، واستدلوا بقول الله عزوجل ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))،[هود ٤٤]، وقد وردت في نقوش الزبور تحت مصطلح (غضَّ – غض) بمعنى سكن وتنازل (فقعس٢٠٢١: ٥١٤)، (الحميري، ١٩٩٩: ٥٠٤٧).

٢- حالة غَمْرُ: تطلق على حالة المياه التي تستقر على سطح الأرض بعد تشبع مسامات التربة، وينتج عنها تحول التربة إلى طين لازب، والغَمْرُ من الماء خلاف الضحل وهو الذي يعلو من يدخله ويغطيه، وكذلك الغَمْرُ عند العرب أصغر الأقداح للشرب، وكانت الحصاة معيار له في توزيع حصص المياه لأفراد القوافل التجارية، فعند وضع الحصاة في أناء القدح، يصب الماء فاذا غمرت المياه حجم الحصاة كان ذلك نصيب الفرد، ويقال بلت الإبل أعمارها أي شربت شرب قليل ولها أغمار بلتها (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦١).

ب- حالة المياه عند سقوطها على المرتفعات الجبلية والهضاب:

يذكر كبار السن أن المياه المتساقطة على هذه الطبوغرافية من الأرض في حالة عدم إستقرار، والسبب يعود إلى انحدار هذه الطبوغرافية وإنسياب مياهها إلى الأسفل، مما يؤدي إلى تجمع مياهها وجريانها في الروافد المائية، والتي تصب في الوديان والقيعان والسهول، ويشير كبار السن أن مياه الأمطار عند هطولها بكميات كثيرة وبشكل غزير على المرتفعات الجبلية لها حالتان هما:

١- حالة غَمَطَ: وهي حالة تدفق المياه إلى مسامات الجبال وتشققاتها، فاذا ما هطلت الأمطار، ولم تتدفق السيول إلى الروافد المائية يطلق على المياه في هذه الحالة (غَمَطَ)،

ويقال غَمَطَ الماء أي جرع بشدة (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ٦٦٣)، وتعكس هذه الحالة عند هطول مياه الأمطار على المرتفعات الجبلية فأن معظم أو أغلب مياه الأمطار تتغلغل في مسامات غُلول الجبال بين الطبقات الصخرية (البكير٢٠١٤: ١٢)، وهذا مصدقاً لقول الله تعالى ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ**))،[الزمر ٢١].

٢- حالة بَغَر: يذكر كبار السن أنها حالة المياه المرتجعة من مسامات غُلول الجبال (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ٦٤)، التي تعتمد على سقوط الأمطار الغزيرة لعدة مرات، حيث تتشبع الغُلول المسامية للجبال ويؤدي إلى عملية ارتجاع للمياه المتوغلة، وينتج عن ذلك تجمع المياه وإندفاعها في الروافد على شكل سيول متدفقة.

وعلى ضوء ما تم ذكره لوحظ تركيز كبار السن على أهمية مياه الأمطار وتساقطها على المرتفعات الجبلية، فمن منظورهم أن لها أبعاداً أخرى، وهم يرون أن هذه المياه ذو بعد إستراتيجية يمكن حصادها والتحكم بها والاستفادة منها، كون المرتفعات الجبلية تختلف عن طبوغرافية القيعان والوديان التي يصعب حصادها والتحكم بها، ولأهمية مصادر مياه المرتفعات الجبلية، فقد ذكر كبار السن ملاحظاتهم وخبرتهم عن هذه الحالات، وأطلقوا عليها مسميات ومصطلحات تعريفية، تصف المياه وتحدد أماكن تواجدها، وقد شبهوا حركة المياه بين طبقات الصخور كحركة الدم في عروق الكائنات الحية، وقد أعطوا لهذه الظاهرة تصنيف تشعبي وتسلسلي منذ بداية توغل المياه في الغُلول حتى حصادها.

يذكر كبار السن أن المياه في حالة (غَمَطَ) تدخل بين طبقات الصخور الجبلية متوغلة نحو الأسفل، وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية، وأول مراحلها تبدأ من:

أ- غُلَّة – غُلَّول: هي فتحة تتدفق من خلالها المياه المتوغلة بين طبقات الصخور الجبلية، ويقال غله في الشيء أي أدخله فيه، ويقال أيضاً غل الماء بين الأشجار أي جرى بينها (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٥٩)، ووردت في نقوش الزبور بصيغة الفعل المضارع (غُلَّ – غل) بمعنى دخل في الشيء أو اقتحم (فقعس٢٠٢١: ٥١٦)، وتدخل المياه

من الغُلة على شكل قطرات متتابعة تتجاوزها لتتغلغل بين التشققات والتصدعات المتشعبة التي تشبه الخيوط مثل (الشعيرات الدموية) يطلق عليها:

ب- مُغل – أمغال: وهي القنوات الشعيرية التي ينتقل فيها المياه المتوغلة بين طبقات الصخور، وقد اشتقت من مُغل الرّمص، وهي بقايا الترسبات التي تخرج أثناء جريان الدموع من القناة الدمعية، وكذلك مُغل اللبن الذي يخرج من شعيرات ثدي الأم المرضعة (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٤٥)، ويصف المريض عند حدوث مغص الأمعاء الدقيقة في الجهاز الهضمي بقوله:(مغص في أمغالي) أي في قنوات الأمعاء الدقيقة، وجمع كلمة (مُغل) أمغال، حيث يذكر كبار السن أن هذه الخيوط المائية ترتبط ببعضها البعض بين طبقات الصخور لتنتقل المياه وتتجمع في أماكن احتقانها، فإذا ظهرت هذه الحالة للمياه يطلق عليها:

ت- غَلَّة - غِلَّال: ذكرت في نقوش المسند (غلل - غلل) وتطلق على كمية المحاصيل التي يتم تجميعها وحصادها (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٥٣)، ووردت في نقوش الزبور (ستغلم – ستغلم) بمعنى استلم الغِلَّال (فقعس٢٠٢١: ٥١٦)، وكذلك تعرف أنها المياه التي لا مجرى لنفاذها وتظهر على وجه الأرض تارةً وتختفي تارةً أخرى، ويقال: "جرى الغَلَل أي الماء الذي يجري في أصول الشجر" (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٠).

فمن خلال السرد السابق يتضح أن مياه الغَلَل تحرك بين طبقات الصخور وليست مستقرة، ولذلك يذكر كبار السن أن سبب نضوب بعض الغيول المائية يعود إلى تغير أماكن تجمع مياه الغَلَّل وتنقلها بين طبقات الصخور الجبلية، كما يصف كبار السن أن مياه الغَلَل لها مسلكان بين طبقات الصخور، إما (غَيّل) أو (غَوْرُ):

ث- غَيّل: ذكرت في نقوش المسند (غَيّل – غيل) منابع العيون المائية (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٥٤)، ووردت في نقوش الزبور (غيلن - غيلن) مجرى مائي (فقعس٢٠٢١: ٥٢٠)، ويصفها كبار السن بأنها المياه التي لها غاية حتمية لغرض

الاستفادة منها، سواءً تخرج على شكل عيون وينابيع مائية طبيعية من باطن الارض (al-selwi:1987:167)، أو غيول إصطناعية تدخل الإنسان في التخطيط والإبتكار لهدف حصاد مياهها والإستفادة منها في الشرب والزراعة (مندي١٩٩٠: ١٩٨)،(ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٩)، وحكم ما سقي من الغيول المائية ففيه العُشر (الحميري١٩٩٩: ٥٠٣٨).

ج-غَوْرًا: هي حالة المياه التي تغور في جوف الأرض وتحصد عن طريق الابار (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٥)، وقد ضرب الله عزوجل حالة هذه المياه في سورة الملك ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ))،[الملك ٣٠].

ويذكر كبار السن أن المياه إذا كانت في حالة (غَيّل) تتحرك في طبقات الأرض ويهتدي الإنسان لحصادها في موضعين أما في موضع (غُولُة) بين السلاسل الجبلية، أو في موضع (غَوْطَةُ) في الأرض السهلة المنبسطة وهي على النحو التالي:

ح- غُولُة: يذكر الدكتور إبراهيم الصلوي أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة صنعاء، أن كلمة (غُولُة) هي أرض شبة مغلقة غائرة بين السلاسل الجبلية، وعادةً ما تحتوي على ينابيع مائية متجمعة من المياه السطحية المترسبة بين طبقات صخور السلاسل الجبلية، بحيث أن الإنسان اليمني القديم إستلهم طبيعة التكوين الجيولوجي لهذه الغولة واهميتها في حصاد المياه، وشرع في إبتكار قنوات مائية غائرة في طبقات الصخور الجيولوجية مستهدفاً هذه التكوينات الصخرية الطبيعية وأحدث فراغات لغرض تجميع المياه من باطنها وإستخراج مياهها والاستفادة منها (مقابلة شخصية ٢٠٢٤: ٣ أغسطس)، (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٦)، (الحميري١٩٩٩: ٥٠٢٦).

خ- غَوْطَةُ: من الأرض السهلة المنخفضة الواسعة، والغَوْطَةُ موضع أجتمع فيه الماء والشجر بكثرة، وأيضا يطلق على موضع النبات والماء، ومنها غَوْطَةُ دمشق التي

تشتهر بكثرة ما فيها من أشجار الفاكهة والرياحين (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ٦٦٦).

نستنتج مما سبق حسب وصف كبار السن في مجتمعات الغيول، أن المياه التي يمكن الاستفادة منها في إصلاح الحياة على وجه الأرض وإزدهارها تسمى (غَيّل)، وهو مصطلح يطلق لكل ماء يخرج متدفقاً من باطن الأرض إلى سطحها، سواءً كانت غيول طبيعية أو غيول إصطناعية من إبتكار الإنسان (al-selwi:1987:167, 168).

ثانياً: مصادر المياه السطحية :

يذكر كبار السن أن السماء هي المصدر الوحيد لحالات المياه السالفة الذكر، فهي تبدأ من مستوى الجو ثم تتدرج نحو الأسفل حتى غورها في جوف الارض، وتجري على مسار واحداً بفعل الجاذبية الأرضية، وبإتجاره محدد من الأعلى إلى الأسفل، ولكن الإختلاف في أماكن تواجدها ومصدر خروجها، ولديهم رؤيا بهذا الخصوص، بمقولتهم الشهيرة:" كلما سقطت المياه على المرتفعات الجبلية الشاهقة، كانت فرصة حصادها والاستفادة منها أكبر"، بينما العكس إذا سقطت المياه على الهضاب المنخفضة أو السهول المفتوحة ففرصة حصادها والتحكم بها تكون ضئيلة.

لذلك اعطونا تصوراً واضحاً عن أهمية الجبال ووظيفتها في دعم الحياة على وجه الارض، وقد استشهدوا بقول الله عزوجل ((**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**))،[الأحزاب ٧٢]، فقد عرض الله عزوجل الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وهنا إشارة إلى أهمية الجبال في تثبيت الحياة على وجه الأرض، وهي بيئة مناسبة لمنفعة الإنسان والحيوان وكل ما له علاقة بالحياة، ولذلك حازت الجبال على المرتبة الثالثة وفق الآية القرآنية الكريمة لما لها من مقومات أساسية لاستمرار المعيشة عليها، وقد أقسم الله عزوجل في مواضع عديدة في القران الكريم، ونوه إليها بموقعها ما بين المساوات والأرض يقول الله عزوجل ((**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**))،[طه ٦]، وقال عزوجل ((**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا**

بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ))،[الأنبياء ١٦]، وقال الله عزوجل ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ))،[الصافات ٥]، والكثير من الآيات التي ذكرت مظاهر الحياه بين السماء والارض.

وكذلك يصف كبار السن أن الجبال وإنتصابها بأعجوبة، أمر الله عزوجل بالنظر والتأمل في كيفية إنشائها يقول الله عزوجل ((وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ))،[الغاشية ١٩]، ويقول الله عزوجل ((وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا))،[النازعات ٣٢]، وتظهر في حالاتها الطبيعية أنها تتكون من طبقات جيولوجية متراصة أطلقوا عليها (جدد) مستندين إلى قول الله عزوجل ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ))،[فاطر ٢٧]، ففي هذه الآية العظيمة يذكر الله أن الماء المنزل من السماء سبب في خروج الثمار المختلفة ألوانها المتعددة أصنافها، وكذلك سبب في تكوين الجبال من جدد على شكل طبقات جيولوجية كما ذكرها المفسرون، فكلمة (جدد) ذكرت في هذه الآية بصيغة الجمع ومفردها (جدا) (البيضاوي،ج٤، ١٤١٨: ٢٥٨)، ويذكر كبار السن أن كلمة (جدر) اشتقت من كلمة (جدا)، والجدر أو الجدار بطبيعته الإنشائية يتكون من عدد صفوف حجرية مبنية إلى أعلى، يشبه جدد الجبال البيض والحمر المتراصة بتكوينها الرأسية، وقد سبق ذكر هذه المصطلحات بنفس مسمياتها في نقوش المسند والزبور(جدر، جدرم – جدر ، جدرم) بمعنى جدار أو حائط (فقعس ٢٠٢٢: ١٤٢).

وعقب كبار السن بتفسير لكلمة (قددا) في قول الله عزوجل على لسان الجن ((وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا))،[الجن ١١]، ويقال في اللهجة الدارجة في مجتمعات الغيول (قَدَّدَ الشيء) أي قطعة بشكل مستطيل، وكذلك يطلق على قطع الأراضي المستطيلة المتجاورة ببعضها البعض على خط مستقيم أرض القُددَ، والمعنى الذي يراد بداية التفسير أن الـ (قددا) وصف به لتحديد الإتجاه الأفقي المستقيم (طرائق قددا) مقابلة لكلمة (جُدد) التي تصف بالبناء الرأسي.

كما ذكرهم للجدد البيض والحمر المختلفة ألوانها وغرابيب سود، أن الطبقات المكونة للجبال مختلفة ما بين أبيض وأسود وحمر مختلف ألوانها، أي أن الأبيض والأسود ليست من

الألوان بنص القران الكريم، بينما الأحمر ومشتقاته يعد من الألوان المشتقة من ألوان الطيف، وهذا ما أكده العلم الحديث، وكذلك تفسيرهم للغرابيب السود على أنها نوع من الطبقات الصخرية، التي تأتي على شكل قواطع رأسية، تقطع طبقات الجدد البيض والحمر التي يظهر تركيبها على شكل افقي، وقد ميزها الله الغرابيب السود كون طبوغرافيتها مختلفة عن الجدد.

ويعتقد كبار السن أن الغرابيب السود بطبيعتها الجيولوجية، لها علاقة في تغلغل المياه بشكل مباشر إلى طبقات الجدد البيض والحمر لتجمع المياه إلى ما يسمى (الغُلل)، وهذا يفسر معنى لتفسير دعاء الاستسقاء (أللهم اسقنا غيث غدقاً وجداً طبقا).

ويسود كبار السن فطرة علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به والتكيف معها والتأقلم على طبيعتها الطبوغرافية، ومن أهمها علاقة الإنسان بالجبال، فقد اتخذ من الجبال بيوتاً وملاجئ تأويه مستدلين بقول الله عزوجل ((وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا))،[النحل٨١]، وقول الله عزوجل ((وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ))،[الحجر٨٢]، كما أشاروا إلى أن أول ما أهتدى اليه الإنسان في حاجته للسكن، هي بيوت الجبال، لما لها من أكنان وملاجئ، وجعلوها صالحةً للعيش، وهذا ما أكدته الدراسات الأثرية ان إنسان العصور الحجرية اتخذ من الجبال ملاجئ استخدمها ككهوف تم نقرها وتهيئتها لتكون صالحة للعيش.

وقد تجسدت الجبال في مفهومهم العام واصبحوا يتعايشون معها ويتكيفون على الحياة فيها، وتأقلموا للاستفادة من تضاريسها و جيولوجيتها في كل مجالات حياتهم المعيشية، فهناك مصطلحات معمارية اخذت من فهمهم ودراستهم لطبيعة الجبال ووظيفتها العامة، فقد أطلقوا على أسطح منازلهم بتسمية (جُبًا – جبا) من الجباية والحصاد وقد وردت ذكرها في نقوش المسند (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٤٨)،(الارياني١٩٩٦: ١١٩)، التي استغلت لحصاد مياه الأمطار وتجميعها (ضيف وآخرون،٢٠٠٤: ١٠٦)، ويقال:(جبوت – جبيت) ماء الحوض أي جمعت (الحميري١٩٩٩: ٩٨٥)، ويذكر كبار السن أن أي سطح منزل مصقول بمادة القضاض أو مصهور بمادة الطين يطلق عليه (جُبًا)، بينما أسطح المنازل التي تغطى بالتراب يطلق عليها أسم (جُبَّن): وطبيعتها الإنشائية ضعيفة تسمح للمياه بالتوغل في

طبقاتها ودخول المياه إلى المنازل، وهي غير مؤهلة لجمع المياه النقية، ويقال:(جُبن – جبانة) وهي ضد الشجاعة وأصله الضعف (الحميري١٩٩٩: ٩٨٦)، وقد منحت هذه المنشئات حيز من الإهتمام في المجتمعات اليمنية القديمة وتم التركيز على صيانتها وترميمها، وعلى نفس السياق ورد مصطلح (هجبأن – هجبان) في نقوس الزبور عندما كان بداية فساد محصول العنب (فقعس٢٠٢١: ١٣٨)، ومن المصطلحات الأخرى الذي تصف هذه الحالة إسم (جَبأَنة) وهي عرصة أرض يتم حفرها وتثقيبها لغرض دفن الموتى بداخلها، وقد وصفت بهذا الوصف على أنها مثقبة ومجوفة (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ١٠٦).

ويرتبط بمصطلح (جُبًا) تفاصيل لمكوناتها المعمارية ولها مسميات تجسد وظيفتها، ويطلق على البناء المطوق أو المتوج لأسطح المنازل إسم (تجواب): وهي حافة السطح القائم على أساس تجميع المياه إلى حوض السطح، وكذلك أطلقوا كبار السن على القناة التي تصرف المياه من حوض الجُبًا إسم (مجلاب) على وزن (ميزاب)، والمجلاب: هي قطعة إسطوانية مثقوبة ينفذ الضوء منها وأصلها من كلمة (جُلب) ومعنى مجلاب يجلب المياه من سطح الجُبًا بهدف تصريفها، والمجلاب أيضاً أسم أداة مخروطية تستخدم في زراعة وبذر الحبوب (ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ١٢٨).

وحول ما تم ذكره من مصطلحات معمارية، اشتقت من وظيفة الجبال التي خلقها الله لجباية المياه وحصادها، يذكر كبار السن "أن كل شيء له نصيب من إسمه"، وخاصة تسميتهم للجبال الواقعة حول حوض صنعاء، فكل منها أتسم بذكر خصائصه الجيولوجية وتكويناته الصخرية الذي خلق عليها، من حيث حفاظها للمياه أو عكس ذلك، وهي على النحو التالي:

١- جبل عَيبان: يذكر المقحفي عيبان بفتح فسكون ففتح، جبل يطل على مدينة صنعاء من الجهة الغربية (المقحفي ٢٠٠٢: ١١٥٠)، ويذكر الهمداني عيبان موضع يقال له بئر جدرين فيه قبر يوشع بن ذي النون عليه السلام (الهمداني،ج٨، ٢٠١٠: ١٩٤)،كما يصفه كبار السن أن المياه فيه سريعة الظهور، وغلله سطحية متسعة

ظاهرة ومتشعب أمغالها فيغيل منه (غيل منطقة العشاش -غيل حدة – غيل سنع – غيل حمل).

٢- جبل عَطَان: جبل يقع غرب مدينة صنعاء (المقحفي ٢٠٠٢: ١٠٨٢)، وهو ضمن السلاسل الجبلية لجبال عيبان، يذكر كبار السن أن إسمه اشتق من العطاء المغذي لحقل صنعاء وهو إمتداد لجبل عيبان ومصدر من مصادر تغذيته.

٣- جبل حَضَّور: جبل عالي منيف أعلى جبال اليمن ويسمى جبل النبي شعيب (الهمداني ٢٠٠٨: ١٢٢)، يقع في مديرية بني مطر ينسب إلى حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر (المقحفي ٢٠٠٢: ٤٧٩)، يذكر الهمداني أن إجتلاب غيل وادي ضهر من جبل حضور ومخرجه من أسفل ريعان اعلى وادي ضهر (الهمداني،ج٨، ٢٠١٠: ٩٤)، ويذكر كبار السن هو جبل عظيم يغيل منه العديد من الغيول منها (غيل بيت الكبش والنش – غيل منطقة السنافة – غيول حجر عكيش – غيل محيب – غيل شعبان – غيل الركاب – غيل يازل).

٤- جبل ذُخَار: وهو جبل كوكبان (الهمداني ٢٠١٠،ج٨: ٦٤)، يطل على مدينة شبام كوكبان من الجهة الغربية (المقحفي٢٠٠٢: ٦٤٤)، من الجبال المشهورة في اليمن يقع بالجهة الغربية من حقل صنعاء، ويصفه كبار السن أنه جبل البحار، وطبقاته الصخرية زاخرة بجريان المياه فيصب منه غيول كثيرة منها (غيل منطقة العوار بشبام – غيل بني الخياط في بيت – غيل الغامز في بيت منعين – غيل علي بني الخياط – غيل بيت قطينة وغيرها من الغيول).

٥- جبل ضِينَ: يذكر الهمداني أنه من أحد الجبال المقدسة، ويوجد في أعلاه قبر قدم بن قادم صاحب أرض الجنتين (الهمداني،ج٨، ٢٠١٠: ١٥٣)، وهو جبل هرمي بركاني في الشمال الغربي من مدينة صنعاء، وهو مشهور في تحديد قبلة الجامع الكبير

بصنعاء، يقع في أرض همدان (المقحفي٢٠٠٢: ٩٥٢)، يصفه كبار السن أنه مضن – أي: متعب في حصاد المياه ومياهه – غائرة في باطن الأرض.

ثالثاً: حصاد المياه السطحية

حالات مصادر المياه السطحية من خلال ما تم توضيحه وعرضه سابقاً، الناتجة عن سقوط الأمطار وغيرها من مصادر المياه، يذكر كبار السن أنها كانت ومازالت المشكلة الأساسية، التي سعى إنسان المرتفعات الجبلية في غرب صنعاء إلى حصادها وتوفيرها والاستفادة منها، لما لها من أهمية في إستقرار الحياة، وقد أدت الظروف الحتمية إلى ظهور إهتمام حقيقي وتوجه صادق لدراسة حركة المياه منذ بداية سقوطها من السحب وحتى تجمعها وجريانها ورصد أماكن تدفقها إلى الشعاب والروافد المائية، وكذلك عند توغلها ودخولها في طبقات الصخور في باطن الأرض، كل هذه الملاحظات تم التركيز عليها وتحديد حالاتها، والعمل على حصادها عن طريق إبتكار الوسائل الممكنة لحجز المياه، وعلى ضوء ذلك تطرق كبار السن لذكر الوسائل القديمة، التي تمثلت في نقر ونحت المنشئات المائية على إمتداد الصخور الجبلية قبل اهتدى إلى بناء السدود والحواجز المائية، وهي على النحو التالي:

١- حصاد المياه من أماكن تدفق السيول بعد سقوط الأمطار:

يذكر كبار السن أن إنسان المرتفعات الجبلية ابتكر تقنيات هندسية تُعد كمراحل أولية لفكرة حجز المياه وتخزينها، فكانت عبارة عن منشئات مائية قامت على أساس النقر والنحت في صخور الجبال، حيث كان الهدف منها تجويب أحواضها وشق قنوات الرافدة إليها، قبل اكتشاف تقنية البناء وإنشاء الحواجز والسدود المائية، مستدلين بقول الله عزوجل ((**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**))،[الفجر ٩]، فقد أخذت فكرة حصاد المياه عن طريق تجويب الصخور والدخول فيها، وصنع فراغات مجوفة لهدف تجميع المياه، حيث تعددت وتنوعت أشكالها وأنماطها الهندسية وهي على النحو التالي:

أ- جَوَاب – جَوب: يذكر كبار السن أن الجواب تعد منشئة مائية أساس تقنيتها الإنشائية تقوم على النقر في صخور الجبال، وإحداث تجويف عبارة عن حوض

لاستيعاب المياه، مفتوحة الفم لها قنوات تجميعية، أخذين بقول الله عزوجل ((يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ))،[سبأ ١٣]، والجفنة هي أنية من الفخار مفتوحة الفم وحوضها مقعر الشكل، وحالياً يطلق عليها بركة أو كريف.

صور: جوب منقور في الصخر كسي بالأحجار ومادة القضاض (تصوير الباحث). القضاض

ب- جُوّة: يذكر كبار السن أن الجِوة منشاة مائية تقنيتها الإنشائية تشبه الجواب نقرت في صخور الجبال بحيث جوفت أحواضها المائية بشكل كروي وتختلف عن الجواب أن فوهتها ضيقه يسهل إغلاقها (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ١٤٩)، ويذكر كبار السن أن طبيعة المياه بداخل هذه المنشئات (مجوية) أي تحتوي على بخار الماء نتيجة إرتفاع درجة الحرارة بداخلها، واذا تركت مفتوحة ينتن جوها ويفسد (الارياني١٩٩٦: ١٥٣)، وقد ذكرت في نقوش المسند (جوي – جوي) أي مظلم (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٥١)، وفراغها الداخلي يطلق عليه (هجوة) أي شبة مظلمة وذلك لعدم دخول الضوء إليها.

صور: لعدة أشكال توضح الجوة المنقورة في الصخور (تصوير الباحث).

ت- جَيْبُ: ذكرت في نقوش المسند والزبور(جيب – جيب) بمعنى حماية (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٥١)،(فقعس٢٠٢١: ١٦١)، ويذكر كبار السن أن الجيب عبارة عن فراغات مجوفة في طبقات الصخور الجبلية لها ظلة تم إستغلالها، بحيث تم نقر ونحت جوانبها وتهيئة أحواضها لتجميع المياه بداخلها، وقد نقرت أحواضها من مستوى الفوهة وهي ليست عميقة (البكير٢٠١٤: ٨٣)،(ضيف وآخرون ٢٠٠٤: ١٤٩)، ويذكر كبار السن أن الجيوب صممت لحفظ المياه دون أن تصلها الشمس.

صور: تظهر اشكال الجيوب المائية المنقورة في الصخور (تصوير الباحث).

ث- جُرْف – كرف: ذكرت في نقوش الزبور بصيغة الفعل (ذجرف – ذجرف) بمعنى جرف وسحب (فقعس٢٠٢١: ١٤٤)،(البارد ٢٠٢٠: ٧٠)، والجُرُف ما جرف السيل أصله وأشرف أعلاه (الحميري١٩٩٩: ١٠٤٧)، وقد اشتقت من وظيفتها تعد من المنشئات القديمة التي نقرها الإنسان واستخدمها لحجز المياه، والتي نقرت وجوف أحواضها الإسطوانية في صخور الجبال بشكل أفقي منساب إلى الداخل مخصصة لخزن المياه (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ١١٨)، وهي أكبر عمق من الجيب، وتختلف عن الكهف بحسب الوظيفة فالكهف أستخدم للعيش واللجوء.

صورة: توضح أشكال الجروف المائية المنقورة في الصخور (تصوير الباحث).

ج- مُجْرَف - مِجْرَاف: يذكر كبار السن أن المجراف عبارة عن تصدع أو شق غير نافذ في طبقات الصخور الجبلية، ناتجه عن حركات تكتونية في الحقب الجيولوجية السحيقة، وعادةً ما تظهر هذه التصدعات طويلة وعميقة، حيث أهتدى الإنسان في المرتفعات الجبلية إلى تسوية أطراف هذه التصدعات ودك أحواضها، وتحويلها إلى خزانات مائية، وهي تختلف عن منشئات الجرف التي نقرت وسويت احواضها، ومن مسمياتها مأخذه من فعل أخذ المياه اليها، والمجرفة أداة زراعية تستخدم في تسويته الأرض وفلاحتها وريها (الحميري١٩٩٩: ١٠٤٧).

صور : تظهر أشكال المجراف المائي الذي استغلت التصدعات الجبلية وتم تسويتها وإستغلالها كمنشئات مائية (تصوير الباحث).

ح- جِرّن: ذكر في نقوش المسند والزبور(جِرّن – جرن) بمعنى الموضع الذي يفصل الحبوب عن السنبلة (بيدر) (بيستون وأخرون١٩٨٢: ٥١)،(فقعس٢٠٢١: ١٤٦)، ويذكر كبار السن أن الجرن أيضاً عبارة عن حوض مائي منقور في الحجر وعادةً ما يتم إستخدامه لشرب الماشية والدواب (الارياني١٩٩٦: ١٣٧)، واشتق منه إسم الأواني الفخارية مثل: الجرة والجزوة وغيرها من الأواني التي كانت تستخدم في الأغراض اليومية، وقد ذكرت النقوش باسم (مقلدن – مقلدن) (البارد ٢٠٢٠: ٧٠).

صور : تظهر أشكال الأجران المائية المنقورة في الصخور التي كانت تستخدم لسقي الماشية (تصوير الباحث).

٢- حصاد المياه المتوغلة في باطن الأرض:

يذكر كبار السن حول هذا الموضوع أن آبائهم وأجدادهم تمكنوا من معرفة طبيعة الصخور وتصنيف حالات المياه المتوغلة بين طبقاتها، وابتكروا طرق ووسائل تمكنوا من خلالها حصاد المياه من باطن الأرض، وقد قامت هذه العملية على أساس نقر طبقات الصخور وتجويفها (البارد ٢٠٢٠: ٧٢)، ولكن بشكل أكثر تطوراً عن المنشئات المائية التي هدفت إلى حجز مياه الأمطار، فقد اتسمت بمنهجية استخراج المترسب من المياه في باطن الأرض والاستفادة منها وهي وفق المنشئات التالية:

أ- جَاَل – مَجّن – نَعوةِ: وجمعها جيلان ومجنات: وهي قنوات تم شقها بطرق وخطط هندسية في باطن أرض الوديان والقيعان، تستهدف أماكن مصادر المياه المتجمعة في طبقات الصخور الجيولوجية، والتي يصفها كبار السن أنها حالة مياه (الجيل)، التي تضم أو تحتوي على أكثر عدداً من غُلِل المياه بين طبقات الصخور، حيث أهتدى الإنسان القديم إلى نقر قنوات أفقية في باطن الأرض، بتقنية أطلقوا عليها قنوات الجيلان وحقيقتها إحداث فراغ أو مجال سمح للمياه بالتجمع والتدفق إلى سطح الأرض على شكل غيول مائية (البكير٢٠٢٤: ٩٦-٩٩).

صور : توضح أشكال الجال والمجن والنعوة المائية المنقورة في الصخور أو المبنية بأحجار (تصوير: إسماعيل الإمباري)

ب- نَجلَةَ – حَسَّوة – قَحُمةَ: هي إحدى تقنيات حصاد المياه في باطن الأرض، توجد في قنوات الروافد المائية الكبيرة، التي تجري فيها المياه لعدة أشهر بعد إنتهاء مواسم الأمطار (ضيف وآخرون،٢٠٠٤: ٩٠٤)، يطلق عليها بحالة مياه (الحيل)، فعند إنقطاع مياه الحيل يتم عمل مجسات في قنوات الروافد عبارة عن حفر أو حسوات

نافذة في مجرى السائلة أو الرافد المائي، للكشف عن شغور المياه المتدفقة بين حصى ورمل تلك الروافد المائية، فعند ظهور المياه يتم بناء جدرانها المحيطة وتركها مفتوحة لنزع المياه منها، بينما الحسوة يتم سقفها وتغطيتها وترك فتحة لنزع المياه منها، وكذلك موضع الجلة هي خفرة مدرب السيل تتميز بوجد الحصى والاحجار فيها (الارياني١٩٩٦: ١٤٨).

صور : تبين أشكال النجلة المائية والحسوة التي بنيت على الروافد المائية الكبيرة (تصوير الباحث).

ث- جُبّ: هي البئر العميقة تتميز بعدم طوي محيطها إلى قاعها، والبئر تستخدم لحصاد المياه من جوف الأرض (ضيف وآخرون٢٠٠٤: ١٠٦)،(البارد ٢٠٢٠: ٧٣)، حيث تعمل على تجميع المياه من طبقات الأرض نتيجة المياه الغائرة في جوف الأرض، وقد استندوا كبار السن بذكر الله عزوجل في قصة نبي الله يوسف ((**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**))،[يوسف ١٠].

صورة : تظهر أشكال الجُبَّ أو الابار المائية التي استخدمت لحصاد المياه من باطن الأرض (تصوير الباحث).

الخاتمة:

من أهم النتائج والتوصيات:

- إكتشاف الأفكار والمفاهيم التي استندوا إليها كبار السن في مجتمعات الغيول من خلال إكتسابهم المعرفة والخبرة المتوارثة عن أبائهم وأجداهم والتي قد لا تكون موثقة وتحتاج إلى تدوين ودراسة.
- إكتشاف الموروث اللغوي والثقافي الذي تميزت به المجتمعات اليمنية عن غيرها من المجتمعات الأخرى في تصنيف حالات المياه بمصطلحات لغوية تعريفية تظهر دور المياه ووظيفتها.
- معرفة المنهج التصنيفي القديم الخاص بحالات المياه السطحية الذي انتهج في المجتمعات اليمنية القديمة واستطاعوا من خلاله معرفة حالات المياه من لحظة سقوطها وحتى مرحلة حصادها على وجه الأرض.
- معرفة القواعد التشخيصية التي استخدمها كبار السن في تحديد مصادر المياه السطحية وأماكن تواجدها في طبوغرافية المرتفعات الجبلية من خلال معرفة درامية حركة المياه.
- إكتشاف الخطط والتقنيات القديمة التي اثبتت مقدرة الإنسان اليمني القديم على حصاد المياه وإبتكار الوسائل والطرق التي استخدمت في حجز وتخزين المياه.
- معرفة الأفكار الأولية في إبتكار واكتشاف منظومات الغيول المائية المصطنعة والتي شقت قنواتها في باطن الأرض المتمثلة في الجيلان والمجنات، لهدف حصاد المياه المتغلغلة في طبقات الصخور وإخراجها على شكل غيول مائية.
- تسليط الضوء على المجتمعات اليمنية التي يوجد لها إمتداد حضاري وتاريخي والتركيز على تدوين وتوثيق ما يمتلكه كبار السن من معلومات وخبرات سواءً في المجال الزراعي وعلوم الفلك أو في مجال الحرف والصناعة أو في مجال الطب

والتطبيب أو في مجال الهندسة المعمارية، وتجهيز المواد التقليدية وغيرها من العلوم المعرفية والتي هي حصيلة لتراكم المعرفي لعدة أجيال.

- دراسة المصادر المائية التي اعتمد الآباء والأجداد على حصادها وتوفيرها، ربما ستعمل على حل المشاكل التي نعاني منها حالياً من شحة المياه وكذلك من النتائج التي تشير إلى نضوبها وحدوث الجفاف.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الإرياني، مطهر بن محمد.(١٩٩٦م). *المعجم اليمني في اللغة والتراث – حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية*، دمشق دار الفكر.

البارد، فيصل محمد إسماعيل.(٢٠٢٠م). النقوش المسندية المتعلقة بالماء والري في اليمن القديم، دار حوران، دمشق سوريا.

بافقية، حامد عبدالقادر.(٢٠٠٨م)، تقنية أنظمة الري القديمة في مملكتي حضرموت وقتبان في جنوب الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد دراسة مقارنة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس.

البكير، محمد ظفران عبدالله. (٢٠١٤م). آثار وادي ضهر التاريخية فترة ما قبل الإسلام دراسة توثيقية وصفية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، غير منشورة.

------. (٢٠٢٤م). غيول ضلاع همدان تقنية شقها ونظام توزيع مياهها – دراسة إثنوأثرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، غير منشورة.

بيستون، جلازر، مولر، ركمنز. (١٩٨٢م). المعجم السبئي، مكتبة لبنان، بيروت.

البيضاوي، ناصر الدين أبوسعيد عبدالله.(١٤١٨هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى.

الحميري، نشوان بن سعيد(١٩٩٩م). *شمس العلوم وداء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق حسين بن عبدالله العمري وآخرون، ط١، دمشق دار الفكر.

ضيف، شوقي وآخرون. (٢٠٠٤م). *المعجم الوسيط* ، ط ٤، مكتب الشرق الدولية.

فقعس، احمد علي.(٢٠٢١م).ألفاظ نقوش الزبور المنشورة – دراسة معجمية مقارنة باللغات السامية، ط١، مكتبة السمو اليمن صنعاء.

اللساني، محمد عبدالله سعيد.(٢٠٠٢م). المناخ والموارد المائية في حوض صنعاء، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء.

المقحفي، إبراهيم بن احمد. (٢٠٠٢م). معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط ٤، بيروت.

مندي، مارثا. (١٩٩٠م). الغيل المبارك نظام الري والتنظيم الاجتماعي في وادي ضهر(خلال القرون الثلاثة الماضية)، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٣٥- ٣٦، ص ١٧٧- ٢١٦.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب. (٢٠٠٨م). صفة جزيرة العرب، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد ، ط ٢، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

------. (٢٠١٠م). كتاب الإكليل الجزء الثامن، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع، وزارة الثقافة، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

Al – selwi, Ibrahim :1987:Jemenitische worter in den werken von al – hamdani und naswan und ihre paralellen in den semitischen sprachen, Brelin.

المقابلات الشخصية:

- الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمد الصلوي، أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة صنعاء، (٣ أغسطس ٢٠٢٤م).
- الحاج المرحوم/ أحمد بن أحمد قطران، من المشرفين على تنظيف قنوات جيلان غيل الريشة، من أهالي ضلاع همدان، (١٠ يناير – ٧ يوليو – ١٤ أغسطس ٢٠١٨م)، (٥ ديسمبر – ٧ مايو ٢٠١٩م).
- الحاج المرحوم/ عبدالله محمد غالب العادل، من المشرفين على تنظيف قنوات غيل الريشة، من أهالي ضلاع همدان، (١٢ فبراير – ١٠ مايو – ٨ أغسطس ٢٠١٨م)، (٤ مارس – ٦ ديسمبر ٢٠٢٠م).
- الحاج المرحوم/ علي أحمد البكير، وكيل غيل المصبيحة، من أهالي ضلاع همدان. مقابلة شخصية، (٥ديسمبر – ١٠ يناير – ٧ مارس – ٢٩ يونيو ٢٠١٧م)، (٤فبراير – ٩ مارس –

١٢ أبريل ٢٠١٨م)، (١٩ فبراير – ١٤ مارس – ١٣ سبتمبر – ٣ أكتوبر ٢٠١٩م)، (١٢يناير – ١٠ مايو – ١٥ يوليو ٢٠٢٠م)، (١٦ يناير ٢٠٢١م).

- الحاج/ محسن سليمان، وكيل غيل الصبرة الأسفل، من أهالي ضلاع همدان، (١٠ مايو – ١٩ يونيو – ١٨ أغسطس ٢٠١٨م)، (٣ ديسمبر – ٧ يناير ٢٠١٩م)، (٢٤مارس – ٧ يوليو – ٥ أكتوبر ٢٠٢٠م)، (٣ يناير ٢٠٢٤م).
- الحاج/ أحمد حميد القواس، وكيل غيل الصبرة الأعلى، من أهلي ضلاع همدان، (٢ يناير – ١٢ مارس – ١٤ سبتمبر ٢٠١٩م)، (١٣أبريل – ٤ مايو ٢٠٢٤م).
- الحاج/ أحمد يحيي المصلي، من المشرفين على تنظيف قنوات جيلان غيل المصبيحة، من أهالي ضلاع همدان،(١٢ مايو ٢٠٢٣م).
- الحاج/ حسين ناجي جلعوز، من ملاك غيل العنبرود، من أهالي ضلاع همدان، (٣ يناير – ٧ مارس – ١٢ مايو ٢٠٢٣م).
- الحاج/ خالد مظفر عبدالحميد، من ملاك غيل الصبرة الأسفل والاعلى، من أهالي ضلاع همدان، (٢ أبريل – ٨ مايو – ١٠ أغسطس ٢٠٢٣م).
- الحاج/ صالح حاتم عايض، الأمين الشرعي لمنطقة علاو ضلاع همدان، من أهالي ضلاع همدان، (١٢ يوليو – ٨ سبتمبر ٢٠٢١م).
- الحاج/ صالح بن صالح المنتصر، دائل غيل الصبرة الأسفل والاعلى، من أهالي ضلاع همدان، (٣ مارس – ١٢ أغسطس ٢٠١٨م)، (١٥ مايو ٢٠٢٣م).
- الأستاذ / عزيز محسن ناجي، مدير عام آثار مديرية بني مطر، من أهالي بني قيس بني مطر،(٢٣ يوليو – ٣ أغسطس – ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٠م).
- الحاج/ علي حسين الهمداني، باحث تاريخي ومن ملاك الغيل المبارك بوادي ضهر، من مدينة طيبة وادي ضهر، (٢٣ مارس ٢٠١٦م)، (٢٣ يوليو – ٢٤ أغسطس – ٢ ديسمبر ٢٠١٧م)، (٢ مايو – ١٩ يونيو ٢٠١٨م)، (٢١ يناير – ٣ مارس – ١٤ أكتوبر ٢٠١٩م)، (١٨ فبراير – ٢ أكتوبر ٢٠١٩م)، (٢٣ يونيو – ١٢ أغسطس – ٣ أكتوبر ٢٠٢٠م)، (٢٣ يناير – ٢٣ فبراير – ٥ مارس – ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م)، (٣ مايو – ٢١ يوليو – ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٤م).

- الحاج/ علي صالح جابر، من أحد العاملين على تنظيف قنوات جيلان غيل الصبرة الأسفل، من أهالي ضلاع همدان،(٢٣ أكتوبر ٢٠٢٠م)، (٢١ ديسمبر ٢٠٢٤م).
- الحاج/ علي عبدالله حمود البكير، من ملاك غيل الصبرة، من أهالي ضلاع همدان، (٢٤يناير – ٢ مارس ٢٣ أكتوبر ٢٠١٩م) (٢٤ يونيو ٢٠٢١م)، (٢١ أكتوبر ٢٠٢٤م).
- الحاج/ علي يحيى الخوقري، وكيل غيل حُميس قرية حدة مديرية بني مطر، (٢١ مايو – ٣ أغسطس ٢٠٢٤م).
- الأستاذ/ يحيى علي الخوقري، من ملاك غيل حميس بقرية حده مديرية بني مطر محافظة صنعاء(٢١ مايو – ٣ أغسطس ٢٠٢٤م).

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠-١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١-١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص١١٣-١٤٢، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 113-142, King Saud University, Riyadh (1447H / 2025)

إضاءات جديدة على نقش الذفيف (١٠)

AL-Dhafeef 10

أ. عبدالله بن سعيد بن علي القحطاني

جامعة الملك سعود، الرياض

tamlrq@yahoo.com

(قُدِّم للنشر في ١١/ ٠٩/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ١٠/ ١١/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

لعبت مدينة جُرَشْ دوراً مهماً من الناحية الحضارية؛ كونها من أهم مدن القوافل التجارية، وذلك في خلال عصور ما قبل الميلاد واستمراراً إلى القرون الإسلامية اللاحقة. وفي هذا البحث، تمَّ استعراضُ لمحةٍ تاريخيةٍ وجغرافيةٍ عن مدينة جُرش، ثم تسليّط الضوء على النقش الموسوم بـ(الذفيف ١٠/ AL-Dhafeef 10) ويُؤرّخ ذلك النقش في حِقبة الربع الثالث من القرن الثالث الميلادي تقريباً، وهي الحِقبة التي حكم فيها الملك: (نشأكرب يهأمن يهرحب (الثاني) بن إيل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان) آخر حكّام مملكة سبأ، كما تمَّ التعرّف على الاسم القديم لمدينة جُرش، والحقبة الزمنية – التقريبية – لنشأة المدينة، ومن ثم يستقرأ البحث من خلال النقوش الأوضاع السياسية لأهم الأحداث في الحقبة الزمنية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث للميلاد وأثرها في مدينة جُرش، والتعريج على بعض الألفاظ التي أوردها قارئ النقش من خلال البحث في المصادر الدينية والتراث العربي. ومن أهم نتائج البحث: التعرّف على الاسم القديم للمدينة قبل اشتهارها بـ(جُرَشْ)، وهو (قلعة بيشة)، وكذلك أقدمية نشأة المدينة قبل دخولها من قبل بني جُرش.

الكلمات المفتاحية: جُرَشْ، قلعة بيشة، مملكة سبأ، يمانيّة.

New insights on AL-Dhafeef inscription(10)

Abdullah b. Saeed Ali Al-Qahtani
University of King Saud, Riyadh
tamlrq@yahoo.com

(Received: 11/ 9/ 1446 H; Accepted for publication: 10/ 11/ 1446 H)

Abstract:

The city of Jurash played an important role in civilization, as it was one of the most important cities for commercial caravans, during the pre-Christian era and continuing into the later Islamic centuries. In this research, a historical and geographical overview of the city of Jurash was reviewed, then the light was shed on the inscription called (AL-Dhafeef 10). This inscription dates back to approximately the third quarter of the third century AD, the era in which King (Nashakarb Yahaman Yahrab (the second) bin Ail Sharh Yahdhab, King of Saba and Dhu Raydan), the last ruler of the Sabaean Kingdom, ruled. The ancient name of the city of Jurash was also identified, as well as the approximate time period of the city's establishment. Then, the research, through the inscriptions, deduces the political situations of the most important events in the time period from the second century to the middle of the third century AD and their impact on the city of Jurash, and touches on some of the words mentioned by the reader of the inscription through research in religious sources and Arab heritage. Among the most important results of the research: identifying the ancient name of the city before it became known as (Jurash), which is (Bisha Castle), as well as the antiquity of the city's establishment before it was entered by the people of Jurash.

Keywords: Jurash, Bisha Castle, Kingdom of Saba, Yemaniiah.

.

المقدمة:

بسم الله والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

يُسلّط هذا البحث الموسوم بـ"إضاءات جديدة على نقش الذفيف ١٠/ AL-Dhafeef 10" الضوء على أحدث النقوش المكتشفة في معبد أوام بمأرب في اليمن، والذي يشير إلى مدينة (جُرَشْ) التي تُعَدُّ من أبرز المدن الحضارية في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وهي اليوم ضمن حدود المملكة العربية السعودية؛ وتقع جُرَشْ على الضفة الغربية لـوادي بيشة، متوسطةً مركز محافظة أحد رفيدة التابعة لمنطقة عسير، وتَبعد حوالي ١٥ كم جنوب محافظة خميس مشيط.

وعليه يكتسب موضوع البحث أهميته؛ من كون هذا النقش – قيّد الدراسة – هو النقش الأول الذي وردَ فيه تأريخ دخول قبيلة جُرَشْ إلى المدينة التي اُشتُهرت لاحقاً باسمهم، وفي الوقت ذاته، فقد ورد في ثنايا النقش اسم المدينة القديم (قلعة بيشة) للمرّة الأولى وفق سجلات النقوش المتاحة حتى الآن، فضلاً عن وجود بعض القبائل – في النقش ذاته – تقع على مقربة من مدينة جرش، ترد لأول مرة في سجلات النقوش.

وتكمن مشكلة البحث في تسليط الضوء على بعض المعلومات الواردة في النقش، ورصد وتحليل ما أوردهُ قارئ النقش (الذفيف) لذا فإنَّ البحث يهدف إلى استيضاح التالي:

أ. محاولةُ الوصول إلى الحقبة الزمنية التقريبية لنشأة المدينة.

ب. التعرّفُ إلى اسم المدينة التي سبقت مسمى جُرَشْ.

ج. استعراض الأوضاع السياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية وأثرها على المدينة وفق أبرز النقوش في خلال الحِقَب من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث للميلاد.

د. مناقشة علاقة مدينة جرش بمملكة سبأ.

ومن خلال استيضاح أهداف البحث السابقة، فإنَّ محاور الدراسة ترتكز على بضعةِ تساؤلات على النحو الآتي:

أ. ما الحقبة الزمنية التقريبية لنشأة المدينة؟

ب. ما اسم المدينة التي سبقت مسمى جُرَشْ؟

ج. كيف كانت الأوضاع السياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية في خلال الحِقَب من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث للميلاد وما أثرها على المدينة؟

د. متى بدأت علاقة مدينة جُرش بمملكة سبأ؟

وعلى هذا اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على المنهج التحليلي المقارن، وفيه تمَّ استعراض أبرز المعلومات والتفسيرات التي أوردها قارئ النقش (الذفيف) ووضعها على ميزان النقد، ومن ثم تحليلها للخروج بالنتائج المرجوة وفق أهداف البحث.

وفي المقابل، تنوعت مصادر البحث بين مصادر دينية وأثرية ومصادر من التراث العربي تاريخية وجغرافية، فضلًا عن بعض المراجع التي أسهمت في إثراء الدراسة، لذا فإنَّ أبرز تلك المصادر والمراجع هي:

أولاً: النقش الموسوم بـ(RY509) والـمُؤرخ بالربع الأول من القرن الخامس للميلاد، وهو في عصر الملك الحميري أسعد أبو كرب، الذي ورد فيه أطول لقب ملكي بحسب النقوش السبئية: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويَمَنت وأعراب الطود وتهامة). ثانياً: النقش (RY510) للملك معد كرب يعفر آخر الملوك الحميريين الذي لُقب باللقب الملكي الكبير: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويَمَنت وأعراب الطود وتهامة)، وتأريخه حوالي (٥١٦م) لذلك سوف يستفيد الباحث من خلال استعراض هذين النقشين في توظيفهما بالمبحث الثاني من هذا البحث. ومن من أبرز مصادر التراث العربي التي أوردها الباحث:

أولاً: هشام بن محمد الكلبي، نسب معدّ واليمن الكبير. جزءان. تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م): وهو من أهم كتب الأنساب العربية

القديمة، وسوف تتم الاستفادة منه بتعيين القبائل التي وردت في النقش – خاصة الواردة لأول مرة – في المبحث الثاني.

ثانياً: الحسن بن أحمد الهمْداني (ت بعد ٣٦٠هـ)، صفة جزيرة العرب، ط١، تحقيق: محمد الأكوع، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م): وهو من أهم المصادر الجغرافية عن شبه الجزيرة العربية بشكل عام؛ إذ فيه وصف دقيق لمدينة جُرش – التي ذُكرت في النقش – مع أهم المعالم الجغرافية المحيطة بالمدينة، كوادي بيشة، وأكمة حمومة، وسوف يستفيد الباحث في توظيف ما ذكره الهمداني في المبحث الأول.

ووفق تلك المعطيات، اشتمل البحث على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:

أ. مقدمة.

ب. المبحث الأول: النطاق الجغرافي والإطار التاريخي للمنطقة التي ذُكرت في النقش (مدينة جُرش): وفيه استعرضَ الباحث الموقع بالتحديد، وأبرز التضاريس فيها، ثم الإشارة إلى تاريخ نشأت مدينة جُرَشْ وفق أدلة التنقيبات الأثرية، وبعد ذلك تم التعريج على أبرز المظاهر الحضارية لمدينة جُرش وفق المصادر المتاحة: الأحوال الدينية في المدينة – قبل الإسلام – المتمثّلة بعبادة الصنم (يغوث)، وفي ختام المبحث يتطرق الباحث إلى الأوضاع الاقتصادية بالمدينة، كالتجارة، والزراعة.

ج. المبحث الثاني: عرض قراءة وتحليل نقش (الذفيف ١٠ الأسطر: ١٥ – ٢٨) والتعليق عليها: وفيه تمَّ عرض (الذفيف ١٠) وتحديداً الأسطر: ١٥ – ٢٨، ثم علّق الباحث على أبرز ما ورد في النقش؛ كظهور قبائل لأول مرة، فضلاً عن تعيين الاسم القديم للمدينة الذي سبق مسمى (جُرَشْ)، عقب ذلك تم تصحيح بعض الأخطاء التي ذكرها قارئ النقش، وأيضاً مناقشة العلاقة بين مدينة جُرش وبين مملكة سبأ وفق أبرز النقوش المتاحة حتى الآن، فضلاً عن مناقشة بعض العبارات التي ذكرها قارئ النقش.

د. الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلَ إليها الباحث.

هـ. قائمة المصادر والمراجع.

الملاحق.

المبحث الأول: النطاق الجغرافي والإطار التاريخي للمنطقة التي ذُكرت في النقش (مدينة جُرش):

تقع مدينة جُرَشْ في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتحديداً في منطقة عسير، وتتوسط مركز محافظة أحد رُفَيْدة[١]، حيث عُرفت المنطقة التي نشأت فيها مدينة جُرَش قديمًا بسراة عنز بن وائل، وقامت المدينة على الضفة الغربية لـوادي بيشة (بيشة ابن سالم)[٢]. وتقع المدينة ضمن دائرة العرض: ١٨ درجة، و١٠ دقائق، و١٥ ثانية، وخط الطول: ٤٢ درجة، و٥٠ دقيقة، و١٥ ثانية (موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، د.ت، ج١، ص ٣٩٤).

وفي السياق ذاته، فمن أهم من وصف جُرَشْ هو الحسن الهمْداني (ت بعد ٣٦٠هـ) إذ ذكر أنها بقعة منبسطة على ارتفاع من الأرض، ثم أشار إلى أن مجرى السيل يُعبر من جهتها الشرقية، ويفصل بينها وبين الأكمة[٣] السوداء حمومة (الهمْداني، ١٤١٠هـ، ص٢٢٩ – ٢٣٠)، وقد تحدَّث أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) عن جُرَشْ فقال: "بضم أوله، وفتح ثانيه، وبالشين المعجمة: موضع معروف باليمن" (البكري، ١٩٨٣م، ج٢، ص٣٧٦)، أما محمد الإدريسي (ت ٥٦٠هـ) فقد ذكر بأن مدينة جُرَشْ تشابه مدينة نجران من ناحية المساحة، وأضاف بأن كلتا المدينتين تتميزان بكثرة النخيل (الإدريسي، ١٤٢٢هـ، ص١٤٦)، وأورد ياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ) في معجم البلدان جُرَشْ، وذكر أنها من مدن اليمن العظيمة (الحموي، ١٣٩٧هـ، ص ١٢٦).

---

(١) محافظة أحد رفيدة: من أكبر المحافظات بمنطقة عسير وتقع جنوب مدينة أبها (مقر إمارة منطقة عسير) وتبعد عنها حوالي ٤٥ كم. للاستزادة: (الزهراني، ١٤٢٩هـ، ١٦).

(٢) اعتاد أهالي مركز أحد رفيدة أن يطلقوا على امتداد وادي بيشة المحاذي لمدينة جُرَشْ بـ: بيشة ابن سالم؛ للتفريق بينها وبين مدينة بيشة الحالية التي يطلق عليها العامة بيشة (النخل)؛ وابن سالم: هو غشام بن عامر آل سالم أحد زعماء قبيلة قحطان في زمنه. للاستزادة: (حمزة، ١٩٦٨م، ص ص٥٣ – ٥٤).

(٣) ذكر ابن سيّده أن الأَكَمة هي: التّلّ من القُفّ من حِجَارَة وَاحِدَة. وَقيل: هُوَ دون الْجَبَال. للاستزادة: (ابن سيده، ٢٠٠٠م، ص ٩٨).

وأشارَ بعضُ المتخصصين إلى أهمية مدينة جرش في خارطة الطرق التجارية وذلك في عصور ما قبل الإسلام؛ إذ إن القوافل التجارية السالكة للطريق الرابط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية حتى حدود البحر الأبيض المتوسط تمرُّ في جُرش؛ كونها محطة للقوافل التجارية؛ وذلك في حِقَب ما قبل الإسلام (جراف، ١٤٣٣هـ، ص٣٠ – ٣١).

وتمتاز جُرش بكونها محطة قوافل تتوسط المسافة بين نجران وتبالة[1]، وقد أشارَ أحدُ الباحثين في معرض حديثه عن أحد طرق البخور ما بين نجران ويثرب إلى أن الطريق هو الذي عبرهُ الحجاج من نجران حتى الوصول إلى طريق الفيل في تبالة بالقرب من بيشة، والسبب من وجهة نظره؛ هو أن ذلك الطريق أقل وعورةً وأسهل لعبور الجمال (قروم، ١٤٢٩هـ، ص ٣٢٦).

أما عن نشأت مدينة جُرَشْ؛ فقد أُنشئت على ضفاف وادي بيشة منذ بداية الميلاد بناءً على ما قام به المختصون في علم الآثار من مسح أثري للموقع؛ إذ قاموا بأخذ عينات من التربة وإرسالها لفحصها بتقنية كربون ١٤(C14)، وقد أظهرت النتائج أن أقدّم استيطان بشري بحسب الطبقة السفلية يعود إلى القرن الأول الميلادي (زارينس، ١٤٠١هـ، ص ٢٥)، مع العلم أن الفحص الكربوني للطبقة الخامسة فيه نسبة خطأ قد تزيد حتى تصل إلى القرن الثاني قبل الميلاد؛ وقد تزيد حتى تصل إلى القرن الثالث للميلاد.

وبحسبِ آخر الدراسات عن مدينة جُرَشْ، وفي محاولات لتحديد الحقبة الزمنية لتأريخ مدينة جُرش؛ فقد أبرزت الدراسة أن المدينة قد قامت في حِقَب ما بين القرن الثاني إلى الثالث ق.م تقريبًا؛ وذلك بناءً على أحد النقوش المسندية الجنوبية الذي يُقدّر تاريخ كتابته بالقرن الثاني إلى الثالث قبل الميلاد (القحطاني، ١٤٤٤هـ).

(١) تبالة: هي إحدى المراكز التابعة لمحافظة بيشة – إحدى محافظات منطقة عسير –، وتبعد تبالة عن بيشة حوالي ٦٠كم إلى الغرب، وتعتبر من الحواضر القديمة التي لها ذكر في مصادر التراث العربي؛ للاستزادة: (الحربي، ١٤١٨هـ، ج١، ص ص ٢٨٧ – ٢٩٥).

وأُشتهر أهالي مدينة جُرَشْ قبل الإسلام – كأغلب أهالي شبه الجزيرة العربية – بعبادة الأصنام؛ فقد عبدوا الصنم "يغوث"؛ وهو من أشهر الأصنام في شبه جزيرة العرب؛ قال الله عز وجل: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا"[1]. وقد أورد محمد بن إسحاق، حينما تحدث عن عبادة أهالي جرش في حُقب ما قبل الإسلام ما نصّه: "...وأنعم من طيء، وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش" (ابن هشام، ١٤١٠هـ، ج١، ص٨١)، بينما ذكر هشام الكلبي، أن قبيلة مذحج وأهالي جُرَشْ عبدوا يغوث؛ ثم أشار إلى تعظيم ذلك الصنم من قبل عبّاده واستمدادهم به في القتال؛ فقال أحدهم:

وسار بنا يغوث إلى مراد... فناجزناهم قبل الصباح (الكلبي، ١٩٩٥م، ص١٠).

وقد ذكر الحسن المهلّبي، أن جُرش تحوي الكثير من مدابغ الجلود (المهلبي، ٢٠٠٦م، ص٢٣)، ويرى بعض المتخصصين بأن مدينة جرش قد تفوقت بصناعة الدباغة على ما كانت تُصنّعه مدينتا صعدة والطائف (الثنيان، ٢٠١٠م، ص٤٧٧).

وتميزت البقعة الجغرافية لجبال السروات بالغطاء النباتي المكوّن من عدة أشجار وبعض النباتات التي تصلح لرعي المواشي، فضلاً عن خصوبة التربة الصالحة للزراعة، ومن دلالة ذلك ما ذكره البغوي في تفسير الآية: (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)[2] بأنه أصاب مكة قحط شديد، وصادف أنه في إحدى رحلات الشتاء لجنوب شبه الجزيرة العربية كانت جُرش وتبالة مخضرّة المراعي والكلأ؛ فنقلوا قريش من خيرات جرش وتبالة إلى مكة (البغوي، ١٤٢٣هـ، ص١٤٣٧م).

وباستعراض المعثورات الأثرية في مدينة جرش، كان من أبرز المعثورات وجود عظام كثيرة في عدة طبقات لحيوانات من إبل وأبقار وأغنام وغيرها (جراف، ١٤٣٣هـ، ص٣٠ – ٣٥)، وفي ذلك دلالة على وجود ثروة حيوانية ساهمت في عملية الاكتفاء الذاتي من الغذاء

(١) سورة نوح: ٢٣.

(٢) سورة قريش: ٢.

لدى أهالي جرش، فضلاً عن جني الأرباح منها في عمليات التجارة كالاستفادة من جلود تلك الحيوانات في عمليات الدباغة مثلما -تمت الإشارة إليها سابقاً-.

ومن أشهر الحيوانات التي رُبطت بجُرش الإبل الجُرشية، ومن شواهد ذلك ما قاله: محرز بن مكعبر الضبّي، وهو من الشعراء الذين أدركوا الجاهلية:

وجئتم بها مدمومة جُرشيّة **** تكاد من الدم المبيّن تظلع

وهنا وصفَ الضبّي الناقة الجرشية بالكبيرة المثقلة باللحم والشحم (الجاحظ، ١٤١٠هـ، ص٢٨١).

هذا وقد امتازت جُرش بالزراعة، وعلى ذلك قال: بشر بن أبي خازم الأسدي، وهو ممن عاش في حِقَب ما قبل الإسلام، واصفاً نزول الدموع من شدة الحزن:

تحدّر ماء البئر عن جُرشية **** على جربة تعلو الدبار غروبها

ومعنى البيت: يشبّه نزول الدموع بكثرة كالناقة التي تحمل الماء عبر الساقية من البئر وتسقي الأراضي لغرض ري المزارع (ديوان بشر بن أبي خازم، ١٤١٥هـ، ص٢٧ – ٢٨)، وقال لبيد بن ربيعة، وهو من الشعراء الذين أدركوا نهاية العصر الجاهلي:

بكرت به جُرشيّة مقطورة **** تروي المحاجر بازل علكوم

وهنا يذكر أحد أنواع النوق التي اشتُهرت بها جُرش، وهي الناقة كبيرة السّن ذات السنام الكبير من كثافة اللحم؛ والتي تم طلاؤها بالقطران، وتُستخدم كذلك لسقاية المزارع (ديوان لبيد بن ربيعة العامري، د.ت، ص ١٥٣).

وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "...عن ابن عباس -رضي الله عنه - قال: نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يخلط التمر والزبيب جميعاً، ...وكتب إلى أهل جُرش ينهاهم عن خليط التمر والزبيب" (مسلم، ١٩٥٥، ج٣، ص١٥٧٦). وفي بعض مصادر التراث العربي ما يشيرُ إلى وجود النخل في جُرش، ومن أبرز تلكم المصادر: ما ذكره المقدسي، إذ أشار إلى وجود النخيل في جُرش (المقدسي، ٢٠٠٣م، ص ١٠٣)، وكذلك ذكر الإدريسي أن جُرش تتميز بكثرة النخيل (الإدريسي، ١٤٢٢هـ، ١٤٦).

أما ما يتعلّق بذكر العنب الجُرشي في مصادر التراث، فقد جاء في بعض مصادر التراث العربي شذرات منها: ما أشار إليه الفراهيدي، فذكرَ أن العنب الجُرشي يمتاز بالجودة العالية (الفراهيدي، ١٣١٠هـ، ج٦، ص ٣٥)، وأورد الأصمعي وصفاً له، فذكر أن حبّاته بيضاء وهي صغيرة الحجم في بداية نضجها (الأصمعي، ١٩٠٨م، ص ١٥)، ومن أهم المنتجات الزراعية التي اشتُهرت بها جُرش، ما ذكره ابن منظور في معرض حديثه عن معنى جُرش؛ فذكر أن من أشكال البُر أو الشعير ما يُعرف باسم (الجُرشية) (ابن منظور، د.ت، ج٦، ٢٧٣). وقد استمرت جُرش مزدهرةً بمنتوجاتها الزراعية، وأبرزها: الشعير والذرة والقمح حتى القرون الإسلامية اللاّحقة (القحطاني، ١٤٢٤هـ، ص٢٢٢).

المبحث الثاني: عرض قراءة وتحليل نقش (الذفيف ١٠/ AL-Dhafeef 10 الأسطر: ١٥ – ٢٨ (الذفيف، ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م، ص ص ٤٠٨ – ٤١٢) والتعليق عليها:

أُكتُشف هذا النقش في معبد أوام في مأرب، ويأتي ضمن خمسة نقوش، تم تصنيف اثنين منها نقوشاً نذرية، أما البقية فهي نقوش تذكارية، والنقش المراد تناوله هنا بالنقد والدراسة: هو النقش الموسوم بـ(الذفيف١٠/ AL-Dhafeef 10) الذي أتى على ٣٧ سطراً،كُتب بطريقة الحفر الغائر على حجارة تشبه شكل المستطيل، ويُؤرخ ذلك النقش في حِقبة الربع الثالث من القرن الثالث الميلادي تقريباً، وهي الحِقبة التي حكم فيها الملك: (نشأكرب يهأمن يهرحب (الثاني) بن إيل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان) وهو آخر حكّام مملكة سبأ، وسيُسلّط الباحث الضوء على الأسطر من: (١٥ – ٢٨):

(١٥) د/ ذ ح ب ب/ و س أ ر ي ن/ ل أ م ن/ ك ل/ ع ش ر/ م ذ ح ج م/ و ع ز م/ و غ ل ي ن

(١٦) و أ ل م ع/ و ث ر د/ و و ه ـ ب إ ل/ و ل ب أ ن/ و ذ ب ن/ ع ش ر/ ص غ ر ت/ و س ن ح ن

(١٧) و ح م د م/ ب ذ ت/ خ م ر/ ا ل م ق ه ـ ث ه ـ و ن ب ع ل أ و م/ ع ب د ه ـ و/ أ س ع د

(١٨) ي ز د/ ذ ح ب ب/ و س أ ر ي ن/ ه ـ ر ج/ ه ـ و أ/ أ ر ب ع/ ب أ م/ ت ق د م م ا/ ب

(١٩) ك ن/ و ق ه ـ ه ـ و/ م ر أ ه ـ م و/ ن ش أ ك ر ب/ ي ه ـ أ م ن/ ي ه ـ ر ح ب/ م ل ك/ س

(٢٠) ب أ/ و ذ ر ي د ن/ ب ن/ ا ل ش ر ح/ ي ح ض ب/ و ي أ ز ل/ ب ي ن/ م ل ك ي/ س ب أ

(٢١) و ذ ر ي د ن / ل ع ق ب / و ت ن ص ف ن / ب هـ ج ر ن / ب أ ش ت م / ذ ح د ث ن / ش ع ب

(٢٢) ن / ج ر ش / م ل أ / س ث ت / أ و ر خ م / و ح م د / خ ي ل / و م ق م / م ر أ ه م و

(٢٣) إ ل م ق هـ ث هـ و ن ب ع ل أ و م / ب ذ ت / خ م ر / ع ب د ه و / أ س ع د / ي ز د / ذ ح

(٢٤) ب ب / و س أ ر ي ن / أ ت و / هـ و أ / و أ س د / ش و ع هـ و / ب ن / ش ع ب هـ م و / ص ر و

(٢٥) ح / و خ و ل ن / خ ض ل م / و هـ ي ن ن / و أ ف ر س ه م و / و ر ك ب ه م و / ب و ف ي

(٢٦) م / و ح م د م / ب ذ ت / هـ ع ن / و س ت ع ن / ع ب د هـ و / أ س ع د / ي ز د / ذ ح ب ب / و س

(٢٧) أ ر ي ن / و ج ي ش هـ و / ب ك ن / ث ل ع / ب ت ح ت ه م و / ث ن ي / س ق ف ن / ب ن / م ص ن ع

(٢٨) ت / ب أ ش ت م / و خ ل و / ج ر ي ب ت ه م و / ب ن / ت ل ف م / و ت ش ي ن ت م / و ل خ م

المعنى:

(١٥) ذي حباب وسأرين (ووفقه في إقامة) الصلح بين عشائر مذحج وعزم وغلين (الغلي)

(١٦) وألمع وثرد ووهب إيل ولبأن (البنا) وبين عشائر صغرت (الصغرة) وسنحان

(١٧) وحمداً لأن (الإله) إلمقه ثهون رب معبد أوام تفضل على عبده أسعد

(١٨) يزيد ذي حباب وسأرين بأن قتل هو أربع لبؤات (أسود) من قبل (وذلك)

(١٩) عندما كلّفه سيدهم نشأ كرب يهأمن يهرحب ملك

(٢٠) سبأ وذي ريدان بن إيل شرح يحضب ويأزل بين ملكي سبأ

(٢١) وذي ريدان بالخدمة والياً على مدينة بأشت التي أقامتها (نزلت فيها) قبيلة

(٢٢) جُرَش، ولمدة ستة أشهر، كما حمد قوة ومقام سيدهم

(٢٣) إلمقه ثهون رب معبد أوام؛ لأنه منّ على عبده أسعد يزيد ذي

(٢٤) حباب وسارين بعودته هو والجنود الذين رافقوه من قبيلته صرواح

(٢٥) وخولان خضلم وهينان وفرسانهم وراكبي الجمال (الهجّانة) سالمين

(٢٦) وحمداً؛ لأنه نجّى وأعان عبده أسعد يزيد ذي حباب

(٢٧) وسأرين وجيشهم عندما سقط تحتهم طابقين من قلعة

(٢٨) بأشت وحفظ أبدانهم من الهلاك والإصابات وليمنح

إن من أهم ما ورد في ثنايا النقش الأسطر من (١٥– ٢٨): هو ظهور أسماء قبائل لأول مرة في النقوش السبئية كما في السطرين (١٥– ١٦) وتلك القبائل هي: (الغلي)[١]، وأُرجّح أنها التي ذكرها هشام الكلبي، وعدّها ضمن قبائل جنب المذحجية (الكلبي، ١٤٠٨هـ، ج١، ص ٢٩٩)، وقبائل جنب تقطن أغلبها في سراة عبيدة حالياً (سراة جنب سابقاً) وما جاورها من مواضع سراة وتهامة، كذلك تم ذكر قبيلة (ألمع)[٢] الأزدية الشهيرة، والتي أشار إليها كذلك ابن الكلبي (الكلبي، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص ٤٦٥)، والتي تُعرف اليوم بقبائل (رجال ألمع) وهم في عداد قبيلة عسير اليوم، وكذلك قبيلة عنز التي رجّح الذفيف أنها قبيلة عنز بن وائل (الذفيف، ١٤٤٦هـ، ٤١٥).

أما السطور من (٢١ – ٢٨)، فقد حظيت بظهور أسماء لمدن قديمة تُذكر لأول مرة في نقوش المسند الجنوبي؛ كذكر (بيشة) التي تُعرف اليوم بـ(بيشة ابن سالم) الواقعة في قلب مركز أحد رفيدة التابعة – إدارياً – لمنطقة عسير، وابن سالم هذا (ت ١٣هـ) هو أحد زعماء قبيلة قحطان في القرن ١٣هـ (حمزة، ١٣٨٨هـ، ص ص٥٣ – ٥٤)، وقد أخطأ الذفيف حينما قرنَ (بيشة النخل) ببيشة ابن سالم، وكأنهما اسمين مترادفين للبقعة الجغرافية نفسها، والصحيح أن (بيشة النخل) هي محافظة بيشة الحالية التابعة – إدارياً – لمنطقة عسير، وتبعد بيشة النخل عن بيشة ابن سالم قرابة ٢٤٠ كم، وقد كان الأهالي في الماضي يقرنون الأولى بالزعيم ابن سالم والأخرى بالنخل للتفريق بينهما؛ خاصةً أن بيشة النخل اشتُهرت بكثرة النخيل.

أما وادي بيشة، فيُعد من أهم الأودية في شبه الجزيرة العربية؛ ويأتي كثاني أطول أودية المملكة العربية السعودية، إذ يبلغ طوله (٤٦٠ كم) ومن أهم الأودية الكبيرة التي ترفده: وادي هرجاب، ووادي عياء، ووادي تبالة؛ وادي ترج (المملكة العربية السعودية حقائق

(١) ذهب الذفيف أن الغلي من (صداء المذحجية)، ونقل قولاً عن الهمداني: يذكر الغليل أحد المواضع في صعدة: (الذفيف، ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م، ص ص ٤١٢، ٤١٤ – ٤١٥).

(٢) ذكر الذفيف أنها إحدى قبائل السراة ولم يذكر نسبها: (الذفيف، ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م، ص٤١٥).

وأرقام، ١٤٣٣هـ، ص٦٢). ومبتدأ جريان عبر عدة روافد تجتمع مياهها من المنطقة الواقعة بين كلٍ من: سراة عبيدة وأحد رفيدة وجبل الصحن - شمال تمنية[1]- وأبها وخميس مشيط وتتجه المياه شمالاً مروراً بعدد من الروافد والأمكنة حتى تصل إلى محافظة بيشة (الوليعي، ١٤٢٩هـ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥)، ومن بيشة يستمر حتى ينتهي شرق محافظة رنية[2]. والملاحظ أن كلا البيشتين (بيشة ابن سالم، وبيشة النخل) على ضِفاف هذا الوادي.

كما أن من أهم ما ورد في تلك السطور ذكر لقبيلة جُرَشْ، وهو الذكر الثاني لها ضمن مكتشفات النقوش السبئية حتى الآن، إذ لم يُعثر على نقوش تُذكر جرش سوى النقش (RES 4138/2) إذ ورد ذكرها كشعب (قبيلة)، أما في هذا النقش الجديد (الذفيف ١٠): فقد جاء فيه ما يفيد بدخول قبيلة جُرَشْ إلى المدينة التي اُشتُهرت باسمها فيما بعد، الذي كان في الربع الأخير من القرن الثالث للميلاد بحسب النقش، وقد ألمَح الذفيف إلى أن قبيلة جرش هي من أنشأ المدينة، ويختلف الباحث مع الذفيف؛ إذ بحسب ما أراه: لا يمكن أن تكون قبيلة جُرش هي من أنشأ تلك المدينة؛ لثلاثة أسباب: أولها: بحسب آخر الدراسات التي سبق ذكرها، فإن نشأت المدينة كانت في القرن الثاني إلى الثالث قبل الميلاد تقريباً؛ أي قبل دخول قبيلة جُرش بحوالي ٤ – ٥ قرون.

وثانيها: ورود (مصنعة بيشة) أو (قلعة بيشة) كما ورد في نهاية السطر ٢٧ وبداية السطر ٢٨ من النقش، والواضح أنها اسم المدينة قبل اشتهارها باسم جُرش في القرون اللاحقة، خاصةً أنه ورد في السطر ٢١ من النقش: (هجر بيشة)، وكلمة هجر في النقوش المسندية تعني مدينة (بيستون وآخرون، ١٩٨٢م، ص٥٦) أي (مدينة بيشة)، والقلعة مضافة للمدينة، فيكون اسم المدينة (قلعة بيشة)، وبالرجوع لمعنى كلمة مصنعة في بطون معاجم

(١) تمنية: من مراكز شعف أراشة، وتقع جنوب مدينة أبها بمنطقة عسير، للاستزادة: (الحربي، ١٤١٨هـ، ج١، ص٣١٣).

(٢) رنية: تقع شمال بيشة بحوالي ١٧٠كم، وهي إحدى محافظات منطقة المكرمة، للمزيد للاستزادة: (الجاسر، د.ت، ص٦٥٢).

اللغة العربية؛ فقد أورد الزبيدي في تفسير، قَوْل الله تَعالى: (وتَتَّخِذونَ مَصانِعَ لعلَّكُم تَخْلُدون) "... قال الأَصْمَعِيّ: العربُ تُسمِّي القُرى مَصانِعَ واحدَتُها مَصْنَعةٌ وأنشدَ لابنِ مُقبِلٍ:

كأنَّ أصواتَ أَبْكَارِ الحَمامِ لنا ... في كلِّ مَحْنِيَّةٍ منه يُغَنِّينا

أصواتُ نِسْوانِ أَنْبَاطٍ بمَصْنَعَةٍ ... بَجَّدْنَ للنَّوْحِ فاجْتَبْنَ التَّبابينا وفي الأساس: تقول: هو من أهلِ المَصانِع أي القُرى والحَضَرِ بَجَّدْنَ: لَبِسْنَ البُجُدَ. المَصانِعُ أيضاً: المَباني من القصورِ والآبارِ وغيرِها قال لَبيدٌ -رضي الله عنه-:

بَلِينا وما تَبْلَى النُّجومُ الطَّوالِعُ ... وَتَبْقى الدِّيارُ بَعْدَنا والمَصانِعُ

المَصانِع: الحُصون نقله الجَوْهَرِيّ..." (الزبيدي، ١٤٢٢هـ، ج٢١، ص ص٣٧٢ – ٣٧٣)، وقد ارتبط مسمى مصنعة لدى أهالي جنوب شبه الجزيرة العربية بالقلاع أو الحصون؛ فهنا أبو محمد الهمْداني يصف مدينة (ناعط) فيقول: "... وهي مصنعة بيضاء مدوّرة في رأس جبل..." (الهمْداني، ١٤٢٩هـ، ج٨، ص ٦٣) لذا فإنّ المصنعة في النقش هنا هي مرادفة لكلمة قلعة.

وثالث الأسباب: وجود المدينة قائمة قبل مجيء الجيش السبئي؛ بدلالةِ نجاة أسعد ومن معه من حادثة سقوط الطابقين داخل تلك القلعة -بحسب ما ورد في النقش-، وهنا تساؤل، إذا كانت المدينة قائمة، فمنهم الذين قاموا ببناء تلك المدينة؟ والإجابة عن هذا التساؤل: لا نملك بين أيدينا في الوقت الحاضر أي نقوش تُذكر من قام ببناء قلعة بيشة (جرش لاحقاً)، والحال كذلك في المدن المجاورة: نجران (الأخدود)، وذات كهل (الفاو)؛ إذ إن كل النقوش المكتشفة حتى الآن ليس بينها ما يُفيد ببناء تلك المدن من قبل مجموعةٍ ما، ولكن في الوقت ذاته، فإنّ المرجّح أن من قام ببناء نجران والفاو وقلعة بيشة هم الأهالي أنفسهم؛ وذلك بسبب توافر العوامل التالية:

١. وجود تلك المدن على ضفاف الأودية؛ فنجران محاذية لوادي نجران، والفاو على وادي تثليث (وادي الدواسر حالياً وهو امتداد لوادي تثليث)، وقلعة بيشة بجوار وادي بيشة، ومن المعلوم أن المياه من أهم مصادر قيام المدن والممالك بشكل عام.
٢. توفر مصادر مواد البناء في البيئة المحيطة لكل مدينة من خلال تضاريس تلك المدن؛ كالجبال (الصخور)، والأراضي السهلية (الطين)، والأشجار (الأخشاب) وغيرها.
٣. وجود تلك المدن على طرق القوافل التجارية القديمة التي سبقت قيام الإسلام، مما ساهم في انتعاش تلك المدن من الناحية الاقتصادية.

ومما يلفت الأنظار قول الذفيف: "...والجدير بالذكر فإنّ ما ورد في النقش من أن الملك السبئي نشأكرب يهأمن من يهرحب (الثاني) عين عاقباً (والياً) على مدينة بأشت (جرش)، ليعد دليلاً قوياً على أن هذه المناطق هي **مناطق وأراضي يمنية، وتسكنها قبائل يمنية**، وكانت تحت سيطرة الدولة السبئية بمختلف مراحلها"، فهل كانت (قلعة بيشة) تحت سيطرة الدولة السبئية بمختلف مراحلها؟ وللإجابة على هذا التساؤل، يتمَّ استعراض الأحوال السياسية في الحقبة الزمنية التي سبقت دخول جرش لقلعة بيشة، إذ ورد في سجلات النقوش أنه في عهد الملك (شاعر أوتر ٢ – ٣م) ملك (سبأ وذي ريدان) شنَّ الأحباش هجمات على المناطق الغربية لمملكة سبأ، واستحلوا (ظفار) عاصمة الحميريين؛ فأرسل أوتر ست حملات عسكرية لغرض طرد الأحباش من ظفار، فكان لهم ذلك، وقتلوا من الأحباش المئات من القتلى؛ وهو ما أشار له النقش ذي الرمز (Ja 631) (العتيبي، ١٤٢٨هـ، ص ص١٢٣ – ١٢٩).

ومع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي، قام شاعر أوتر بتسيير حملات حربية صوب وسط شبه الجزيرة العربية وما جاورها من مناطق، إذ ورد بالنقش (DAI Barʾān 2000-1) الذي عُثر عليه في معبد برآن في مدينة مأرب أن الملك السبئي قد قام بحملة عسكرية واسعة على قرية الفاو، وبعض المناطق في جبال السراة وتهامة، ويفيد النقش بأن أوتر قد تمكن خلال تلك الحملة من إخضاع قبائل: خولان الشام والأشاعر، وقبيلة

السواهر، كما أخضع مملكة كندة بقرية (ذات كهل) الفاو وقام بقتل وسبي كثير من تلك القبائل، وتمكن من أسر ربيعة بن معاوية آل ثور ملك كندة وقحطان، وعاد به أسيرًا إلى مدينة صنعاء، وفيما يلي بعض ما ورد بالنقش:

ي و م/ ض ب أ/ خ و ل ن/ و أ ش ع ر ن/ و ي ر ف أ/ و ذ خ ر ن
و ذ ب ن/ أ ي د و/ س و هـ ر ن/ و ك د ت/ و ق ر ي ت م/ و هـ
ر ج/ ب ن/ هـ م ت/ أ ش ع ب ن/ م هـ ر ج م/ و س ب ي م/ ذ ع
س م/ و هـ أ ت و/ ر ب ع ت/ ب ن/ م ع و ي ت/ ذ ا ل/ ث و ر م
م ل ك/ ك د ت/ و ق ح ط ن/ ع د ي/ هـ ج ر ن/ ص ن ع و ...

المعنى:

ويوم غزا خولان والأشاعر ويرفأ وذخران
وجمع قبيلة السواهر وكندة وقرية
وقتل من تلك الشعوب مقتلة كبيرة وسبى
الكثير، وعادوا بربيعة بن معاوية من آل ثور
ملك كندة وقحطان أسير إلى مدينة صنعاء (Nebes, 2004, p 273 - 281).

ومما ورد بالنقوش السبئية، ذكرُ الملكين السبئيين (إيل شرح يحضب) وأخيه (يأزل بين) ملكي (سبأ وذي ريدان) اللذين حَكما في منتصف القرن الثالث الميلادي، وأنهما قادا حملات حربية عديدة ضد قبائل شمال المملكة السبئية؛ وأبرزها قبائل السهرة التي اتخذت من جبال السروات وتهامة أرضًا لمقاومة ملوك الدولة السبئية، وبمؤازرة شعوب نجران وبعض قبائل حمير؛ فقد جاء في النقش السبئي (Ja 579) أن الملك إيل شرح يحضب وأخيه يأزل بين قد أرسلا القائد (دومان بن ثلي) في حملة عسكرية لحرب قبيلة السهرة الواقعة ديارها في تهامة اليمن وحتى جبال السروات غربًا، إضافةً إلى حرب شعوب نجران، وقد عادوا من تلك الحملات منتصرين مما استوجب تقديم تمثال من البرونز للإله (المقه ثهوان) في معبده المسمى أوام في مدينة مأرب، وفيما يلي بعض سطور النقش:

د و م ن/ ب ن/ ث ل ي/ م ق ت و ي/ ا ل ش ر ح
ي ح ض ب/ و ا خ ي هـ و/ ي ا ز ل/ ب ي ن/ م ل
ك ي/ س ب أ/ و ذ ر ي د ن/ ب ن ي/ ف ر ع م/ ي ن هـ ب/ م ل
ك/ س ب أ/ هـ ق ن ي/ ا ل م ق هـ/ ث هـ و ن/ ب ع ل/ ا و م/ ص ل م ن
ذ ذ هـ ب ن/ ح م د م/ ب ذ ت/ ت ا و ل/ م ر أ هـ م و/ ا ل ش ر ح
ي ح ض ب/ م ل ك/ س ب أ/ و ذ ر ي د ن/ ب و ف ي م/ ب ن/ س ب
ا ت/ و ض ب ي أ/ س ب أ/ و ض ب ع/ ب ع ل ي/ ذ س هـ ر ت م/ و أ
ر ض/ ح م ي ر م/ و ن ج ر ن ...

المعنى:

دومان بن ثلي قائد إيل شرح
يحضب وأخيه يأزل بين ملكي
سبأ وذي ريدان أبناء فارع ينهب
ملك سبأ قربا للإله المقه ثهوان بعل أوم تمثال
من البرونز حمدًا له بأن أعاد سيدهم إيل شرح
يحضب ملك سبأ وذي ريدان سالمًا من الغزوة
التي غزاها ضد قبائل السهرة وأرض
حمير، وضد شعوب نجران... (Jamme, 1962, p 86 - 87).

وكذلك في منتصف القرن الثالث الميلادي أثناء حكم الملك (نشأ كرب يامن يهرحب) ملك سبأ ابن إيل شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان (الذي ظهر اسمه في نقش الدراسة) أصبحت الحملات العسكرية على المناطق الشمالية وتحديداً منطقة السراة أكثر تركيزاً؛ وقد ورد في أحد النقوش أنه أرسل أحد القادة لديه وهو (وهب أوام يأذف السخيمي) ومن معه من أقيال بني سخيم لحرب قبائل: السهرة، ودوأت، وأباس، وأيدعان، وحكم، وحدلنة، وغامد، وكهال، وأهلني، وجديلة، وسنبس، وحرام، وحجر لمد، ورضحتن، وقد كانت أراضي المعارك متعددة في تهامة والسراة، وبالقرب من وادي ذي البئر، وخلب، وتندحة،

وقد عادوا بعد حمدهم للإله المقه بالسلامة ومعهم غنائم، وسبايا كثيرة أرضتهم وأرضت الملك نشأ كرب يأمن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان وفيما يلي سرد لبعض سطور هذا النقش:

و ح ر ب/ ب ن/ ع ش ر/ د و أ ت
ع ش ر ت/ أ ب أ س/ و أ ي د ع ن/ و ح ك م م/ و ح د ل ن ت/ و غ م د م/ و ك
هـ ل م/ و أ هـ ل ن ي/ و ج ل ت/ و س ب س م/ و ح ر م م/ و ح ج ر/ ل م د/ و
أ و م م/ و ر ض ح ت ن/ ب ن/ ح ر ت/ و ح ر ب هـ م و/ ب س ف ل/ أ و د ي ت ن/
ذ ب ر أ ن/ و خ ل ب/ و ت د ح ن (Beeston, 1976, p 29 - 30).

المعنى:

ثم هجموا على عشائر دوأت
ومن ناصرها من عشائر أباس وأيدعان وحكم وحدلنة وغامد وكهال
وأهلني وجديلة وسنبس وحرام وحجر لمد
وأوام والرضحة من حرة، وقد حاربوا تلك العشائر في أسافل أودية
ذي البئر وخلب وتندحة...

وعطفاً على ما سبق، يتضّح وجود اضطراب سياسي في الحقبة الزمنية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث الميلادي؛ بدلالة محاربة الأحباش، وتسيير حملات عسكرية على بعض المناطق الواقعة بين الفاو وجبال السروات وسهولها؛ مما يُنبئ عن عدم وجود سيطرة متتالية على القبائل في تلك النواحي في جميع مراحل الدولة السبئية كما ذكر الذفيف؛ إذ إن تلك الحملات العسكرية تهدف إلى تأديب القبائل التي - على ما يبدو – كانت تضايق القوافل التجارية؛ خاصةً أن مواقعها الجغرافية تقع بالقرب من المدن التجارية القديمة: كنجران، والفاو، وقلعة بيشة (جُرش فيما بعد).

كما أن النفوذ السياسي بات جليّاً من خلال الألقاب الملكية لدى حكّام ممالك جنوب شبه الجزيرة؛ إذ إن الملاحظ على ملوك تلك الحِقَب، ألقابهم الملكية التي تفيد بجميع الممالك والمواضع التي يسيطرون عليها، والمطالع لجميع النقوش المتاحة حتى الآن، يجد أنه لم يتم

توسع نفوذ ملوك سبأ، إلا منذ بداية القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الرابع للميلاد تقريباً؛ إذ اُشتُهر ملوك تلك الحِقَب بمسمى (ملك سبأ وذي ريدان: -نسبة لقصر الحكم في حمير-)، أمثال: (الشرح يحضب الأول، والثاني)، واستمرت الأوضاع السياسية هكذا حتى ظهر الملك شمّر يهرعش (الثالث) في (الربع الأخير من القرن الثالث حتى الربع الأول من القرن الرابع للميلاد تقريباً)، وهو أول ملك يتسمّى باللقب الملكي الجديد: (ملك سبأ، وذى ريدان، وحضرموت ويمنت)، وكل ما ورد في ذلك اللقب الملكي: ممالك جنوبية، ما عدا كلمة (يمنت): إذ إنها تعني بقعة أو عدة بقاع جغرافية، وقد اختلف العلماء في تحديدها؛ إلا أنهم اتفقوا على أنها ضمن إطار جغرافية الممالك الجنوبية (مصطفى، ٢٠٢٣م)، (في جغرافية ما يُعرف بحدود اليمن السياسي اليوم).

لذا فإنَّ مناطق السروات ومن ضمنها البقعة الجغرافية التي ظهرت عليها مدينة جُرش لم تكن ضمن نطاق النفوذ السياسي لجميع حكّام الدولة السبئية منذ القرن الثامن إلى التاسع قبل الميلاد وحتى القرن الرابع للميلاد. أما ما ورد في النقش من أن أسعد أصبح والياً على المدينة لمدة ستة أشهر بإيعاز من الملك نشأكرب يهأمن يهرحب؛ فإنّ أبرز علماء النقوش يذكرون بأن ذلك الملك هو آخر ملوك الدولة السبئية قبل انهيارها على يد ملوك حمير؛ بظهور الملكين ياسر يهنعم، وابنه شمّر يهرعش كما في النقش (IR 14)، ولربما أن تلك الأشهر الستة لم تنتهِ إلا بانتهاء مملكة سبأ، وفي هذا دلالة على ما أرودهُ الباحث بعدم وجود أي علاقة للسبئيين بمدينة جُرش قبل القرن الثالث للميلاد.

وهنا فرضية يطرحها الباحث فيما يخص (يمنت)؛ فهل المقصود بيمنت بقية المناطق الجغرافية التي تُحيط بممالك جنوب شبه الجزيرة العربية باتجاه الجنوب حتى الوصول إلى سواحل بحر العرب؟ خاصةً أن تلك اللفظة ظهرت لأول مرة ضمن لقب الملك (شمر يهرعش) في القرن الثالث - الرابع الميلادي كما في النقش (JA 656)، والذي يُعد موحداً للممالك الجنوبية بعد عدة حروب قوية أدت إلى سقوط مملكة سبأ.

وفي القرن الخامس للميلاد في عهد (أب كرب أسعد بن ملككرب يهأمن الحميري) ظهرت إضافة جديدة على اللقب الملكي؛ فكان لقبه: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويَمَنت وأعراب الطود وتهامة)، وهنا يُلاحظ وجود مناطق جديدة ضمن النفوذ السياسي لأبي كرب وهي الجزء الأخير من اللقب الملكي: (أعراب الطود وتهامة)؛ وبالرجوع إلى معنى الطود في أبرز مصادر التراث العربي؛ فإنّ معنى الطود لدى الفراهيدي (ت ١٧٠هـ تقريباً): الجبل العظيم (الفراهيدي، ١٣١٠هـ، ج٧، ص٤٤٣)، ويرى ابن المجاور (ت ٦٩٠هـ تقريباً) أن المراد بالطود هو جبال الحجاز (ابن المجاور، ١٩٩٦م، ج١، ٥١)، أما ابن منظور (ت ٧١١هـ تقريباً) فقد ذكر أن الطود يُقصد به جزء من سلسلة جبال السروات، ما بين مكة وصنعاء (ابن منظور، د.ت، مج٣، ص٢٠٠٤).

وإذا تمَّ افتراض جدلية أن الطود هنا هو جبال السروات التي يتخللها الجزء الذي تقع فيه مدينة جُرَشْ، وبحسبة المدد التي سيطر فيها ملوك حمير على الطود، فإن الحِقبة الزمنية لن تتجاوز قرناً من الزمان؛ وذلك بالقياس على نقشي (وادي مأسل): إذ ورد في النقش الأول الموسوم بـ (RY509) الذي يخص الملك أب كرب، إذ ورد فيه اللقب الطويل السالف ذكراً، وقد أرّخه بعض العلماء في حقبة الربع الأول من القرن الخامس للميلاد، أما النقش الثاني ذي الرمز (RY510) فهو يخصّ الملك (معد كرب يعفر) آخر الملوك الحميريين الذي تلقبوا باللقب الملكي الكبير: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويَمَنت وأعراب الطود وتهامة)، وتأريخه (٥١٦م)، أي قرب سقوط مملكة حمير بـ ٩ سنوات -٥٢٥م-.

وهنا تساؤل جديد: هل استمرّ بني جُرش في المدينة عقب انتهاء الستة أشهر المذكورة في النقش أم أنهم عادوا من حيث أتوا؟ خاصةً أن الهمْداني أورد روايةً عن سبب سُكنى المدينة من قبل الجرشيين فقال: "...مرّ تبّع أسعد أبو كرب في غزوته الأولى بجُرَشْ، فرأى موضعًا كثير الخير، قليل الأهل، فخلّف فيه نفرًا من قومه، فقالوا: بم نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها واعمروها؛ فسمّيت جُرَشْ" (البكري، ١٩٨٣م، ج٢، ٢٧٦). وبغض النظر عما ورد في رواية الهمْداني، وبعد زمنه عن ذلك الحدث؛ إلا أن الرواية تعتبر

قرينة لا بأس بها؛ كون بعض الباحثين يرى أن الملك أبا كرب قد تلقّب بكامل اللقب مع الإضافة الأخيرة (في الطود وتهامة) قبل أن يشن حملته إلى وسط نجد بحسب النقش (RY509) السالف ذكراً؛ وذلك بعد أن سيطر على القبائل في جنوبي شبه الجزيرة العربية بما فيها القبائل الساكنة في الطود وتهامة (أبو الغيث، ١٤٢٥هـ، ص ١٩).

وبناءً على ما ورد في النقشين السابقين: (RY509)، و(RY510) فإنَّ نفوذ الحميريين على المواضع في الطود بما فيها مدينة جُرَشْ لم تتجاوز حوالي قرن من الزمان تقريباً، فعلى أي أساس بنى الذفيف رأيه: بأن جُرش كانت تحت سيطرة الدولة السبئية بكافة مراحلها؟

ومما يشد الانتباه في تحليل الذفيف، حينما قال: "...ليعد دليلاً قوياً على أن هذه المناطق هي مناطق وأراضي يمنية، وتسكنها قبائل يمنية"! فماذا قصد بلفظة يمنية؟ هل قصد نسبة القبائل والجغرافية إلى اليمن السياسي اليوم؟ فإن عنى ذلك فأين الدليل الذي يفيد بارتباط لفظة يمني أو يمنيين بحدود اليمن السياسي اليوم من خلال سجلات النقوش المسندية؟ خاصةً أن جميع العلماء الذين فسروا النقوش التي ورد فيها لفظة يمن أو يمنت بأن معناها: الجهة الجنوبية أو الجانب الأيمن، بلا إطار جغرافي محدد؛ كما في النقش: (MUB659/**9**)، وهنا وردت يمنت مقترنة بـ(شأمت) أي بمعنى الشمال في النقش (RES3022)، وفي أحدث الاكتشافات النقشية؛ عُثر في سنة (٢٠١٨م) بمنطقة تبوك شمال غرب شبه الجزيرة العربية؛ على نقش تذكاري لرجل اسمه: (و ه ب م / ي م ن ي ن / أ ز ج د ي ن) والمعنى: (وهب اليمني الأزجدي)؛ وقد ذكر أحد المتخصصين أن لفظة (اليمني) هنا تعني جنوب شبه الجزيرة العربية بلا تحديداً لأي بقعة جغرافية (الحاج، ١٤٤٥هـ، ع٩، ص ٩٧ – ١١٢).

ومع ظهور الإسلام، فإنه لم يصطلح لدى النبي – صلى الله عليه وسلّم – وصحابته – رضوان الله عنهم– ولا في كتب التراث العربي وجود لفضة يمني هكذا، وإنما تذكر يماني للمفرد، ويمانية للجماعة؛ فمن أشهر أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلّم– قوله: "أَتاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإيمانُ يَمانٍ والحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ، والفَخْرُ والخُيَلاءُ في

أَصْحابِ الإِبِلِ، والسَّكِينَةُ والوَقارُ في أَهْلِ الغَنَم"(البخاري: حديث رقم (٤٣٨٨)؛ ومسلم: حديث رقم (٥٢)).

ومن خلال استعراض أبرز مصادر التراث العربي؛ فقد أورد أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) أنه في بداية عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بن مروان (ت ١٢٥هـ)، قام: "فعزل أسد بن عبدالله عن خراسان، وولاّها الجنيد بن عبدالرحمن، وكان رجلا من اليمانية، ذا فضل وسخاء" (الدينوري، ١٩٦٠م، ص ٣٣٥)، وهنا الهمْداني (ت بعد ٣٦٠هـ) حين ذكره لإحدى القبائل، قال: "...يمانية تنزّرت..." (الهمْداني، ١٤١٠هـ، ٢٣٠)، وهذا ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، يذكر أهم الأحداث التي وقعت في دمشق عام ١٧٦هـ وهي ما عُرفت بـ(فتنة القيسية واليمانية)[1] "...وقد أعد اليماني قوما ليضربوا القيني فلما مر بهم بارزوه فقاتلهم وأعانه قوم فقتل رجل من اليمانية فطلبوا بدمه واجتمعوا وانضم بعضهم إلى بعض..." (ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ج٢٦، ص٦٤)، ويورد القلقشندي (ت ٨٢١هـ) في معرض حديثه عن إحدى قبائل العرب تُدعى (أنمار) إذ قال: "وهم بنو أنمار بن نزار؛ ... وتناسل بنوه بها فعدّوا في اليمانية؛ وذهب آخرون إلى أنه لا عقب له إلا من بنت له زوّجها لأراش من اليمانية، ... فبنو أنمار المعدودون في اليمانية هم بنو أنمار بن أراش" (القلقشندي، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٩٠).

إذاً ومن خلال ما تمّ عرضه من مصادر أعلاه: كسجلات النقوش، لم يتبيّن وجود علاقة بين كلمة يمني، ويمنت بإطار جغرافي محدد، بل ارتبط ذكرهما بالاتجاه جنوباً، أو لجنوب شبه الجزيرة العربية. أما أحاديث -النبي صلى الله عليه وسلّم- فضلاً عن مصادر التراث العربي فلم يرد فيها لفظة يمني أو يمنية؛ بل يماني، ويمانية للكناية عن القبائل أو الأفراد من الجذم القحطاني المقابل للجذم المعدّي.

(١) للاستزادة بشأن تلك الفتنة: (ابن عساكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ص٦٢ – ٨٧).

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث الذي تم فيه استعراضُ نقش (الذفيف ١٠/ AL-Dhafeef 10 الأسطر: ١٥ – ٢٨)، ومناقشة ما ورد فيه بالنقد والتحليل، مما ساهم في استخلاص ما يلي:

ورد في النقش إشارة إلى قبائل عربية تُذكر لأول مرة في نقوش المسند، مثل: (الغلي، وألمع، وعز (عنز)، وهي من قبائل جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ومساكن تلك القبائل اليوم ضمن نطاق منطقة عسير في المملكة العربية السعودية.

كما تبيّن وجود خلط لدى الذفيف -قارئ النقش- بين بيشة ابن سالم وبين محافظة بيشة؛ إذ إن مدينة جُرَشْ تقع في بيشة ابن سالم وليست في محافظة بيشة التي تُعرف سابقاً بـ(بيشة النخل)؛ للتفريق بينها وبين بيشة ابن سالم. واتضح من خلال النقش، أن المدينة كان اسمها (قلعة بيشة)، وذلك قبل دخول قبيلة جُرش للمدينة – التي اشتهرت باسمها في القرون اللاحقة –، وقد كان دخول الجُرشيين للمدينة حوالي منتصف القرن ٣م – كما في نقش الذفيف ١٠–، وبحسب آخر الدراسات فإنَّ المدينة قد أُنشئت قبل دخول الجُرشيين بحوالي ٤ – ٥ قرون، مما ينفي أي علاقة بين إنشاء المدينة وبين بني جُرش، ويُرجّح أن من قام ببناء المدينة هم من الأهالي.

وتمَّ من خلال البحث استعراض لأهم الأحداث السياسية من خلال النقوش للحقبة من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث للميلاد؛ واتضح وجود اضطرابات سياسية داخل المملكة السبئية؛ بسبب الهجمات من قبل الأحباش الذي نجح الملك (شاعر أوتر) من الانتصار عليهم وطردهم بعد عدة مواجهات حربية، فضلاً عن إرسال عدد من الحملات العسكرية في عصور الملوك: (شاعر أوتر)، و (إيل شرح يحضب) وأخيه (يأزل بين)، و(نشأ كرب يامن يهرحب) ملك سبأ ابن إيل شرح يحضب (الثاني) شمال الممالك الجنوبية باتجاه الفاو، وجبال السروات غرباً لمحاربة عددٍ من القبائل؛ مما يُنبئ عن وجود حالة من الضعف لحقت بالمملكة السبئية في تلك الحقبة، مما يجعلها غير قادرة على مد نفوذها شمال

ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية؛ وفي ذلك رداً على قارئ النقش (الذفيف) الذي أشار إلى أن مدينة جُرش كانت تابعة لمملكة سبأ في جميع مراحلها بدون أدلة.

فضلاً عن عدم وجود ما يشير إلى تبعية (قلعة بيشة) -مدينة جُرش فيما بعد- ضمن ألقاب ملوك سبأ في جميع مراحلها ما عدا آخر قرن من عصر مملكة حمير؛ إذ ورد ضمن اللقب الملكي للملك أسعد أبو كرب (... أعراب الطود وتهامة)؛ ومن ثمَّ فإنَّ صح أن منطقة الطود هي إحدى أجزاء جبال السروات التي من ضمنها مدينة جُرش؛ فإنّ التبعية لم تكن في جميع مراحل المملكة السبئية، وهذا دليل آخر ينفي وجود أي اتصال بين مملكة سبأ وبين مدينة جُرش قبل عهد الملك أسعد أبي كرب.

وفي ختام البحث، تمت مناقشة كلمتي: (يمني)، و(يمنية) من خلال استعراض المصادر، وتبيّن عدم ارتباط لفظتي: يمني، ويمنت بإطار جغرافي محدد، بل ارتبط ذكرهما بالاتجاه جنوباً، أو جنوب شبه الجزيرة العربية، وذلك بحسب أبرز النقوش المسندية، أما أحاديث -النبي صلى الله عليه وسلّم- فضلاً عن مصادر التراث العربي فلم يرد فيها لفظة يمني أو يمنية؛ بل يماني، ويمانية للكناية عن القبائل أو الأفراد من الجذم القحطاني المقابل للجذم المعدّي.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله. (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الأسدي، بشر بن أبي خازم. (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). *ديوان بشر بن أبي خازم*. تحقيق: مجيد طه. بيروت: دار الكتاب العربي.

الأصمعي، عبدالملك بن قُريب. (١٩٠٨م). *النخل والكرم*. تحقيق: أوغست هفنر. بيروت: المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين.

البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). *تفسير البغوي (معالم التنزيل)*. بيروت: دار ابن حزم.

البكري، عبدالله بن عبدالعزيز. (١٩٨٣م). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، ٤ أجزاء. تحقيق: مصطفى السقا. ط٣. بيروت: عالم الكتب.

بيستون، ألفريد فيليكس. وآخرون. (١٩٨٢م). *المعجم السبئي*. صنعاء: منشورات جامعة صنعاء.

الثنيان، محمد بن عبدالرحمن. (٢٠١٠م). *طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي) بين صنعاء ومكّة*، في طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية. الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). *البرصان والعرجان والعميان والحولان*. تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل.

الجاسر، حمد. (د.ت). *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*. جزءان. الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة.

جراف، ديفيد، وآخرون. (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م). تقرير أولي عن حفريات جرش للموسم الأول. *أطلال*، ع ٢٢.

الحاج، محمد بن علي. (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م). "نقوش درب البكرة المسندية بمنطقة تبوك وأهميتها التاريخية والحضارية، ومعطيات حديثة حول التطوّر الدلالي لمسمّى اليمن في عصور ما قبل الإسلام"، *مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثري،ة* سلسلة مداولات علمية محكّمة لقاء السنوي للجمعية، جامعة الملك سعود، ع ٩.

الحربي، علي بن إبراهيم. (١٤١٨هـ). *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير*. ٣ أجزاء. د.م: د.ن.

حمزة، فؤاد. (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. في *بلاد عسير*. ط٢. الرياض: مكتبة النصر الحديثة.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله. (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). *معجم البلدان*. ٧ أجزاء. بيروت: دار صادر.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. (د.ت). *الأخبار الطوال*. تحقيق: عبدالمنعم عامر. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الذفيف، عبدالله بن حسين العِزّي. (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م). "نقوش سبئية من عهد نشأكرب يهأمن يهرحب (الثاني) ملك سبأ وذي ريدان". *مجلة ريدان*، الهيئة العامة للآثار والمتاحف بصنعاء. ع ١٤.

زارينس، يوريس، وآخرين. (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، *أطلال*، ع ٥.

الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. (١٩٦٥-٢٠٠١م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. ٤٠ جزءاً. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

الزهراني، عبد الله سالم. (١٤٢٩هـ). "*الموقع والمساحة ونطاق الإشراف الإداري*". في موسوعة المملكة العربية السعودية. ١٣ مجلّد. منطقة عسير. تحرير: حسين الحسن. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

سيده، علي بن إسماعيل. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٠م). *المحكم والمحيط الأعظم*. ١١جزءًا، تحقيق: عبد المجيد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل. (د.ت). *ديوان لبيد بن ربيعة العامري*. بيروت: دار صادر.

العتيبي، محمد بن سلطان. (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦م). *التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م حتى القرن السادس الميلادي*. الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م). ٨٠ جزءاً. *تاريخ مدينة دمشق*. تحقيق: عمر العمروي. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الغيث، عبدالله. (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). *العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس للميلاد*. صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٣١٠هـ). *العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. ٨ أجزاء. ط٢. إيران: دار الهجرة.

القحطاني، سعيد بن عبدالله. (١٤٢٤هـ). *تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد*. الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

القحطاني، عبدالله بن سعيد بن علي. (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م). "مدينة جُرَشْ من القرن ٢ ق.م إلى عام ٦٣٢م دراسة حضارية". (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود).

قروم، نيفيل. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م). *اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية*. ترجمة: عبدالكريم الغامدي. الرياض: جامعة الملك سعود.

القلْقشندي، أحمد بن علي. (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، ١٤ جزءاً. ط١. تحقيق: محمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكلبي، هشام بن محمد. (١٩٩٥م). *الأصنام*. تحقيق: أحمد باشا. ط٣. القاهرة: دار الكتب المصرية.

------. (١٩٨٨م). نسب معدّ واليمن الكبير. جزءان. تحقيق: ناجي حسن. بيروت: دار عالم الكتب.

المجاور، يوسف بن يعقوب. (١٩٩٦م). *تاريخ المستبصر*. مراجعة: ممدوح محمد. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

مصطفى، دينا زين العابدين. (٢٠٢٣م). "الاتجاهات في النقوش العربية الجنوبية القديمة"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية* – كلية الآداب بجامعة بني سويف–، مج ٨ ع١٥.

المقدسي، محمد بن أحمد. (٢٠٣٣م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. تحرير: شاكر لعيبي. أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع.

المملكة العربية السعودية حقائق وأرقام. (٢٠١٢م). جدة: هيئة المساحة الجيولوجية السعودية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ١٥جزءًا. القاهرة: دار المعارف. د.ت.

المهلّبي، الحسن بن أحمد. الكتاب العزيزي. (٢٠٠٦م). *المسالك والممالك*. تحقيق: تيسير خلف. دمشق: التكوين.

موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، (د.ت). ٦ أجزاء. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية..

ابن هشام، عبدالملك. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). *السيرة النبوية لابن هشام*. ٤ أجزاء. تحقيق: عمر تدمري. ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي.

الهَمْداني، الحسن بن أحمد. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م). *الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر*. تحقيق: محمد الأكوع. ١٠ أجزاء. صنعاء: مكتبة الإرشاد.

------. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). *صفة جزيرة العرب*. تحقيق: محمد الأكوع. صنعاء: مكتبة الإرشاد.

الوليعي، عبد الله بن ناصر. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م). *جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية*. ط٣، د.م: د.ن.

Beeston, A.F. L. (1976). *qahtan.studies in old arabian epigraphy*. 3. warfare in ancient south arabian (2nd.-3rd. centuries a.d.). london: luzac and co,.

Jamme, Albert W.F. (1962). *Sabaean Inscriptions from Maḥram Bilqîs* (Mârib). Washington, D.C: Publications of the American Foundation for the Study of Man.

Nebes, Norbert (2004). *Ein Feldzugsbericht des Šāʿirum ʾAwtar in einer neuen Widmungsinschrift aus dem Barʾān-Tempel*. Pages 281-283 in Alexander V. Sedov (ed.). Scripta Yemenica. Issledovanija po Južnoj Aravii. Sbornik naučnyh statej v čest' 60-letija M.B. Piotrovskogo. Moscow: Vostochna.

الأرشيف الرقمي لدراسة النقوش العربية قبل الإسلام (داسي) على الرابط:

Csai Corpus Of Central Middle Sabic: http://dasi.cnr.it/index.php?id=44&prjId=1&corId=27&colId=0

الملاحق:

خريطة تُبين توسط مدينة جُرش المسافة بين نجران وتبالة، نقلًا من:

حوليات الآثار العربية السعودية أطلال، العدد ٢٨، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، (اللوحة: ١ , ٤).

صورةٌ جويّة لموقع مدينة جُرَشْ في الوقت الحالي بالإطار الأصفر. (تصوير الباحث)

جزءٌ من سور المعبد. (من تصوير الباحث)

رسمةٌ لـثور وأسد يتعاركان، وقد كُتب تحت تلك الرسمة بالخط المسند (ثورن نعمن، أسدن قلعن) وللأسف الكتابة غير واضحة؛ بسبب عوامل التعرية. من تصوير الباحث.

جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠ - ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١ - ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص١٤٣-١٤٨، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 143-148, King Saud University, Riyadh (1447 H / 2025)

عرض لكتاب

خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أ.د. صالح حبيب الله تشي شيوه بي

كلية اللغات الأجنبية - جامعة شمال غرب الصين للمعلمين
qixueyi06@163.com

عنوان الكتاب: خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لغة الكتاب: الصينية

المؤلف: أ.د. يوسف سراج مافوده

الناشر: دار العلوم الاجتماعية بالصين – بكين

سنة النشر: ٢٠٠٦م

عدد صفحات الكتاب: ٢١٨ صفحة.

مقاس الكتاب: ١٧ X ٢٤سم

رقم الإيداع: M.(1703-1787)

ردمك: : ٧-٥٠٠٤-٥٧٩٧-٩

يحمل هذا الكتاب عنوان "**خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد عبد الوهاب**"، ويعد أول إصدار علمي من نوعه باللغة الصينية، أعدّه أحد أبرز الباحثين الصينيين وهو الأستاذ الدكتور يوسف سراج مافوده،

عميد كلية الدراسات الأسيوية والأفريقية بجامعة شيآن للدراسات الدولية بالصين، والكتاب من إصدارات دار العلوم الاجتماعية بالصين.

يأتي الكتاب في أوانه، إذ سدّ فراغًا كبيرًا بشأن موضوع من أهم الموضوعات في تاريخ الجزيرة العربية بالعصر الحديث، وهو حركة الإصلاح الديني أو ما يطلق عليها الحركة السلفية أو الحركة الوهابية. وتضمن تمهيدًا وستة فصول وملحقًا.

أشار المؤلف في تمهيد الكتاب [ص ١–٨] إلى الدافع الرئيس من وراء تأليفه، وهو مناقشة الأقوال أو النظرة الغربية لحركة الإصلاح الديني (الصحوة الإسلامية) خلال ثمانينيات القرن العشرين في العالم الإسلامي وغيره، إذ تصاعدت الأصوات بأن هذه الحركة مُهدِّدة للأمن الدولي والأمن المحلي في البلدان التي يعيش فيها المسلمون. وكما يرى كثيرٌ من الباحثين أن حركة التجديد الإسلامي (الصحوة الإسلامية) ظهرت لمواجهة التحديات الغربية، بينما يرى المؤلف أن الأمر ليس بهذه البساطة، فالإسلام من تقاليده التجديد والإصلاح، فالتجديد الإسلامي هو لمواجهة التحديات الغربية في ظاهره، وفي باطنه هو ما يقتضيه الإسلام نفسه، إذ له آلية التكيف الذاتي التي ضمنت للإسلام الاستمرار والبقاء بعد عون الله تعالى وهي مبدأ "الاجتهاد الفقهي" ومبدأ "محاربة البدع الدينية" فالاجتهاد في معناه الثقافي هو آلية الضمان الحيوية لتكيف الإسلام لتغيرات الزمن وتقلبات العصر. و"محاربة البدع الدينية" هي آلية الضمان لذاتية الإسلام من تلاشيها في ثقافات الآخرين، وهي تعبير صريح لتمسّكه بحضارة نفسه وإعجابه به. ومن هذا المنطلق يمكن القول إنَّ جوهرَ التجديد الإسلامي يتمثّل في كون الإسلام في سياق تطوّره التاريخي، يملك آلياتٍ من التكيّف الذاتي والتحسين المستمر، بما يجعله قادرًا على مواكبة التحوّلات المتجدّدة للواقع الموضوعي، فالتجديد الإسلامي منذ العصر الحديث يُعَدُّ مرحلةً من مراحل المسار التاريخي الطويل لعملية التكيّف الذاتي التي يباشرها الإسلام في بنيته الداخلية، وهو بذلك يُمثّل سمةً أصيلةً من سمات تطوّره الطبيعي، لا تعبيرًا عن رفضٍ أو عداءٍ تجاه حضارةٍ بعينها.

كما يرى المؤلف [ص ١٠] أنَّ الحاضرَ هو امتدادٌ للتاريخ بالأمس، ومن ثَمَّ فإن الفهمَ العميقَ لواقع اليوم يقتضي تتبّع المسار التاريخي لتطوّره. وقد عُدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رائدًا من روّاد حركة التجديد الديني وقائدًا لها، ولذلك وُصف بأنّه من أوائل ممهدّي طريق النهضة الإسلامية في العصر الحديث. ومن هنا، فإنَّ الدراسةَ المتعمقة للشيخ محمد بن عبد الوهاب تُسهم إسهامًا عظيمًا في الإحاطة الشاملة بتيارات الصحوة الإسلامية الراهنة، وتُعين على إصدار تقييمٍ منصفٍ وموضوعي بشأنها.

أما الفصل الأول بعنوان "عصر ظهور فكر الإصلاح عند الشيخ" يتناول أحوال الدولة العثمانية في تلك الأيام، وما صارت عليه وأحوال العالم الإسلامي تحت الحكم العثماني من العلاقات الخارجية المليئة بالمشاكل والمتاعب المستمرة، والنظم الاجتماعية القريبة من الانهيار، والبناء الحضاري والعلمي الفاقد للحيوية، وأوروبا الناهضة، وتناول أحوال شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة. وتوصَّل المؤلف إلى أن العالم الإسلامي الخاضع لحكم الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، يقع تحت وطأة أزمات متشابكة وأوضاع متدهورة. فقد انهار الاقتصاد، وتوالت النزاعات الداخلية، وعمّت الاضطرابات، واستشرى الفساد في مؤسسات الدولة حتى ضاقت حياة العامة ذرعًا، كما ظلّت الجيوش تعتمد على أسلحةٍ وتقنياتٍ حربيةٍ من عصورٍ وسطى، مع انحلالٍ في الانضباط وضياعٍ للقدرة القتالية. أما النشاط الفكري الإسلامي، الذي كان قد فقد حيويته منذ زمن بعيد، فقد توقّف تمامًا؛ وغدا المجال السياسي صراعًا دائمًا على السلطة، في حين لم يبقَ من الإسلام -الرابط الوحيد الذي يجمع العالم الإسلامي ويوحّده- سوى الشكل والمظاهر. لقد استسلمت الجماهير للشعور بالبلادة، وسيطرت عليها القدرية والخرافة، وانحدر مستوى القيم، حتى افتقد المجتمع وازع الضمير. وفي المقابل، كانت أعين القوى الغربية -التي عزّزت مكانتها عبر الثورة الصناعية وتطوّر الرأسمالية- مركّزةً على هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف، الذي عجز عن حماية نفسه، فسارعت إلى تكثيف خطواتها في سبيل تقسيمه والسيطرة عليه.

وأمام هذا الواقع المؤلم، برزت في العالم الإسلامي نخبة من المصلحين وأصحاب الهمم العالية. هؤلاء، بما امتلكوه من إحساس عميق بمعاناة الجماهير وإدراك واضح لحجم التحديات المصيرية التي تواجه الأمة، انطلقوا مدفوعين بآلام الحاضر وقلق المستقبل إلى الغوص في البحث عن جذور الأزمة والتفتيش المستمر عن سبل الخلاص. وهكذا، اتخذ كل مصلح موقعًا خاصًا ينطلق منه لمعاينة أوضاع العالم الإسلامي، وسعى في ضوء ما أتاحه له واقعه الاجتماعي وبيئته الثقافية إلى صياغة ما اعتبره إصلاحًا ملحًّا وضروريًا.

ويتحدث الفصل الثاني عن الشيخ وإصلاحه الديني، ويشمل حياة الشيخ وسيرته العلمية ودعوته إلى الإصلاح ونصرة الإمام محمد بن سعود لدعوته وتاريخ الدولة السعودية الأولى وأهم الإصلاحات الدينية التي قام بها الشيخ.

وخاض الفصل الثالث في أصول الأفكار الإصلاحية للشيخ من مدرسة الحديث النبوي وما تتميز به، والمذهب الحنبلي وما يتسم به من خصائص، وسمات شيخ الإسلام ابن تيمية وأفكاره في الإصلاح.

وتناول الفصل الرابع المعاني العامة لأفكار الإصلاح عند الشيخ في مجال العقيدة والفقه من معنى التوحيد ومنع التعمق في صفات الله، بل الدعوة إلى طريق السلف في القضايا العقدية، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد المغلق منذ قرون في الفقه الإسلامي.

وتحدث الفصل الخامس عن أفكار الإصلاح عند الشيخ في المجالات الأخرى من النقد المستمر للصوفية وما يتعلق به، والتمسك بأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وممارسة هذا الأصل في تاريخ الإسلام، وفهم الشيخ له وممارسته في حياة المجتمع آنذك.

وبيّن الفصل السادس أثر أفكار الشيخ الإصلاحية في الدولة السعودية الأولى، الذي يتمثل في الوئام بين الدين والسلطة، وتكوين الأيديولوجية للدولة على أساس التوحيد، وتشكيل الروح العامة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنداء بإعادة فتح باب الاجتهاد الذي يتمثل في آلية التكامل في عملية تحديث الدولة وعملية تطوير الإسلام.

وأخيرًا يرى المؤلف [ص ١٧٤-١٧٢] أنَّ نموَّ الحضارة يكمن في قدرتها المستمرة على تقديم مواجهات ناجحة للتحديات المستجدة. ومن ثَم يمكن القول إنَّ حركةَ الإصلاح الديني التي أطلقها محمد بن عبد الوهاب كانت استجابة ذاتية للأزمة الداخلية التي كان يواجهها العالم الإسلامي. ولعلها تجسيدٌ لحيوية الإسلام، إذ إنه لا يدخل في مرحلة من الضعف والانحسار حتى تنبعث فيه تياراتٌ وحركاتٌ دينية تسعى إلى إزالة العوامل الدخيلة والعودة إلى التقاليد الإسلامية الأصيلة.

ويُنظر إلى المعرفة في التعاليم الإسلامية، على أنها ذات قيمة مقدَّسة في المجتمع الإنساني، إذ تُعَدّ الوسيلة المثلى التي منحها الخالق للإنسان ليدرك العالم ويحيط به. وقد حظي المثقفون بمكانة ورثة الأنبياء، فحُمِّلوا مسؤولية توجيه الحياة الاجتماعية للناس. وعندما ينحرف المجتمع عن مساره الطبيعي في التطور، فإن الواجب الأول في الإصلاح يقع على عاتقهم. ومن هذا المنظور، فإنَّ الفكرَ الإصلاحي الديني للشيخ محمد بن عبد الوهاب يُمثّل اجتهادَ مثقفٍ ذي مسؤولية وضمير حيّ، في مواجهة الأزمة الداخلية التي عاشها المجتمع المسلم آنذاك واستشرافًا لمستقبله. لقد كان يسعى إلى معالجة مشكلتين أساسيتين عانى منهما المسلمون في عصره: التراجع العام للعالم الإسلامي، والانقسام الحاد داخل المجتمع المسلم. ولم يتّجه الشيخ -كما فعل والي مصر محمد علي باشا في الفترة نفسها- إلى التركيز على مظاهر الحضارة الحديثة وتحسين ظروف الحياة المادية، بل اختار -بصفته عالمًا في الدين- أن يضع ثقته في أنّ الإيمان والروحانية هما أساس كيان المجتمع المسلم. ورأى أنّ سبب الانحطاط والانقسام يكمن في ضعف العقيدة، وانهيار الأخلاق، والانحراف عن صراط الله المستقيم. ومن ثَمَّ اعتقدَ أنّ العودة إلى الإسلام، والالتزام الصارم بتعاليم القرآن الكريم والسنّة النبوية، هو السبيل الوحيد والفعّال لنهضة الأمة الإسلامية. وعلى هذا الأساس انطلق في تفكيره العميق وجهوده الإصلاحية.

وخلاصة الكلام: إن قضايا التجديد الإسلامي الذي نادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب وسعى من أجله، تناولها المؤلف من باب التاريخ والاجتماع والسياسة والثقافة

وليس من باب العلوم الإسلامية من العقيدة والفقه وغيرهما، فأبدى آراءه على ما يراه. فوجد الكتاب بعد نشره إقبالًا في الأوساط العلمية والقبول من أجهزة الدولة في الصين، فأثّر على سياساتها الدينية والاجتماعية.

Contents

Articles:

- **The Hypothesis in Historical Writing "An Approach to the Methodological Construction of the Thinking Historian".**
  Prof. Abdulrahman b. Abdullah Al-Ahmari ……..…1

- **Architectural styles of Hejaz village houses through traveler books "Basically and furnishing" (923-1334 AH/ 1517-1916AD).**
  Prof. Amaal Ramadan Abdel Hamid Siddiq …….....43

- **Cases of surface water sources in the highlands of the western Sana'a Mountains "Tales from the elderly narrated" (An ethnoarchaeological study).**
  Dr. Muhammad Dhafran Abdullah Al-Bokeer …...…….....….....….85

- **New insights on AL-Dhafeef inscription (10)**.
  Abdullah b. Saeed Ali Al-Qahtani …….....….....….113

Reviews:

- **Book Review "The Essence of Discourse on the Pioneer of the Islamic Awakening Movement in the Modern Era – Sheikh Muhammad ibn Abd al-Wahhab".**
  Prof. Saleh Habibullah Chi Shiueh Bi …….....….....….....….143

Submit the Manuscript

- Manuscripts should be submitted to the journal's email (shcajournal@ksu.edu.sa) and ensure that the guidelines, terms and policies for submission and publication of manuscripts is being followed.
- Worktime: The journal receives scientific research throughout the year.
- Publication Language: Manuscripts may be submitted in Arabic or English and will be published in one of these languages. Writing quality and clarity are essential requirements for publication.

Guidelines Submission

- Manuscripts should be submitted in (Word) and (pdf) file format.
- The email should include the following details(documents-elements):

1- A cover letter addressed to Editor-In-Chief and should include the importance of the research and its hypothesis. Also its relating to the journal's goals (aim) and visions.

2- An abstract of the research in Arabic and English, which should not exceed 200 characters with spaces and 5 keywords.

3- The principle author bio and associate author if any.

4- A declaration form after filling out and sign it. If there is more than one researcher, each researcher fills out the declaration and approves it individually.

Language and Style

1. Compliance with the scientific method by avoiding the passion, redundant and concise.
2. Adopting the clarity, accurate and well formed the ideas and concepts are required.
3. The issues should be addressed in comprehensive approach.
4. Working on achieving the balance and proportion between the elements of the subject.
5. Taking into account the principle of scientific editing (the validity of the language, orthography and punctuation).

Manuscript style and format

1. Page size: A4
2. Margins: (2.5 cm) at the left and right sides of each page, and (3.5 cm) at the top and bottom sides of each page.
3. Use uniform font for the text (Lotus Linotype, 14 points).
4. Use uniform font for the title (Lotus Linotype, 14 points, bold).
5. Use uniform font for the title of figures, images and tables (Lotus Linotype, 12 points, bold).
6. Use uniform font for the comments (Lotus Linotype, 10 points).
7. Use uniform font in the tables (Lotus Linotype, 10 points).
8. Use uniform font for the English text (Times New Roman, 10 points).
9. Use uniform font for the margins in English (Times New Roman, 8 points).

department/center, college, and university), address, email, and phone number).

13. The author's or authors' name(s) or any indication of their identity must not be mentioned implicitly or explicitly anywhere in the body of the manuscript instead.
14. Submitting the manuscript to the journal is to be considered a pledge that the submitted manuscript has not been previously published, is not currently under consideration for publication at another journal, conference proceedings, or similar publication, and will not be submitted elsewhere while it is under consideration at the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia.
15. The editorial board have the right to run an initial review ensuring the manuscript follows publication regulations.
16. All manuscripts considered for publication must undergo a double-blind peer review in which the author's or authors' names are not revealed to the referees/reviewers and vice versa.
17. Each manuscript must be reviewed by no less than two referees. If two referees have different recommendations, a third referee will be assigned, and their recommendation will determine the final decision.
18. If the referees recommend that a manuscript be revised, the author(s) will be asked to revise and resubmit no longer than 2 weeks.
19. Once a manuscript is accepted for publication by the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia it cannot be published elsewhere, either electronically or in print, without a written consent from the editor-in-chief.

Publication Regulations & Procedures

1. The journal publishes only original research articles (which has never been published) in Arabic or English in the Field of the history of the Arabian Peninsula and its civilization.
2. Research should be characterized by objective, connected organized, and avoiding use personal pronouns as much as possible.
3. Commitment to the scientific method, originality in writing, Being proficient in language and writing style, and organizing the facts and ideas.
4. Compliance with the origins of scientific research in presenting the facts and value others' perspectives
5. The manuscript must be free from any sort of plagiarism, patch writing, or intellectual property violations.
6. Placed the picture, maps, document in the research as much as possible.
7. Name and introduce the places' names and the people's names accurately, and referring them to the suitable sources and references.
8. The official citation format system used by the journal is the ABA. ABA should be used both for in-text citations and the reference list.
9. Manuscripts should not exceed a maximum of 10.000 words, including the abstracts (both in Arabic and English), keywords, references, and appendices.
10. Each manuscript must be accompanied by two versions of the abstract, one in Arabic and one in English. Each should be within 200 words.
11. Each abstract must be preceded by no more than 6 keywords that represent the major topics and the manuscript addresses.
12. The author(s) must provide the following information both in Arabic and English: name, occupation, specialization, affiliation (e.g.,

- Looking forward to the participation of researchers and post- graduate students, and urging them to further improve and scrutinize their research on the history and civilization of the Arabian Peninsula.
- Attracting researchers in the field of historical and civilizational studies of the Arabian Peninsula.

Correspondence

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA).
King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula.
King Saud University.

P.O. Box 2456, Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: 011- 4698539

Deposit No. (Print): 1443/9173
ISSN (Print): 1658-9270
Deposit No. (Electronic): 1445/2699
EISSN: 1658-9831

Manuscripts must be sent to the managinig editor at:
shcajournal@ksu.edu.sa
Website: https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

© King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula. 1447 AH (2025 AD).

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission from King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula/King Saud University.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

A semi-annual refereed scholarly journal in the studies of the history and civilization of the Arabian Peninsula published in the months (October - March) by King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula at King Saud University. It is concerned with publishing researches, studies, book reviews, and abstracts of university thesis in Arabic & English.

Vision

Journal aspires to be an international, indexed, accessible electronically, and a pioneer in the field of research publishing in the history and civilization of the Arabian Peninsula. In addition to its endeavor to publish critical studies of the latest Arab and international publications on the history and civilization of the Arabian Peninsula.

Mission

The journal seeks to become a scientific reference for researchers and students of the history and civilization of the Arabian Peninsula, to provide them with knowledge and skills, based on Arab and Islamic culture, and human heritage.

Objectives

- Publishing refereed historical and cultural research in the field of history and civilization of the Arabian Peninsula.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)
Peer-Reviewed Academic Journal, Published by
King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula/King Saud University

General Supervisor
Prof. Ali Mohammed Masmali
President of King Saud University

Vice General Supervisor
Prof. Nayef Thunayan Al Saud
General Supervisor of King Salman's center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula

Advisory Board

Prof. John Hailey
Manchester University

Prof. Ahmed Al-Faya
King Khalid University

Prof. Mohamed Elkahlawy
Cairo University

Prof. Laila Nehme
Sorbonne University

Prof. Saad A. Sammar
Wasit University

Prof. Ahmed Boucharb
Hassan II University

Prof. Mody Abdullah Al-Sarhan
King Saud University

Editor-in-Chief
Prof. Solaiman Abdulrahman Altheeb

Editorial Board

Prof. Khaled A. Al-Bakr
King Saud University

Prof. Abdulrahmn A. Al-Ahmari
King Saud University

Prof. Ahmed M. Ameen
Fayoum University

Prof. Ahmed Al-Jallad
Ohio University

Managing Editor
Dr. Ahmed M. Atwa Abdelhamid

Secretary & Production
Mohammed S. Abdullah **Abdulrahmn M. Al-Jadeed**
Saud M. Al-Tamim

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

Peer-Reviewed Academic Journal

Published by

King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of

Arabian Peninsula

King Saud University

Volume 3, Issue No.1

October, 2025 AD/ Rabiʹ2, 1447 AH.

https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar

shcajournal@ksu.edu.sa

IN THE NAME OF ALLAH

THE MOST GRACIOUS, THE MOST MERCIFUL

King Salman's Center
For Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula

King Saud University

Journal of Studies in The History and Civilization of Arabia (SHCA)

The Hypothesis in Historical Writing "An Approach to the Methodological Construction of the Thinking Historian"

Prof. Abdulrahman b. Abdullah Al-Ahmari

Cases of surface water sources in the highlands of the western Sana'a Mountains Tales from the elderly narrated: (An ethnoarchaeological study)

Dr. Muhammad Dhafran Abdullah Al-Bokeer

Architectural styles of Hejaz village houses through traveler books "Basically and furnishing"

Prof. Amaal Ramadan Abdel Hamid Siddiq

New insights on AL-Dhafeef inscription(10)

Abdullah b. Saeed Ali Al-Qahtani

Reviews:

Book Review "The Essence of Discourse on the Pioneer of the Islamic Awakening Movement in the Modern Era –Sheikh Muhammad ibn Abd al-Wahhab"

Prof. Salih Habibullah Chi Shioh Bi

A semi-annual refereed academic journal - The Three volume - Issue (1) - Rabi'2, 1447 AH / October, 2025 AD